

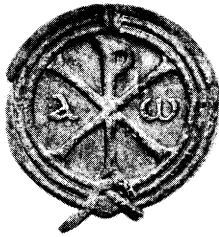


# التصوُّص المسيحيَّة

في العصور الأولى

[www.christianlib.com](http://www.christianlib.com)

العلامة أوريجينيس  
عظمت على سفر التكوين



# النصوص المسيحية

— في العصور الأولى —

العلامة أو الإيجنيسين  
عظات على سفر النكوتين



## التقديم

نيافة أنبا مقار

أسقف الشرقية ومدينة العاشر من رمضان

الترجمة عن اللغة الفرنسية

أستاذة مريم أشرف سيدهم

أستاذة مريم رشاد حلیم

دكتورة جينا بسطا

## المراجعات

مراجعة الترجمة على النسخة الفرنسية

أ. دكتور هاني دانيال زكريا

أ. دكتورة مها مرقس منصور

المقدمة ومراجعة الترجمة على اللغة اللاتينية

دكتور سامح فاروق حنين

المراجعة اللغوية وتدقيق النص العربي

دكتور وجدي رزق غالي

المراجعة النهائية واللاهوتية

دكتور جوزيف موريس فلتس

دكتور عماد موريس إسكندر

يتقدّم مركز باناريون للتراث الأبائي  
بالشكر والامتنان للأباء والإخوة الأحباء  
الذين ساهموا في تكلفة طبع هذا الكتاب

تُصدر دار باناريون للنشر والتوزيع سلسلة  
"النصوص المسيحية في العصور الأولى"  
من خلال هيئة علمية أكاديمية تحت إشراف  
دكتور جوزيف موريس فلتس

الكتاب: العلامة أوريجينيس - عضات على سفر التكوين  
الترجمة: أ. مريم أشرف سيدهم وأ. مريم رشاد حليم ود. جينا  
بسطا  
المراجعة: مجموعة من المراجعين  
الناشر: مركز باناريون للتراث الأبائي - ٧ ش الصباغ متفرع  
من ش الأهرام، الكورية - مصر الجديدة  
ت: ٠١١١٥٠٥٠١٣٥  
الطبعة: الأولى نوفمبر ٢٠١٥  
رقم الإيداع: ٢٠١٥/٢٧٧٠٤  
الترقيم الدولي: ISBN 978-977-6363-10-6



قداسة البابا تواضروس الثاني  
بابا الإسكندرية وبطربك الكرازة المرقسية



## فهرس المحتويات

٩ م	تقديم نيافة أنبا مقار أسقف الشرقية ومدينة العاشر من رمضان
١٥ م	مقدمة الناشر .....
١	تمهيد .....
١٧	العظة الأولى: الخليقة .....
٤٩	العظة الثانية: فلك نوح .....
٧٣	العظة الثالثة: ختان إبراهيم .....
٩٣	العظة الرابعة: ظهور الله لإبراهيم .....
١٠٧	العظة الخامسة: لوط وبناته .....
١٢١	العظة السادسة: أبيمالك وسارة .....
١٣١	العظة السابعة: ميلاد إسحق وفضامه .....
١٤٥	العظة الثامنة: ذبيحة إبراهيم .....
١٦١	العظة التاسعة: تجديد وعود الله لإبراهيم .....
١٧٣	العظة العاشرة: رفقة .....
	العظة الحادية عشرة: زواج إبراهيم من قطورة وإقامة إسحق عند
١٨٧	بئر الرؤيا .....
١٩٩	العظة الثانية عشرة: رفقة تحمل وتلد .....
٢١١	العظة الثالثة عشرة: آبار إسحق .....
	العظة الرابعة عشرة: ظهور الله لإسحق والعهد بين إسحق
٢٢٧	وأبيمالك .....
	العظة الخامسة عشرة: إخوة يوسف يصعدون من أرض مصر
٢٣٧	ويعقوب يعلم أن يوسف لا يزال حيا .....
٢٥٣	العظة السادسة عشرة: فاشتري يوسف كل أرض مصر لفرعون....
٢٦٩	الفهرس الموضوعي .....





## تقديم

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

## العلامة أوريجينيس

هو بلا شك أحد أعظم الشخصيات الدراسية في التاريخ المسيحي. وهو الشخصية الأكثر إثارة للجدل، فهو الأغزر إنتاجًا والأكثر فقدًا، الأقوى تأثيرًا والأكثر تعرضًا للهجوم، الأكثر تطرفًا في الرمزية، وهو أيضًا نموذج للتطبيق الحر في اللوصية. هو الفيلسوف والكاتب الكنسي والناسك والمعلم، وهو أيضًا المغضوب عليه من قبل البعض والمحبوب من البعض الآخر.

وُلد أوريجينيس - والذي يعني اسمه "الذي ولد في الجبل" - في بيت مسيحي بالإسكندرية سنة 185م. وأعتنى والده ليونيديس Leonides بتعليمه الكتب المقدسة ومبادئ العلوم المدنية. وفي أثناء اضطهاد الإمبراطور ساويرس سنة 202م مات والده شهيدًا، وكان أوريجينيس يريد أن يلحق بوالده ليموت شهيدًا، ولما لم يتمكن من تحقيق شهوة الاستشهاد كتب إلى والده يحثه على الثبات ويقول: "لا تأخذ طريقًا آخر من أجلنا". وصدورت حينها ممتلكات العائلة فتولى أوريجينيس إعالة أمه وأخوته عن طريق الاشتغال بالتعليم.

ورغم الظروف المادية الصعبة إلا أنه حصل - بفضل جده واجتهاده وولعه الشديد بالعلم - على أفضل تعليم متاح سواء على المستوى اللغوي أو الفلسفي أو الكنسي. وصار تلميذًا نجيبًا لإكليمندس السكندري الذي خلفه في رئاسة مدرسة الإسكندرية.

فبعد أن تعطلت مدرسة الإسكندرية فترة بسبب ترك مديرها

إكليمندس لها بسبب الاضطهاد، أقام ديمتريوس أسقف الإسكندرية أوريجينيس مسئولاً عن مدرسة الموعوظين وهو لا يزال في الثامنة عشرة (حوالي ٢٠٣م)، فعلم وتعلم في آن واحد، ”وعاش عيشة الفلاسفة“ على حد تعبير يوسيبوس القيصري (٣:٦) ”فهدب نفسه بالصوم وتحديد ساعات النوم ولم يتخذ لنفسه سريرًا بل نام على الأرض. واكتفى برداء واحد ومشى حافي القدمين“. وعلى يده وصلت مدرسة الإسكندرية إلى قمة الأهمية والتأثير؛ حيث كان له الفضل في وضع نظم للدراسة تراعي البعد الأكاديمي والبعد الاختباري للتعاليم المسيحية. ويفضل جهده وتنظيمه ازادت أعداد المتقدمين من الطلبة الأمر الذي اضطره أن يقسم الدراسة إلى مستويات. وقد ساعده في هذا تلميذه ياروكلاس والذي صار مديرًا للمدرسة بعد أوريجينيس وبعدها صار بطريركًا.

سار أوريجينيس على خطى معلمه إكليمندس في توجهه لتبشير الوثنيين وخصوصًا طبقة المثقفين منهم. كما ذاع صيته كشراح ومفسر للكتاب المقدس. وقد ركز في شرحه على إظهار البعد الروحي والجوانب اللاهوتية العميقة للنصوص المقدسة، كما شرح العهد القديم على أنه المدخل لفهم سر المسيح الذي فيه تحققت كل وعود العهد القديم.

وقد أخذ في الوقت نفسه عن أمونيوس سكاكس Ammonios Sakkas الأفلاطونية الحديثة وتأثر بها بشدة في علم الكونيات وعلم النفس. وكان لها أثر كبير في كتاباته وأفكاره فيما بعد. وكان أوريجينيس يعتقد أن الفلاسفة سعوا لمعرفة حقيقة ذواتهم ولمعرفة الأشياء الجيدة والتي يجب الاجتهاد لنوالها والأشياء الشريرة والتي يجب الهرب منها. ولم يكن يأكل اللحم مطلقاً، وكان يكتفي بالقليل من الخبز، وكان بسيطاً في عاداته. ولم

يكن يهتم حتى برعاية جسده. ومن يتأمل حياة أوريجينيس يجده قد تأثر بمعاصريه مثل أفلوطين مؤسس الأفلاطونية المحدثة ليس على مستوى الفكر فقط ولكن حتى في سلوكه النسكي وطريقة المعيشة. ويبدو أن هذا الإعجاب كان متبادلاً حيث يُذكر أنه حينما حضر أوريجينيس أحد دروسه أن أفلوطين قال في نهاية الدرس "إن حماس المعلم ينطفئ حينما يشعر أنه ليس لديه شيء آخر يمكن أن يضيفه لسامعيه".

ومما رواه يوسبيوس أيضاً (٨:٦) أن أوريجينيس أخذ بالمعنى الحري في للآية ١٢ من الإصحاح ١٩ من إنجيل متى "فخصى نفسه من أجل ملكوت السموات".

وذهب أوريجينيس في حوالي سنة ٢١٦ إلى فلسطين. وهناك طلب منه أساقفة قيصرية وأورشليم أن يعظ ويشرح الكتاب المقدس في إيبارشياتهم، فثارت ثائرة رئيسه البابا ديمتريوس السكندري وكتب إلى الإخوة الأساقفة في فلسطين يلومهم لأنهم سمحوا لعلماني أن يعظ في حضرتهم، وأمر أوريجينيس بالعودة إلى الإسكندرية فوراً ففعل كما أمر أسقفه. وقد دعت "يولية مامية" والدة الإمبراطور ساويروس ألكسندروس، أوريجينيس إليها إلى إنطاكية لتسمع من فمه ما كان يقوله في الإيمان المسيحي، فذهب أوريجينيس إلى عاصمة الشرق وقابل الإمبراطورة الوالدة وشرح الإيمان المسيحي هناك وعاد إلى الإسكندرية مكرماً. وعلى الرغم من غضب البابا ديمتريوس عليه إلا أنه في سنة ٢٣١ م وحينما انتشرت بعض البدع في الأوساط اليونانية في بلاد اليونان اهتم البابا ديمتريوس بالأمر وطلب من أوريجينيس أن يذهب إلى بلاد اليونان ليفحم المبدعين ويسكتهم. فمر في طريقه بفلسطين فسامه ألكسندروس أسقف أورشليم وثيوفتستوس أسقف قيصرية كاهناً.

وهنا احتج البابا ديمتريوس الإسكندري على هذه السيامة لأنها تمت خارج الإسكندرية، ولكن الفلسطينيين رأوا في ذلك مظهرًا من مظاهر الحسد، ونجد أن يوسيبوس القيصري يقول فيما بعد (٨:٦) إن ديمتريوس انقلب من ضعف بشري حين رأى أوريجينيس قد صار عظيمًا شهيرًا عند الجميع. وعلى أثر هذا قام البابا ديمتريوس بإبعاد أوريجينيس عن الإسكندرية. فخرج أوريجينيس من الإسكندرية وأقام في قيصرية فلسطين، وهكذا بدأت الفترة الثانية من حياته. وتجاهل أسقف قيصرية قرارات الإسكندرية وطلب من أوريجينيس أن يؤسس مدرسة لاهوتية جديدة في قيصرية، فأنشأ أوريجينيس مدرسة جديدة هناك وأشرف عليها عشرين عامًا، ونظمها على غرار مدرسة الإسكندرية.

ثم عصف اضطهاد الإمبراطور داكوس Decius ٢٤٩م - ٢٥١م فذاق أوريجينيس ألوانًا من العذاب؛ إذ يذكر يوسيبوس عنه: "أما مقدار البلاء التي حلت بأوريجينيس أثناء الاضطهاد، ومقدار شناعتها، وماذا كانت نتيجتها النهائية (فإن شيطان الشر جرد كل قواته، وحارب الرجل بكل حيلة وبأقصى جهده، هاجمًا عليه بعنف أشد من سواه ممن هجم عليهم وقتئذٍ)، ومقدار ما تحمله من أجل كلمة المسيح، والقيود، والتعذيبات الجسدية، والتعذيبات بالطوق الحديدي وفي السجن، وكيف مدت قدماه في المقطرة أيامًا كثيرة، وكيف تحمّل بصبر التهديد بالنار، وكل ما عذبه به الأعداء، وكيف وضع حد لألامه نظرًا لأن قاضيه بذل أقصى جهده لإنتقاذ حياته، وما هي الكلمات التي تركها بعد هذه الأشياء مليئة بالتعزية لكل من يحتاج إلى العون - كل هذه تبينها كثير من رسائله بدقة وأمانة" (تاريخ الكنيسة ٦: ٣٩). وتوفي أوريجينيس سنة ٢٥٣ وله من العمر ٦٩ سنة بعد أن تدهورت صحته بسبب هذه العذابات.

## طبيعة الخلاف بين أوريجينيس والبابا ديمتريوس:

حينما نتحدث عن الخلاف الذي حدث بين أوريجينيس والبابا ديمتريوس يجب أن نضع في الاعتبار عدة نقاط. أولاً: أن الكنيسة مثلما تحتاج إلى الموهبة الفذة والتي يمثلها أوريجينيس تحتاج أيضاً إلى تنظيم كنسي والذي يمثله البابا ديمتريوس. ثانياً: يجب الأخذ في الاعتبار فارق السن الكبير بين أوريجينيس الذي كان في أوائل الأربعينيات والبابا ديمتريوس الذي كان في الثمانينيات من عمره.

وقد نشأ الخلاف حول بعض الأفكار التي ذكرها أوريجينيس في إطار تفسيره لسفر التكوين والتي كان يُظن أنها آراء أفلاطونية، ومع زيادة شهرة أوريجينيس وسطوع نجمه وكذلك علاقته بالأغنياء مثل أمبروسيوس الغنوسي، تلك الأمور التي جعلت البعض ينظر له على أنه مركز قوة وخطر في نفس الوقت بجانب تأثيره الواضح بالأفلاطونية. ورغم هذا ظلت نيران الخلاف كامنة تحت الرماد إلى أن ذهب أوريجينيس إلى قيصرية فلسطين وقيامه بالوعظ في الكنيسة، الأمر الذي اعتبره البابا ديمتريوس شيئاً غير مقبول. وحينها أرسل له شماسين وعاد معهما إلى الإسكندرية إلى حين. ثم عاد الخلاف يشتعل أثناء زيارته الثانية إلى قيصرية فلسطين حيث سيم قساً هناك، حيث اعترض البابا ديمتريوس بشدة على تلك السيامة لأنها تمت دون تصريح منه، كما أرسل لأسقف قيصرية رسالة موضعاً فيها أفكار أوريجينيس غير المنضبطة ولا سيما مناداته بخلص الشيطان. وقد دافع أوريجينيس عن نفسه دفاع شاملاً في خطاب صريح موضعاً رأيه. والتجدير بالذكر أن أوريجينيس نفسه وصف خروجه الثاني من الإسكندرية إلى قيصرية فلسطين مثل خروج شعب بني إسرائيل من أرض مصر، فمن يا ترى كان المقصود بفرعون؟! وعلى الرغم من جلوس ياروكلاس تلميذ أوريجينيس النجيب على

الكرسي السكندري خلفاً للبابا ديمتريوس إلا أن الوضع بقى على ما هو عليه.

وملخص الخلاف هو أن البابا ديمتريوس لم يحتمل عدم خضوع أوريجينيس وآراءه المثيرة للجدل، في حين لم يحتمل أوريجينيس أن يحد أحد من حريته الفكرية. والحقيقة أن الكنيسة كانت تحتاج في ذلك الوقت إلى من يواجه العالم الوثني مثل أوريجينيس وأيضاً من ينظم الروحيات والإداريات فيها مثل البابا ديمتريوس. وفي النهاية لا بد أن نؤكد على أن المنصب يجب أن يصحبه أبوة والموهبة يجب أن تتحلى بالخضوع.

والكنيسة لا ترفض كل ما كتبه وأيضاً لا تقبل كل ما كتب، بل إنها تنتقي من فكره ما تجده يتمشى مع إيمانها المسلم من القديسين.

الرب يجعل هذا الكتاب خطوة نحو فهم أعمق وإدراك لمعنى مختبئ وصورة أوضح لكتابه المقدس؛ بصلوات أمنا العذراء مريم والشهيد مارمينا العجائبي وطلبات أبينا البابا أنبا تواضروس الثاني وشريكه في الخدمة أبينا الأسقف أنبا إيسيدوروس أسقف ورئيس دير البرموس

أنبا مقار

خادم كرسي الشرقية ومدينة العاشر من رمضان

بدء صوم الميلاد

نوفمبر ٢٠١٥

## مقدمة الناشر<sup>١</sup>

العلامة أوريجينيس (١٨٥م – ٢٥٣م)

### حياته

يعتبر العلامة أوريجينيس مجد الأدب الكنسي القديم وواحدًا من أعظم الكُتّاب على مر العصور<sup>٢</sup>. ونستطيع أن نجتمع معلومات عن حياة أوريجينيس من الكتاب السادس من «التاريخ الكنسي» ليوسيبيوس القيصري، الذي خصصه كله له والذي يعد بمثابة "سيرة ذاتية" للعلامة الإسكندري. ويبدو أن يوسيبوس القيصري قد استقى معلوماته عن أوريجينيس من معلمه بامفيلوس الذي ضمنها في "الدفاع" الذي كتبه عن أوريجينيس بمساعدة يوسيبوس وذلك على أساس كتابات أوريجينيس ورسائله التي كانت محفوظة في مكتبة قيصرية فلسطين.

ويعتبر الكثيرون أوريجينيس هو ابن مصر الأصل رغم أن اسمه يوناني وليس قبطياً (Ὠριγένης) (ابن الإله أور)، أما اسم أدامانتيوس (Ἀδαμάντιος) ومعناه الماسي فقد أطلق عليه بسبب سمو أخلاقه وندرتها وصلابة طاقاته الفكرية كالماس. وقد وُلد أوريجينيس في الإسكندرية نحو عام ١٨٥م<sup>٣</sup>، واستشهد أبوه ليونيديس (Λεωνίδης) الذي كان يعمل معلمًا للخطابة، في أيام الإمبراطور سبتموس سيفيروس عام ٢٠٢م في حين كان أوريجينيس لا يزال في سن السابعة عشرة. وكان أبوه ليونيديس قد هذبه في بادئ

<sup>١</sup> قام دكتور سامح فاروق حنين بإعداد هذه المقدمة لمركز باناريون للتراث الآبائي.

<sup>٢</sup> Θ. Δετοράκης, Βυζαντινή Φιλολογία, Τα πρόσωπα και τὰ ἔργα, τόμ. α', Ἡράκλειο Κρήτης 1995, σ. 81.

<sup>٣</sup> يوسيبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ٦: ٢: ١٢



الأمر بمعرفة الكتاب المقدس والدراسات الدينية قبل تعليمه العلوم اليونانية<sup>٤</sup>. ويشهد بورفيروس الأفلاطوني المحدث أن أوريجينيس "إذ درس الآداب اليونانية كيوناني انحرف إلى الطياشة البربرية"<sup>٥</sup>. ثم بعد ذلك اتجه إلى دراسة المسيحية. وقد أظهر الابن شغفاً عجباً في هذا الأمر. ويُقال إن والده كثيراً ما كان يقف بجوار الصبي وهو نائم، ويكشف صدره كأن روح الله قد استقر في داخله<sup>٦</sup>، ويقبله بوقار معتبراً نفسه أنه قد تبارك بذريته الصالحة. ولما عُهد إلى كليمنس تعليم الإيمان في الإسكندرية خلفاً لبنتينوس صار أوريجينيس أيضاً أحد تلاميذه وكان لا يزال صبياً<sup>٧</sup>. وبالإشارة إلى بنتينوس وكليمنس كمعلمي أوريجينيس فإن هذا يعني أن الأخير كان يدرس في مدرسة الإسكندرية اللاهوتية وأنه قد تلقى تعليماً يونانياً ومسيحياً عالياً<sup>٨</sup>، وأنه قد سمع دروسهما وحضرها سواء أثناء فترة صباه أو بعد ذلك.

وقد عاصر ليونيديس، أبو أوريجينيس، الاضطهاد الذي أثاره سبتيموس ساويرس عام ٢٠٢م، والذي كان أكثر عنفاً على الكنيسة المصرية، حتى ظن كثيرون أن هذا الاضطهاد هو علامة على مجيء "المسيح الدجال". فألقي القبض على ليونيديس ووضع في السجن، أما أوريجينيس الذي لم يكن بعد قد بلغ السابعة عشر من عمره، فلم يكن فقط يشجع أباه على الاستشهاد وأرسل له رسالة حثه فيها على ذلك، بل كان يتوق بشغف إلى إكليل الاستشهاد مع والده<sup>٩</sup>. وفي اللحظة الحاسمة منعه أمه من تحقيق رغبته بإخفاء كل

<sup>٤</sup> يوسيبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، (الكتاب ٦، الفصل ٢، الفقرة ٨).

<sup>٥</sup> يوسيبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، (الكتاب ٦، الفصل ١٩، الفقرة ٧).

<sup>٦</sup> يوسيبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، (الكتاب ٦، الفصل ٢، الفقرة ١٠).

<sup>٧</sup> يوسيبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، (الكتاب ٦، الفصل ٦).

<sup>٨</sup> Θ. Δετοράκης, Βυζαντινή Φιλολογία, Τὰ πρόσωπα καὶ τὰ ἔργα, τόμ.

α', σ. 81.

<sup>٩</sup> Θ. Δετοράκης, Βυζαντινή Φιλολογία, Τὰ πρόσωπα καὶ τὰ ἔργα, τόμ.

α', σ. 81.

ملابسه حتى يلتزم البقاء في المنزل ليرعى شئون إخوته الستة. فأرسل إلى أبيه رسالة قائلاً له: "أحذر من أن تغير موقفك بسببنا." هذا ما يمكن تدوينه كأول دليل على حكمة أوريجينيس في شبابه وعلى محبته الصادقة للتقوى<sup>١٠</sup>.

وإذ صودرت ممتلكات ليونيديس بعد استشهاد صار أوريجينيس وعائلته، المكونة من أم وستة إخوة كان هو أكبرهم، في عوز، لهذا التجأ إلى سيدة غنية رحبت به في منزلها، لكنه لم يحتمل البقاء كثيراً هناك، لأنه كان لهذه السيدة ابن بالتبني اسمه بولس وكان أحد رؤساء الهرطقة بمدينة الإسكندرية، فلم يرد أوريجينيس أن يختلط به ولا أن يشترك معه في صلاة حسب قانون الكنيسة. فترك أوريجينيس بيت السيدة الغنية وعمل في تدريس الأدب الديني والنحو لينفق على نفسه وعلى عائلته<sup>١١</sup>. ولما اشتد الاضطهاد على معلمي الإيمان المسيحي في مدينة الإسكندرية وأغلقت مدرستها اللاهوتية التي كان يقوم القديس كليمنس بالتدريس فيها ورغب بعض الأميين في التعليم وفي تعلم الإيمان المسيحي، رجوا أوريجينيس أن يتولى هو هذا العمل، فقبل الأخير إذ وجد في تدريسه للأميين الأدب والنحو فرصته للشهادة للإيمان المسيحي قدر ما تسمح الظروف، فكان يسلط الضوء على ما تحته الكتابات اللاهوتية من مكانة في الكتابات اليونانية. وبهذا اجتذب أوريجينيس بعض الوثنيين الذين جاءوا يطلبون أن يسمعو منه عن التعاليم المسيحية وكان من بينهم بلوتارخوس الذي نال إكليل الاستشهاد وأخوه هيراقليس (ياروكلاس) الذي صار بطريركاً على الإسكندرية. ولأنه كان يقوم بالتدريس في المنازل وبسبب حضور نسوة كي يستمعن إلى محاضراته، ولكي لا

<sup>١٠</sup> يوسيبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، (الكتاب ٦، الفصل ٢، الفقرة ٦).

<sup>١١</sup> يوسيبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، (الكتاب ٦، الفصل ٢، الفقرة ١٥).

تحدث عشرة، رأى أن ينفذ حرفياً ما ورد في الإنجيل أن أناساً خصوصاً أنفسهم من أجل ملكوت الله (مت ١٢:١٩)، ويبدو أنه قدم توبة على هذا الفعل بعد ذلك، ولكن البابا ديمتريوس بطريرك الإسكندرية كان له تحفظ على هذه الفعلة وقد استخدمها ضده.

وإذ تُركت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية بلا معلم بسبب الاضطهاد ونياحة القديس كليمنس، قام البابا ديمتريوس بتعيين أوريجينيس رئيساً للمدرسة عام ٢٠٢م، إذ لم يجد لهذه المهمة من هو أفضل منه؛ فقد كان يمتاز بعبقرية نادرة وثقافة دينية ولاهوتية موسوعية<sup>١٢</sup>. فأوقف أوريجينيس كل نشاط له خاصاً بتعليم الأدب الديني والنحو حتى إنه باع كل كتبه الثمينة الأثيرة لديه، ليكرس حياته بالكامل للعمل الجديد الذي أوكل إليه كمعلم للموعوظين وذلك لمدة ثلاثين عاماً تقريباً جاذباً إليه جمعاً كثيراً من مسيحيين وأمم. وتلمذ على يديه كثيرون نذكر على سبيل المثال القديس أليكسندروس أسقف أورشليم الذي كان يتطلع إلى أوريجينيس كمعلمه وصديقه.

ونوجز فيما يلي دور العلامة أوريجينيس في تطور مدرسة الإسكندرية:

١. ألقى العلامة أوريجينيس بكل طاقاته لا لدراسة الكتاب المقدس والتعليم به فحسب، بل لتقديم حياته مثلاً للحياة الإنجيلية. في هذا يقول ق. غريغوريوس العجائبي: "لقد جذبنا بأعماله التي فعلها أكثر من تعاليمه التي علمنا إياها." واتسم أيضاً أوريجينيس بالحياة النسكية مع ممارسة الصلاة بكونها جزءاً لا يتجزأ من الحياة النسكية، تسنده في تحرير النفس ودخوله إلى الاتحاد بالله بطريقة

<sup>12</sup> Θ. Δετοράκης, Βυζαντινή Φιλολογία, Τὰ πρόσωπα καὶ τὰ ἔργα, τόμ. α', σ. 81.

أعمق. وكان يرى في الصلوات أمرًا ضروريًا لنوال نعمة خاصة من قبل الله لفهم كلمة الله. كما رأى أن الإنسان ينمو في الاتحاد مع الله من خلال حفظ البتولية؛ إذ ينسحب عن العالم وهو بعد يعيش فيه، مقدمًا تضحية في أمور الترف قدر ما يستطيع، محتقرًا المجد البشري.

٢. في البداية ركز أوريجينيس على إعداد الموعوظين وتهيئتهم للعماد، لا بتعليمهم الإيمان المسيحي فحسب، وإنما بتقديم التعاليم الخاصة بالحياة المسيحية العملية أيضًا.

٣. لم يقف عمل العلامة أوريجينيس عند تهيئة الأعداد الضخمة المتزايدة لنوال سر العماد، وإنما كان عليه بالبحري أن يهيئهم لقبول إكليل الاستشهاد، فكان كل من يقترب إليه إنما كان بالبحري يجري نحو الاستشهاد.

٤. يعد أعظم أثر لأوريجينيس على مدرسة الإسكندرية هو تركيزه على تفسير الكتاب المقدس بطريقة رمزية (مجازية). وقد كرّس حياته كلها لهذا العمل، حتى نسب هذا المنهج التفسيري لمدرسة الإسكندرية ولأوريجينيس.

وحوالى عام ٢١١م زار أوريجينيس روما، حيث وجد فرصة مواتية لمتابعة عظة للقديس هيبوليتس عن "كرامة المخلص"، وبعد إقامة قصيرة هناك عاد إلى الإسكندرية. وإذ كان جمهور تلاميذه يلتقون حوله من الصباح حتى المساء، رأى أوريجينيس أن يقوم بتعميق الفكر الدراسي وتقسيم الدارسين إلى فصلين، واختار تلميذه هيراقليس ليدرس المبتدئين المبادئ الأولى للتعاليم المسيحية، أما هو فكرّس وقته لتعليم المتقدمين العلوم اللاهوتية والفلسفة معطياً اهتماماً خاصاً للكتاب المقدس<sup>١٣</sup>. ومن خلال هذا التكامل العلمي

<sup>١٣</sup> يوسيبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، (الكتاب ٦، الفصل ١٥).

الغني أخذت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية شكلاً جديداً متألقاً. وقد قام أوريجينيس بعدة رحلات إلى بلاد العرب، أولها حوالي عام ٢١٤م، حيث ذهب إليها بناء على دعوة من حاكم تلك البلاد الذي كان يرغب في التعرف على التعاليم المسيحية منه. وكذلك حوالي عام ٢١٦م، حين نهب الإمبراطور كاراكلاً (Caracalla) مدينة الإسكندرية وأغلق مدارسها واضطهد معلميها وذبحهم، قرر أوريجينيس أن يذهب إلى فلسطين، وهناك رحب به صديقه القديم أليكسندروس أسقف أورشليم، كما رحب به ثيوكتستوس أسقف قيصرية، اللذان دعياه ليشرح الكتاب المقدس للشعب في حضرتهما. وقد أدى ذلك إلى غضب البابا ديمتريوس السكندري جداً، لأنه حسب عادة الكنيسة المصرية لا يستطيع غير الكاهن أن يعظ في حضرة الأسقف، فأمره بالعودة إلى الإسكندرية سريعاً، فأطاع وعاد<sup>١٤</sup>، وبدأت الأمور تسير كما كانت عليه قبلاً.

ومع بداية حكم إسكندر سيفيروس (٢٢٢م - ٢٢٥م) أرسلت يوليا ماميا (Julia Mamaea) والدة الإمبراطور حامية عسكرية تستدعي أوريجينيس إلى أنطاكية ليشرح لها بعض الأسئلة، وقد استجاب للدعوة ثم عاد إلى مدرسته<sup>١٥</sup>. كما أرسل العلامة أوريجينيس إلى اليونان لضرورة ملحة تتعلق ببعض الشئون الكنسية. وذهب إلى آخائية ليعمل صلحاً، وكان يحمل تفويضاً كتابياً من بطريركه، وفي طريقه عبر بفلسطين، وفي قيصرية سامه أسقفها قسماً، حيث بدأ للأساقفة أنه لا يليق بمرشد روحي مثل أوريجينيس بلغ أعلى المستويات الروحية والدراسية أن يبقى غير كاهن. وقد أرادوا أيضاً أن يتجنبوا المخاطر التي يثيرها البابا ديمتريوس بسماحهم له أن يعظ

<sup>١٤</sup> يوسيبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، (الكتاب ٦، الفصل ١٩، الفقرة ١٧).

<sup>١٥</sup> يوسيبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، (الكتاب ٦، الفصل ٢١، الفقرة ٣-٤).

وهو "علماني" في حضرتهم. وقد اعتبر البابا هذه السيامة أكثر خطأ من التصرف السابق، حاسباً إياها سيامة باطلة لسببين: الأول، أن أوريجينيس قد قبل السيامة من أسقف آخر غير أسقفه، دون أخذ تصريح من الأسقف التابع له؛ والسبب الثاني أن أوريجينيس كان قد خصى نفسه، وهذا يحرمه من نوال درجة كهنوتية. ولم يحتمل البابا ديمتريوس هذا الموقف فدعا لانعقاد مجمع من الأساقفة والكهنة بالإسكندرية عام ٢٣١م حيث رفض المجمع القرار السابق (وهو بطلان السيامة) مكتفين باستبعاده من التعليم في مصر. ولم يرض البابا بهذا القرار فدعا مجعاً من الأساقفة وهدمهم عام ٢٣٢م، وقام بإعلان بطلان كهنوته واستبعده من الأسكندرية. وأرسل البابا السكندري القرار إلى كل الإيبارشيات، فدعا بونتياس Pontias أسقف روما مجعاً أيّد فيه القرار، وهكذا فعل كثير من الأساقفة، فيما عدا أساقفة فلسطين والعربية وآخائية وفينيقية وكبادوكيا الذين رفضوا القرار. وهكذا اضطر المعلم العظيم أن يهجر المدينة التي وُلد وعمل ودرس بها واستقر به المقام في قيصرية فلسطين محتملاً بشجاعة ورباطة جأش رياح التجارب<sup>١٦</sup>. والجدير بالذكر أنه لا يتوفر لدينا - حتى الآن - أي سند تاريخي يؤكد الرأي القائل بأن أوريجينيس قد تمت محاكمته أمام أي مجمع في تلك الفترة أو أنه قد صدر أي قرار ينص على كونه هرطوقياً. ولكن ما حدث هو أن البابا ديمتريوس قد قام بعمل مجمع مكاني أقر بكون أوريجينيس لم يعد يخدم في كنيسة الإسكندرية حيث أنه خالف النظام المتبع وقبل كهنوتاً بغير إذن أسقفه، أي أنه كان قراراً ادارياً يخص النظام الكنسي المتبع، ولم يُحكّم عليه بكونه هرطوقياً آنذاك.

<sup>16</sup> Ὁρθοσκευτικὴ καὶ Ἠθικὴ Ἐγκυκλοπαιδεία, τόμ. 12, Ἀθήναι 1968, σ. 577.

وقد اضطر أوريجينيس أن يدافع عن نفسه ضد الاتهامات الخطيرة التي وجهت ضده. فقد أورد روفينوس في كتابه "عن الغش" (De Adulteratione) نبذة طويلة من خطاب كان قد وجهه أوريجينيس إلى أصدقاء له في الإسكندرية يشكو فيه من الملقين الذين غيروا بعض فقرات من كتبه وشوهوها، ومن الذين نشروا في العالم المسيحي كتباً مزورة ليس من العسير أن نجد فيها ما يستحق السخط. كذلك يعرفنا القديس جيروم بوجود خطاب آخر كتبه أوريجينيس إلى فابيانوس أسقف روما يتهم فيه صديقه أمبروسيوس بأنه قد تسرع ونشر أحد كتبه في وقت غير مناسب وقبل أن يكمله أوريجينيس. كما جاء في مقاله الخامس والعشرين على إنجيل لوقا: "إنه من دواعي سرور أعدائي أن ينسبوا لي آراء لم أكن أتصورها ولا خطرت ببالي".

وبتشجيع من أسقف قيصرية فلسطين ثيؤكتيستوس، أسس أوريجينيس هناك مدرسة لاهوتية استمرت حتى نياحته وقد رأسها قرابة سبعة عشر عاماً من عام ٢٣٢م إلى عام ٢٤٩م<sup>١٧</sup>. وقد جذب أوريجينيس تلاميذ عديدين منهم القديس غريغوريوس صانع العجائب وأخوه أثينادوروس، وقد درس التلاميذ في هذه المدرسة فقه اللغة اليونانية والهندسة والفلك ثم الأخلاق والفلسفة ثم أخيراً علم اللاهوت. وخلال حكم الإمبراطور جورديانوس (حوالي عام ٢٤٠م) دُعي أوريجينيس إلى العربية عدة مرات ليتناقش مع الأساقفة وقد أشار المؤرخ يوسيبوس إلى اثنتين من هذه المناقشات، نذكر منهما أنه في عام ٢٤٤م انعقد مجمع عربي لمناقشة وجهة نظر الأسقف بيريلوس في شخص الرب يسوع المسيح وقد انعقد هذا المجمع على مستوى واسع

<sup>17</sup> Θ. Δετοράκης, Βυζαντινή Φιλολογία, Τὰ πρόσωπα καὶ τὰ ἔργα, τόμ. α', σ. 81.

وأدين فيه الأسقف بسبب قوله إن الله أقنوم واحد، وقد حاولوا باطلاً إقناعه أن يعود إلى الإيمان المستقيم. وقد أسرع أوريجينيس إلى العربية ونجح في إقناع الأسقف الذي يبدو أنه بعث إليه برسالة شكر، وصار من أكبر المدافعين عنه.

وفي أيام الإمبراطور ديكْيوس (٢٤٩م - ٢٥١م)، ثار الاضطهاد مرة أخرى، فألقي القبض على أوريجينيس حيث تعرض للتعذيب ووضع في طوق حديدي ثقيل وألقي في السجن الداخلي، وربطت قدماه في المقطرة أياماً كثيرة، وهُدد بأن يعدم حرقاً. ولكنه احتمل هذه العذابات بشجاعة، وإن كان لم يمت أثناءها، لكنه مات بعد فترة قصيرة، ربما متأثراً بالآلام التي لحقت به. وقبل أن يموت أرسل إليه البابا السكندري ديونسيوس الذي خلف هيراقليس، رسالة "عن الاستشهاد"، لعله بذلك أراد أن يجدد العلاقة بين العلامة السكندري أوريجينيس وكنيسة الإسكندرية. وفي عام ٢٥٤م رقد أوريجينيس في مدينة صور في لبنان تقريباً<sup>١٨</sup> وكان عمره ٦٩ عاماً، تاركاً تراثاً ضخماً من تفاسير الكتاب المقدس، ومقدماً منهجه الرمزي في التفسير، وإن كان قد ترك أيضاً بلبله شديدة في الكنيسة حول تعاليمه وقد تسببت في انقسامات ومتاعب لا حصر لها حتى بين الرهبان. وقد اهتم مسيحيو صور بجسده اهتماماً عظيماً فدفنوه إزاء المذبح وغطوا قبره بباب من الرخام نقشوا عليه: "هنا يرقد أوريجينيس العظيم".

وينتمي أوريجينيس إلى جماعة القادة الروحيين الذين أسسوا مدارس ولهم أثر واضح على التطورات الفكرية. وقد حاول جاهداً أن يعلي من شأن الإيمان المسيحي بمعرفة منظمة، أي بطريقة علمية

<sup>18</sup> Θ. Δετοράκης, Βυζαντινή Φιλολογία, Τα πρόσωπα και τὰ ἔργα, τόμ. α', σ. 81.



على أسس فلسفية. ولكي يكتسب البنية الفلسفية الضرورية لهذا العمل تتلمذ على يد المعلم السكندري الشهير أمونيوس ساكاس. وقد قام بتطبيق المبادئ النظامية للفلسفة اليونانية على التفسير الروحي للكتب المقدسة. ورغم أنه في بعض الأمور كان قد مال عن تعاليم الكنيسة، إلا أنه أثرى الفكر اللاهوتي وأثر كثيراً في مسيرته<sup>19</sup>. ويعزى إلى أوريجينيس إدخال التعبيرات اللاهوتية الأساسية مثل: (φύσις) "طبيعة"، (ὑπόστασις) "أقنوم"، (ὁμοούσιος) "واحد في ذات الجوهر"، والتي أصبحت بعد ذلك أساس المناقشات اللاهوتية.

وقد امتد تأثير العلامة أوريجينيس إلى آباء القرن الرابع مثل القديس باسيليوس الكبير والقديسين غريغوريوس والقديس ديديموس الضرير وإيفاجريوس البنطي وكثيرين آخرين الذين استقوا من تعاليمه واستخدموا مصطلحاته وأفكاره. ومن شدة تأثير العلامة أوريجينيس وإعجاب الكثيرين به قام القديسان باسيليوس الكبير وغريغوريوس النزينزي بتجميع "أنثولوجيا" من أعمال أوريجينيس التفسيرية والتي سماها "فيلوكاليا" (Φιλοκαλία) أي مقتطفات.

ومن المفارقات الغريبة أن العلامة أوريجينيس قد حُرم من بعض الجامع، في حين اعترف بأصدقائه وتلاميذه قديسين مثل القديس غريغوريوس صانع العجايب. وبالمثل سبب العلامة أوريجينيس اعتراضات شديدة واتهم بأنه أذكي نار الهرطقات حتى إن مقالاً مختصراً ينسب للإمبراطور جوستينيان (٥٤٢م - ٥٤٣م) في شكل أمر ملكي يتضمن عشرة حرومات ضد أوريجينيس. وقد قبل هذا الأمر الملكي مجمعُ القسطنطينية المحلي والبابا فيجيليوس بابا روما،

<sup>19</sup> Θ. Δετοράκης, Βυζαντινή Φιλολογία, Τὰ πρόσωπα καὶ τὰ ἔργα, τόμ. α', σ. 81.

كما حرم مجمعُ القسطنطينية الخامس (٥٥٣ م.) الأوريجينية تماماً<sup>٢٠</sup>.

## كتاباتُه

يُعد أوريجينيس أحد أكثر معلمي الكنيسة وآبائها كتابةً وأغزرهم تأليفاً عبر كل العصور! وقد تساءل القديس جيروم في رسالته إلى باولا بخصوص هذا الشأن قائلاً: "هل يستطيع أحد أن يقرأ كل ما كتبه أوريجينيس؟" (الرسالة رقم ٣٣). وقد اختلف الكتاب القدامى بخصوص عدد ما كتبه أوريجينيس، فها هو إبيفانيوس يقول إن أوريجينيس كتب حوالي ٦٠٠ كتاب (باناريون ٦٣، ٦٤)، في حين يؤكد يوسيبوس القيصري أنه قام في "سيرة بامفيلوس" بعمل حصر شامل لأعمال أوريجينيس التي كانت موجودة ومحفوظة في مكتبة قيصرية فلسطين. وقد قام القديس جيروم بنسخ هذا الحصر الشامل المفقود حالياً والذي يخبرنا بأنه كان يحوي حوالي ٢٠٠٠ كتاب. وهذه الأعداد الكبيرة من الكتب إنما تتم عن جلده واحتماله الشاق في الكتابة الروحية المستمرة والتي بسببها دعي "أدامانتيوس" أي "الماسي" و"خالكينتروس" أي "الفولاندي". ويبدو أن أوريجينيس قد ولد لكي يعظ ولكي يكتب. ومن الواضح أنه كانت لديه الأدوات اللازمة لهذا؛ إذ إنه كان يعرف اللغة اليونانية تمام المعرفة وكذلك كان مطلعاً على الأدب اليوناني الكلاسيكي والنظم الفلسفية القديمة والكتب المقدسة وتاريخ الفكر المسيحي.

وكثيراً ما كان أوريجينيس يدون أفكاره بنفسه عندما كان يتوفر له الوقت لهذا، أو كان يقوم هو بإملاء عظاته ومحاضراته على كتبة يقومون هم بتدوين ما يلقيه عليهم. ولذا غالباً ما نجد أن أعماله تشهد بهذا الأسلوب؛ إذ إنها تتكون من مجموعة من

<sup>20</sup> Θ. Δετοράκης, Βυζαντινή Φιλολογία, Τὰ πρόσωπα καὶ τὰ ἔργα, τόμ. α', σ. 82.

الموضوعات المتفرقة التي كان يلقيها على سامعيه. وبعض الأعمال كانت تعيبتها هنات لأنها كانت تحتوي على الكثير من الإطناب والإعادات ونقص الأسلوب المنمق. ونادراً ما كان يجد أوريجينيس الفرصة ليعيد النظر فيما كتبه وأعدّه الكتب من ملاحظاتهم المدونة.

وفي عام ٢٢٠م ارتبط بأوريجينيس أمبروسيوس الذي كان قبلاً ينتمي إلى بدعة فالنتيانوس ثم انضم إلى العقيدة الأرثوذكسية وصار صديقاً لأوريجينيس وتابعاً له حتى إنه أصبح ناشر أعمال أوريجينيس متكفلاً بكل ما تتطلبه عملية التحرير والنسخ. ومن كثرة إلحاح أمبروسيوس على أوريجينيس لتدوين أعماله ونشرها كان الأخير يشكو من أن أمبروسيوس لا يدعه يستريح ولو قليلاً لا أثناء الليل ولا حتى وقت الأكل. ويعتبر أمبروسيوس أقدم ناشر كتب معروف حيث كان يهدف إلى تزويد كلية اللاهوت الإسكندرية بالمالزم اللازمة ونشر أعمال أوريجينيس على مستوى واسع. ويبدو أن أمبروسيوس كان يتعجل الغرض الثاني حتى إنه كان ينشر خفية أعمال أوريجينيس قبل أن يقوم أوريجينيس نفسه بمراجعتها ليطمئن من جهة خلوها من أية أخطاء واردة.

وقد دَوّنَ أوريجينيس معظم كتاباته بعد سن الثالثة والعشرين عندما انتقل للعيش في قيصرية فلسطين حوالي عام ٢١٨م، وبعضها دونه في الإسكندرية، والبعض الثالث أثناء إقامته القصيرة في أثينا تيروس ونيقوميديا. وقد فُقدَ معظم كتابات أوريجينيس وربما يرجع السبب في ذلك إلى فترات الاضطهاد التي كانت تزداد فيها ملاحقة الكتاب المسيحيين وحرق كتبهم، ولكن الأمر زاد بالنسبة لأوريجينيس نتيجة اتهامه بعد ذلك بالهرطقة.

يُعتبر "الهيكسابلا" (Ἑξάπλω) أهم أعمال أوريجينيس

على الإطلاق، فهو عمل نقدي لغوي رائع لنص العهد القديم، أتمه أوريجينيس في قيصرية فلسطين بين عامي ٢٣٢م و٢٥٤م، ففي ستة أعمدة متوازية (ومن هنا جاء عنوانه "الهيكسابلا" أي "الكتب الستة" باليونانية) وضع أوريجينيس النصوص التالية:

العمود الأول: النص العبري.

العمود الثاني: النص العبري بأحرف يونانية.

العمود الثالث: ترجمة أكويلا<sup>٢١</sup>.

العمود الرابع: ترجمة سيمّاخوس<sup>٢٢</sup>.

العمود الخامس: الترجمة السبعينية.

العمود السادس: ترجمة ثيودوتيون<sup>٢٣</sup>.

وكان أوريجينيس يرى أن التفسير الصحيح للنص المقدس يتطلب نصاً موثقاً محققاً ناتجاً عن مقارنة بين كل النصوص الأساسية الموجودة. وبهذا العمل يُعد العلامة أوريجينيس، حسب ما هو معروف، أول عالم مسيحي يجري دراسة على النص الكتابي. ونجد أن اقتباسات العهد القديم عند أوريجينيس هي من السبعينية.

<sup>٢١</sup> ترجمة أكويلا (Aquila) الذي يقال إنه كان يهودياً دخلياً بنطي الجنس، وقام بهذه الترجمة في حوالي عام ١٣٠م. ويقال إن الدافع له للقيام بهذه الترجمة هو مقاومة ما كان للسبعينية من نفوذ، وبخاصة في استخدام المسيحيين لها في حوارهم مع اليهود، وكذلك إعادة ترجمة الفصول التي كان يستشهد بها المسيحيون من العهد القديم، ويطبونها على الرب يسوع المسيح. وكان يغلب على ترجمته طابع الدقة الذي قد يصل إلى حد الترجمة الحرفية. ولا شك في أن تمسك أكويلا بالترجمة الحرفية جعل ترجمته مرجحاً هاماً في تحقيق النصوص، ولكن لم يصلنا منها سوى شذرات متفرقة في الهيكسابلا.

<sup>٢٢</sup> ترجمة سيمّاخوس (Symmachus) قد ظهرت نحو نهاية القرن الثاني الميلادي بعد ترجمة أكويلا، ويقال إنه كان هرطوقياً من الأبيونيين، ويبدو أن ترجمته كانت يونانية فصيحة ولكن متحررة، ولكن لم يصلنا منها سوى شذرات متفرقة في الهيكسابلا أيضاً.

<sup>٢٣</sup> ترجمة ثيودوتيون (Theodotion) الذي كان يهودياً دخلياً من أفسس وهرطوقياً من الأبيونيين، وقد ظهرت ترجمته أيضاً نحو منتصف القرن الثاني الميلادي. وكانت تلك الترجمة مبنية، في أغلب أجزائها، على الترجمة السبعينية، حيث يبدو أنه قد أجرى عليها بعض التنقيح على أساس النص العبري. ولم تكن ترجمته حرفية مثل ترجمة أكويلا، وفي نفس الوقت لم تكن متحررة مثل ترجمة سيمّاخوس، وكانت معرفته بالعبرية محدودة، ولم يكن في مقدوره القيام بالترجمة بدون وجود السبعينية.

وكان إسهامه الرئيس في علم الكتاب المقدس هو محاولة تأسيس نص مدقق للترجمة السبعينية، وتحديد العلاقات التفسيرية بين اليهود والمسيحيين لأن التلاميذ اليهود كانوا يتناحرون مع زملائهم المسيحيين بخصوص أن النصوص العبرية التي يستخدمها المسيحيون لتأييد آرائهم بشأن شخصية ربنا يسوع المسيح ليست متضمنة في نصوصهم العبرية. ومن أجل هذا الهدف العظيم، الذي يُعد أساس علم التدقيق النصي للكتاب المقدس، قرر أوريجينيس أن يدرس هذه النصوص؛ إذ كان قد درس اللغة العبرية قبل ذلك الوقت وكرس ثمانية وعشرين عاماً ليجمع مادته من جميع أنحاء العالم المسيحي من حيث المخطوطات المختلفة وكذلك ترجمات السبعينية. وقد بدأ أوريجينيس هذا العمل في مدينة الإسكندرية ولكنه أكمله في قيصرية وأودع في مكتبة هناك، ولم يتم نسخه أبداً؛ إذ فقد ربما في القرن السابع الميلادي ولم يتبق منه سوى شذرات قليلة.

أما عمله "ضد كيلسوس" (Κατὰ Κέλσου) فيُعد من أهم أعمال أوريجينيس الدفاعية وقد حُفظ هذا العمل كاملاً في ثمانية كتب. وقد قام أوريجينيس في هذا العمل، بطريقة تستحق الإعجاب وبأدلة كتابية وأسانيد فلسفية، بتفنيد آراء الفيلسوف الأممي كيلسوس التي كان قد نشرها في أول كتاب عدائي وثني منظم ضد المسيحية<sup>24</sup> بعنوان "القول الحقيقي" (Λόγος ἀληθής) عام 178م. ورغم أن عمل كيلسوس هذا قد فقد إلا أنه بفضل عمل أوريجينيس ضده يمكن جمع حتى ثلاثة أرباعه.

ويُعتبر كتاب "عن المبادئ" (Περὶ ἀρχῶν) (أربعة كتب) أكبر عمل نظري شاهد على تربية أوريجينيس اليونانية - المسيحية. وقد سعى أوريجينيس في هذا العمل لتأسيس علم اللاهوت المسيحي على

<sup>24</sup> Ὁρθοσκευτικὴ καὶ Ἠθικὴ Ἐγκυκλοπαιδεία, τόμ. 12, σ. 582.

أسس فلسفية، مستخدماً البنية النظرية للفلاسفة اليونانيين القدماء. هذا هو العمل الذي اعتبر بعد ذلك خطراً على التعليم المسيحي وأدى إلى إدانة أوريجينيس.

وقد تميز أوريجينيس كمفسر للنصوص الكتابية ولم يأل جهداً في سبيل إتمام هذا العمل؛ ولهذا يُعد من أوائل المفسرين وأكثرهم تميزاً في هذا المجال؛ إذ لم يترك أي جزء من نصوص الكتب المقدسة بدون تفسير بداية من سفر التكوين حتى سفر الرؤيا. وقد استخدم أوريجينيس طريقة التفسير المجازي السكندرية الشهيرة والتي طورها إلى حد المغالاة وكتب بها العديد من التفاسير والعظات. وقد حفظ القليل من هذه التفاسير في الأصل اليوناني ولكن الأغلبية منها قد فقدت أو حفظت على شكل شذرات أو ترجمات باللغة اللاتينية التي قام بها روفينوس.

وتختلف "التعليقات" (Σχόλια) عن "التفاسير"؛ إذ إن التعليقات تعتبر مجرد ملاحظات تفسيرية مختصرة لنصوص من الكتب المقدسة صعبة الفهم. ولم يتبق من مثل هذه التعليقات إلا النزر اليسير.

أما "العظات" (Ὁμιλίες) فقد ظهرت في مرحلة لاحقة في حياة أوريجينيس؛ إذ سمح لكتبة أن يقوموا بتدوين عظاته منذ عام ٢٤٥م تقريباً. وكانت عظات أوريجينيس تُلقى على القراءات اليومية في الكنيسة أو على أجزاء أخرى منتخبة من الكتب المقدسة ومنتقاة بقصد زرع مبادئ الأخلاق وتقوية إيمان الشباب المسيحي، ولهذا جاءت في شكل أخلاقي وتفسير روحي أكثر منها مناقشة الموضوعات اللاهوتية.

ويبقى أوريجينيس بشخصيته المحيرة؛ ولكنه رغم كل شيء هو شخصية مسيحية فذة، عالية الأخلاق، ومتعددة المواهب ويعتبر بحق

رائدًا وعالمًا وفيلسوفًا ومعلمًا جريئًا ظهر في زمن لم يكن فيه التعبير عن الإيمان قد وصل إلى كمال نضجه.

ونعيد هنا ما ذكرناه في مقدمة كتابنا "القدیس یوستینوس الفيلسوف والشهيد - الدفاعان والحوار مع تريفون ونصوص أخرى" وهو أننا حين نحلل الفكر اللاهوتي لآباء القرون الثلاثة الأولى ونخص هنا أوريجينيس بالتحديد ينبغي أن نتذكر أنه ليس لدينا تصور كامل وشامل لتعليمه عن الإيمان المسيحي لأن نسخ كتاباته الأصلية قد فُقدت تمامًا، بل وقد اشتكى هو نفسه من تحريف بعض أفكاره والذي تم في حياته، ولا يمكن للنصوص المتوفرة لدينا أن تعطي صورة جدية أو كاملة عن الفكر اللاهوتي له. والنقطة الأخرى التي يجب أيضًا أخذها في الاعتبار عند التعامل مع كتاباته أن الشرح اللاهوتي للإيمان في القرن الثالث كان لا يزال في مهده، كما أن التعبيرات اللاهوتية لم تكن قد صيغت بشكل محدد بعد، ولم يكن هو - فيما ذكره من أمور لاهوتية - يعارض فكرًا لاهوتيًا مستقرًا من قبل في الكنيسة بل كان يقدم محاولة جادة - وإن جانبها الصواب في بعض نقاط - لشرح الإيمان، وفي هذا تكمن ريادته كما سبق القول. لذا فنحن عندما نقرأ لأوريجينيس يجب أن نتعامل مع أفكاره بطريقة تتناسب مع الظروف والملابسات الخاصة بزمنه والتي تختلف عن الطريقة التي يجب أن نتعامل بها مع تعاليم الآباء الذين جاءوا بعده، مثل القديس أثناسيوس والقديس كيرلس. وفي الحقيقة يكون من الخطأ بل والظلم أن نقوم بتقييم الفكر اللاهوتي لأوريجينيس على خلفية الفكر اللاهوتي الذي اكتمل نضوجه في الكنيسة في القرن الرابع.

ومن هذا المنطلق قام مركز باناريون للتراث الأبائي بترجمة ونشر الكتاب الأول للعلامة أوريجينيس "عظات على سفر التكوين" ضمن

"النصوص المسيحية في العصور الأولى"

وهذا الكتاب هو ترجمة عربية عن اللغة الفرنسية من سلسلة "المصادر المسيحية" (Sources Chrétiennes) المجلد ٧م، التي تصدر بمدينة ليون بفرنسا. ومن الجدير بالذكر أنه بعد المراجعة من اللغة الفرنسية تمت مراجعة الترجمة العربية مرة أخرى وضبطها على الترجمة اللاتينية التي تمت عنها الترجمة الفرنسية.

نسأل الله أن يبارك في هذا العمل.

وللثالوث القدوس المجد والإكرام والسجود الآن وإلى الأبد آمين.

الناشر

٣٠ باب ١٧٣٢ش - ١٠ نوفمبر ٢٠١٥م

تذكار ظهور رأس القديس مارمرقس الإنجيلي





# تمهيد<sup>١</sup>

---

<sup>١</sup> هذا التمهيد هو مقدمة الترجمة الفرنسية بتصريف.



## أولاً: أهمية العظات

عندما أنشئت في مدينة ليون الفرنسية عام ١٩٤٢ سلسلة "المصادر المسيحية" (Sources Chrétiennes) تحت رعاية الأب فيكتور فونتوانون، كان الأب دوترولو قد انتهى للتو من ترجمة عظات أوريجينيس على سفر التكوين، وكان عدد قليل من النصوص مناسباً لإعداد أحد الأجزاء الأولى من هذه السلسلة. وإذا كان تفسير الكلمة المقدسة يعد نوعاً رئيساً في مجال أدب الآباء، فإن عظات أوريجينيس على سفر التكوين تعد إحدى الكتابات الأشد تأثيراً في هذا المضمار. ومع ذلك فلا يفي هذا القول بالغرض المقصود، لأن هذا العمل يعد عملاً فاصلاً في ذلك المجال، فعبقرية أوريجينيس قد أظهرت من خلاله تعبيراً كاملاً عن سر المسيحية المخفي من منظور جامع ملموس. لهذا فهي عظات على جانب كبير من الأهمية ليس فقط من أجل تاريخ تفسير الكلمة المقدسة ولكن أيضاً من أجل تاريخ الفكر والحياة الروحية المسيحية.

وقد ظل تفسير الكلمة المقدسة باللاتينية في العصور الوسطى ولقرون طويلة يعتمد قبل كل شيء على عمليتين أساسيتين هما عظات أوريجينيس (التي يجب أن يضاف لها التعليق على سفر نشيد الأنشاد) من ترجمة روفينوس، والأخلاقيات من سفر أيوب للقديس غريغوريوس (التي تم استكمالها بعظات في سفر حزقيال). علماً بأن القديس غريغوريوس كان يدين بالكثير لأوريجينيس.

وعلى الرغم من عدم نفي هذا الأمر فلم يشر إليه أحد أو على الأقل لم يهتم أحد بالإشارة إليه ولم يعترف أحد بحجمه الهائل، بيد أن دوم جان لوكلير هو لحسن الحظ من تفاعل ضد هذا التجاهل المعتاد عند بحثه حول مصادر القديس برنارد. والحقيقة أنه لو كانت

هناك وحدة حقيقية لتفسير الكتاب المقدس في العصور الوسطى على الرغم من اختلاف المدارس التفسيرية والمدارس الأدبية والحقب الدينية والقرون، وإن كانت كذلك النهضتان الكبيرتان في العصور الوسطى في القرنين التاسع والثاني عشر، برغم التباين الواضح في العقلية والتوجهات، لا تمثلان عصرين متناقضين ولكن فترتين من كيان واحد، فالأمر يرجع غالباً إلى أثر أوريجينيس (المشترك) على الحقبين.

وقد أهمل مؤرخو أوريجينيس في معظم الأحيان تلك العظات ولم ينظروا إليها بعين الاعتبار. والدافع واضح فهي كلها موجودة في ترجمة يشكك فيها البعض. وهي مصنفة كجنس أدبي من الدرجة الثانية ومن المعتاد ألا يوليها أحد إلا أهمية ضعيفة مقارنة بكتاب "عن المبادئ" (περὶ ἀρχῶν) الذي في المقابل أخرج منه الكثيرون مجمل أفكار الواعظ السكندري. والعظات المشار إليها صادرة عن شخص كانت شخصيته دائماً محل خلاف<sup>2</sup>. كما أن تلك العظات تهتم كثيراً بالروحانيات، وهذا مجال لا يحب الكثير من النقاد الخوض فيه، بل يفضلون ألا يرتادوه. وأخيراً هناك طابع التصوير الرمزي المجازي الذي يغلب على تلك العظات والذي يعترض الكثيرون على الصور الخيالية التي تحويه بحق أو بغير حق.

تلك الاعتراضات تعوق النقاد عن التمييز بين النقد المثير للجدل والأصل الصلب، وبسبب هذا الاضطراب في التمييز تم التعامل مع الثانوي باعتباره جوهرياً وتضاعفت المفاهيم الخاطئة. كما حدث ابتعاد عن النصوص المطروحة، تلك النصوص التي استطاعت عقلية عظيمة أن تعد من خلالها لعدة أجيال غذاءً فكرياً عظيماً. علاوة على هذا فإن الجدل الذي نتج عن الإصلاح الديني قد أضر

<sup>2</sup> See: Histoire et Esprit (1950) et Exégèse médiévale, t. I (1959).

كثيرا بأوريجينيس ولا سيما بعظاته، فرفض لوثر له هو أمر معلوم للكافة. وبشكل عام فإن الجدليين البروتستانت فيما مضى كانوا ينكرون ثلاثة أشياء على آباء الكنيسة في ألفاظ لا يرغب معظمنا في استعادتها الآن، فمنذ البداية كانوا يرون غزواً ثلاثياً من الحضارة الهلينية الوثنية لإفساد الإيمان الكتابي ويشمل هذا: غزو الفلسفة فيما يتعلق بالعقيدة؛ وغزو التصوف فيما يتعلق بالروحانية، وغزو المجاز فيما يتعلق بتفسير الكلمة المقدسة. وبينما كان من المفترض أن يهدأ الموقف العدائي لقدماء الجدليين، تم إحياءه من خلال سوء الفهم الذي أتى به "عصر التنوير".

وقد ساهمت روح الأدباء الرسميين المضادة للتصوف وعقولهم المحدودة في قسوة الحكم على أوريجينيس، فلنقرأ مثلاً مؤرخ الكنيسة الكبير موشايم (Mosheim) أو مؤرخ التفسير جان جورج روزنمولر (Jean Georges Rosenmüller) فنجد أن هؤلاء الكتاب قد أصدروا لنا سلسلة من الأحكام تم تناقلها فيما بعد على لسان الكثير ممن جاءوا بعدهم. ولكن للمفارقة العجيبة صارت تلك الأحكام منذ ذلك الوقت تصدر على لسان الكتاب الكاثوليك أنفسهم، فقد حدث انقلاب في هذا الأمر من النقيض إلى النقيض، فما كان يعد بمثابة تجديف آثم بالنسبة للكثيرين من آباءنا الكاثوليك في القرنين السادس عشر والسابع عشر، تم اعتباره اليوم ك رأي نقدي جازم وفي مقام الحكم الصائب. وعلى مشارف الثورة الفرنسية، بدأ الفكر الكاثوليكي يتأثر بشدة بروح العصر، فيصاب بالأنيميا والهزال بسبب التبادل اللاشعوري مع الكتاب "المستقلين" من البروتستانت أو "العقلانيين" الذين يجب أن نعترف لهم بالتفوق العلمي في معظم الأحيان.

وفيما يتعلق بتفسيرات الآباء وخاصة تفسيرات أوريجينيس، فهناك

مؤرخون قد جاءوا بالعديد من الإيضاحات الجيدة التي تساعد على تعريف أفضل وفهم أعمق للنفس البشرية. فتعلمنا منهم كيفية الفهم بعد أن تركونا للحيرة، ولتلك الحيرة الأولية سحرها وفضلها. ولذلك فقد نالت ترجمة "عظات أوريجينيس على سفر التكوين" - التي كانت من أوائل ما نشرته سلسلة "المصادر المسيحية" (Sources Chrétiennes) - نجاحاً منقطع النظير، وقد نفذت الطبعة بمنتهى السرعة. ولكن صعوبات السلسلة الناشئة، في الفترة اللاحقة للحرب والاحتلال لم تسمح بإلحاق النص اللاتيني بها والذي يعود الفضل فيه لروفينوس الأكويلي. أما الآن فقد صار الأمر مهياً سلفاً وأصبحت هناك فرصة في هذه الطبعة الثانية لإعادة قراءة هذه العظات الشهيرة باهتمام متجدد. ومرة أخرى نقول إنها تعد ذات قيمة عليا حتى وإن اقتصر الأمر على قيمتها التاريخية التي لا تضاهى.

هنرى دي لوباك

١٩٥٨ - ١٩٧٥

## ثانياً: العظات في مواجهة النقد

### تاريخ العظات وموقعها

في الحقيقة لا يمكننا معرفة تاريخ العظات الخاصة بسفر التكوين بالتحديد، فمن المعلومات التي وافانا بها يوسيبوس<sup>٣</sup> وبامفيلوس<sup>٤</sup> وجيروم<sup>٥</sup> يمكننا الاستنتاج بأنها قد ألفت في قيصرية في العقد الرابع من القرن الثالث حين كان أوريجينيس في الستين من عمره. ويرجح أنها من العظات التي قد سمح للنساخ من مجيدي فن

<sup>٣</sup> H. E. VI, 36, 1

<sup>٤</sup> Apologie pour Origène, PG 17, 545 BC.

<sup>٥</sup> Lettre 33, à Paula, CSEL 54, p. 257.

الاختزال، بتدوينها مباشرة أثناء إلقاء الواعظ لها، ففي تلك الحقبة التي تمثل المرحلة الأخيرة من حياته ابتعد أوريجينيس عن الارتجال بما تعلمه في غضون خمس وعشرين سنة، ويرجوعه المستمر للكتاب وثقته في التعبير عن عقيدته وفي حسن نوايا مطران الإيباشية، لم يكن يزعجه أن تدون كلماته لحظياً. وقد كان يعرف أن صديقه ومضيفه أمبروسيوس سوف يعرف متى ينشرها في الوقت المناسب. ولكن لو استطعنا تصور حجم العمل الذي قام به أمبروسيوس والنساح العاملين معه لتبييض الخطب المختزلة قبلاً، فليس لدينا ما يشير إلى أي مدى استطاع أوريجينيس تنقيحها قبل النشر. وإذا كان يوسيبوس قد أشار لهؤلاء النساح المختزلين في حديثه عن تلك العظات، أ ليس ذلك بسبب أنه وجد بمكتبة قيصرية المسودات الأولية التي دونت في مرحلة ما قبل النسخ دون أن يتاح لأوريجينيس الوقت للاطلاع عليها مجدداً؟ لذا فإنه فيما يتعلق بهذا الموضوع ليس أمامنا سوى تقديم فرضيات. وأياً كان، فلم يتم الاحتفاظ بالعظات بلغتها الأصلية (اليونانية) عدا في موقع واحد سوف يرد ذكره لاحقاً، حيث إنها وصلتنا فقط من خلال ترجمة روفينوس اللاتينية التي تركها لنا بعد قرن ونصف (٤٠٠م. - ٤٠٤م).

### التقليد المردون

وفقاً لبهرنزا<sup>١</sup>، فإن المخطوطات التي تحوي عظات أوريجينيس على سفر التكوين عديدة جداً، وهي توجد دائماً مجمعة مع سلاسل العظات الأخرى على الأسفار. وقد استخلص بهرنز أكثر من خمس

<sup>١</sup> له كتاب بالألمانية جمع فيه عظات أوريجينيس - طبعة ليبزج ١٩١٦.

W. A. BAEHRENS, Überlieferung und Textgeschichte der lateinisch erhalten Origenhomilien zum Alten Testament, TU 42, 1, Leipzig 1916.



وسبعين منها، وما زال هناك العديد. ولكن ليس لهذا تأثير بالنسبة لكيان النص، فكل المراحل والخطوات الممكنة قد تم استخدامها وما يستجد تتم إضافته في الإطار الموجود فعلياً.

## ١. عدد العظام

كانت أولى النتائج التي أتى بها تقسيم بهرنز هو حل مشكلة عدد العظام؛ فالطبقات القديمة كانت تعتبرها سبع عشرة عظمة، وقد كانت المخطوطات تحصيها أحياناً على أنها ست عشرة عظمة وأحياناً أخرى باعتبارها سبع عشرة. ولكن بهرنز لاحظ أن المخطوطات التي كانت بها العظمة السابعة عشرة حول "بركة آباء الأسباط" كانت كلها تنتمي للتصنيف (ج) ما عدا ثلاث أو أربع حيث يرجع وجود العظمة فيها إلى ظروف خاصة مختلفة عن العظام الباقية (ولاحقة لها). وفي هذه الظروف يجب البحث عن المسئول عن تلك العظمة السابعة عشرة في بداية التصنيف (ج) في النموذج المثالي لهذه المجموعة التي تضم على الأقل ٢٨ مخطوطاً. ورغم أن ذلك النموذج قد فقد لكن بهرنز يلفت النظر إلى أنه لا بد وقد تم إعداده في فرنسا من خلال صورة لمخطوط بمدينة ليون والذي سوف نتحدث عنه لاحقاً، وقد استطاع إيسيدوروس الأشبيلي<sup>٧</sup> أن يستخدم محتواه في النصف الأول من القرن السابع عشر.

وهناك اعتراض يبرز من جهة القديس جيروم، ففي القائمة التي

---

<sup>٧</sup> يفترض كتاب إيزيدور (Les Quaestiones in Genesim d'ISIDORE, PL) أن بعد عظام أوريجينيس على سفر التكوين التي نهل منها بوضوح، وجد إيزيدور العظمة السابعة عشرة عن مباركة الآباء التي استوحى منها في الفصل الحادي والثلاثين. ومن الممكن أن نجادل بأن الأفكار التي وردت في هذا الفصل قد جاءت من مصدر آخر مستقل من المرجح أنه كتيب روفينوس حول ذات الموضوع. ولكن بالإضافة إلى أن إيزيدور لم يذكر روفينوس بين مصادره، فإن نفس بنية فصل إيزيدور، الذي يغير ترتيب الآباء حسب العظمة ١٧ يجبرنا على تصور أن إيزيدور اطلع على نسخة تحتوي على العظام السبعة عشر لأوريجينيس.

يعطيها جيروم لأعمال أوريجينيس - في الرسالة ٣٣ لباولا - يحدد أن هناك ١٧ عظة على سفر التكوين. وفي الحقبة التي ظهرت فيها هذه القائمة (١٨٤٧م) وعلق عليها بيترام عام ١٨٥٥<sup>٨</sup>، احتوت الطبقات تحديداً على نفس عدد العظات، وبدا هذا طبيعياً جداً. ولكن حين نما الشك في صحة تلك العظة السابعة عشرة بعد ذلك<sup>٩</sup>، صارت تأكيدات جيروم ذريعة للمناقضين. لذا فقد لزم وجود حجج قوية لتفنيد ما قاله جيروم. وقد أتى بهرنز بتلك الحجج حيث أثبت حينها أنه لم يكن هناك إلا أربع مخطوطات<sup>١٠</sup> لرسالة جيروم رقم ٣٣، وأن الأربع جاءت من مصدر واحد وكانت تحتوي بنفس الطريقة على ذكر السبع عشرة عظة المتعلقة بسفر التكوين. وكان من السهل استخلاص أن رقم ١٧ في العظات قد أنتج كنوع من رد الفعل لرقم ١٧ المذكور في رسالة جيروم. ويبدو أن أحد الكتاب قد أضاف بحسن نية شرطة زائدة للرقم ١٦ موفقاً بذلك بين أقوال جيروم وما يحويه المخطوط. أما الاعتراضات الأخرى التي تتعرض للتباين بين النصين فلا تقف أمام تأكيدات كاسيودوروس بأن هناك ست عشرة عظة وأمام التحليل البنيوي للعظة السابعة عشرة الذي يبين أنها مكونة من جزئين معكوسين من كتاب روفينوس حول مباركة الأسباط. فلا يمكن إذاً الاعتماد على جيروم للدفاع عن تلك العظة السابعة عشرة.

<sup>8</sup> Spicilegium Solesmense III, 1855, p. 315.

<sup>9</sup> v. g. HARNACK, Gesch. D. Artchristl. Liter. I, 1893, p. 344

<sup>١٠</sup> تأتي الأربع مخطوطات من الفلاندرز:

De Saint-Amand en Pevèle, Paris 1628, s. XII ; de Saint-Martin de Tournai, Paris 1629, s. XII ; de Sainte-Marie d'Aulne, Bruxelles 912, s. XII; de Saint Vaast, Arras 849, s. XIII.

لقد عرفنا اثنتين أخريين عن بيهرنز وهيلبرج، ناشر رسائل جيروم في: (CSEL : Berlin, Staatsbibl. Lat. Fol. 194, s. XII et Vat. Urb. Lat. 504, s. XV)

لكننا علمنا في آخر لحظة الرسالة لا توجد في مجموعة برلين على عكس مؤشرات الفهرس.

## ٢. النموذج الأصلي

وإذا انتقلنا الآن مع بهرنز بعد موضوع عدد العظات إلى المخطوطات، فعن طريق لعبة الأخطاء والنواقص والاقتراسات من النص الكتابي، وبالرجوع للنصوص والوثائق القديمة وكذلك بالرجوع لاستنتاجات كوتشوه (Koetschau) في مقدمته لكتاب أوريجينيس (De Principiis) في مجموعة نصوص برلين، توصل بهرنز للنموذج الأصلي الوحيد لكل المخطوطات الذي يعود أصله إلى حوالي القرنين الخامس والسادس. وكان ذلك النموذج الأصلي، الذي ظهر في شكل مجموعة من المخطوطات - نظراً لكثرة النصوص لدى أوريجينيس - والمتحدر على الأرجح من مدينة نول حيث تم تنفيذه طبقاً لنفس نماذج روفينوس التي تم نقلها قبل مائة عام، قد وصل إلي صديقه بولين، إلى أوجيبوس (٥٤٠م) رئيس دير كاستلوم لوكولانوم بجوار مدينة نابولي في بداية القرن السادس الميلادي. وهناك غالباً وجده واستعاره كاسيودور الذي كان يعرف أوجيبوس<sup>11</sup>، وجعل فيفاروم يأخذ منه نسخة. وكانت عظات أوريجينيس على الثمانية الأسفار، التي يميز فيما بينها ١٦ عظة خاصة بسفر التكوين، مجمعة في ثلاثة كتب الأول منها يحوي عظات على التكوين، ثم الخروج واللاويين، وقد استمرت مرتبطة عمومًا في المخطوطات التي وصلت إلينا، وقد جاءت هذه المخطوطات كلها من نسخة كاسيودور. ولكن هذه النسخة قد فقدت بالطبع، ولكنه قد دُون نسخًا كثيرة ظهرت في مواقع مختلفة من أوروبا وأنتجت ما تبقى بين أيدينا من مخطوطات.

<sup>11</sup> CASSIODORE, De inst. Divin. Liter. 23, PL 70, 1137 AB

### ٣. مخطوطة مدينة ليون القديمة

من بين النسخ القريبة من نسخة كاسيودور أتيح لنا الاحتفاظ بنسخة غالية على قلب سكان مدينة ليون وهي النسخة الليونية القديمة ٤٤٣ (Lugdunensis 443). وقد تعمق الباحثون في دراسة هذا المخطوط، وأفاد ليو المتخصص في الأدب اللاتيني أن هذا المخطوط كتب بمدينة ليون خلال القرن السابع على أقل تقدير<sup>١٢</sup>، في حين تصور بهرنز أنه من الممكن أن يكون قد كتب في نهاية القرن السادس. ولم يبرح المخطوط مدينة ليون منذ ذلك التاريخ ولكنه مع ذلك عانى من بعض التلفيات. ولنصرف النظر عن الثلاث عشرة صفحة التي تم نزعها بواسطة ليبري والتي صارت اليوم تعرف بالمخطوط الباريسي (le Paris. nouv. acq. lat. 1591)، فهي ليست ضمن نص العظات على سفر التكوين، كما هو الحال كذلك بالنسبة للصفحات من ١٦٢ - ٢٧٩ والتي أضيفت في القرنين الثامن والتاسع. ولكننا مضطرون للتويه، وبسبب أنها تعد جزء من العظات، أن الصفحتين الأوليين الأصليتين تنقصان حالياً من المخطوط، كما أن الصفحات ٧ - ١١ وكذا الصفحة ٧٧ قد تمت كتابتها في القرن التاسع وأنها بالتالي مقاطع لا تتسم نصوصها بذات أصالة النصوص الأخرى.

ومع ذلك وبالرغم من أننا نفضل هذا المخطوط إلا أنه لا يمكننا الاكتفاء به لإثبات نصوص العظات على سفر التكوين. فقدم تاريخه بل والاهتمام الذي أولاه له الناسخ أمدها بلا شك بقوة خاصة ولكن لا بد من مؤازرة المخطوطات الواردة من نموذج كاسيودور لإثبات النص. وقد توصل بهرنز لترتيب ال٧٥ مخطوطة المحتوية على عظات سفر التكوين في رتب عديدة بشكل مفيد وذلك بعد عملية

<sup>12</sup> E. A. LOWE, Codices Lugdunenses antiquissimi, Lyon 1924, p. 37

مقابلة النصوص واسعة النطاق. ولم يحتفظ لإثبات النص في كل عظة إلا بالمخطوطات التي بدت له ضرورية. ولنكتف هنا بذكر تلك المخطوطات باختصار حتى تسهل قراءة بعض الهوامش التي وضعناها في طبعتنا.

#### ٤. ترتيب المخطوطات

##### المجموعة أ

مخطوطة مدينة ليون رقم ٤٤٣ ، القرنان السادس والسابع

##### المجموعة ب

مخطوطة برلين ٤٢ (فيليب ، ١٦٧٠)، القرن العاشر

مخطوطة برلين ٣٢٦ ، القرن الحادي عشر

تحتوي هذه المجموعة على عشرين مخطوطاً أغلبها ألماني المصدر. هذه المخطوطات لا تشمل العظة السابعة عشرة الخاصة بسفر التكوين. دكما تنسب الترجمة إلى اللاتينية إلى جيروم.

##### المجموعة ج

مخطوطة موناكو ١٤٣١٥ ، القرن التاسع

مخطوطة باريس ١٦٢٨ ، القرن الثاني عشر

مخطوطة باريس ١٦٨٣٤ ، القرن الثاني عشر. هذه مخطوطة استخدمها بهرنز فيما ندر. وتتضمن تصويبات علمية أجريت في القرن الثاني عشر.

وتحتوي هذه المجموعة على أكثر من ثلاثين مخطوطاً (من مصادر عدة: فلاندرز، بافيار، النمسا، بوهيميا) والتي يأتي نموذجها الأصلي من فرنسا. والقاسم المشترك بينها هو احتواؤها على العظة السابعة عشرة الخاصة بسفر التكوين.

## المجموعة د

مخطوطة كولوني ٣ (دارمستادت ٢٠٠٤)، القرن التاسع. وهي مخطوطة مستقلة مميزة بتاريخها وأصلها الذي يعود للشمال وتشابها مع المجموعة أ.

## المجموعة هـ

مخطوطة كاسيني ٣٤٢، القرن الثاني عشر  
مخطوطة الفاتيكان ٢٠٤، القرن الحادي عشر  
وكلاهما يمثل عددًا يقارب العشرة مخطوطات والتي يقع نموذجها الأصلي في مدينة كاسينو حيث من المحتمل أن يكون قد صيغ بأسلوب مخطوط كاسيودور. وتجدر الإشارة بأن هذه المجموعة لا تحتوي على العظة السابعة عشرة الخاصة بسفر التكوين.

## المجموعة و

مخطوطة فلورنس القديس ماركوس ٦٠٧، القرن الحادي عشر. وهي مخطوطة مستقلة.

## المجموعة ز

مخطوطة باريس ١٦٢٥، ما بين القرنين السابع والثامن. وهي تعكس تقليدًا مستقلًا وتظهر ناقصة في بدايتها وأيضًا في نهايتها.

## المخطوطات التي اعتمدت عليها الترجمة الحالية

لقد اتبعنا في الأغلب نص بهرنز، ولكن قد نأتي أحيانًا باختيار جديد أو بتكهن ما، توضحه الهوامش وتعلل له. وهناك بعض التعديلات الطفيفة الأخرى منها ما قد اقترحها بهرنز نفسه في ملحقات ما كتب، وقد تمت الإشارة دائمًا إلى تلك التصحيحات وتم تبريرها في الهوامش.

## الشذرات اليونانية

هناك نقطة خاصة بدت لنا طبعة بهرنز غير كافية بالنسبة لها وهي المقطع اليوناني بالعظة الثانية، حيث يدور الموضوع حول وصف فلك نوح. وقد جذب ذلك المقطع البديع اهتمام الكتاب القدامى فنقلوا لنا عنه عدة أجزاء في "السلاسل". وقد ترك لنا بروكوبوس المختص بتجميع العظات، والذي كان يماثل في طريقته كتاب "السلاسل"، فقرة طويلة تبدو وكأنها قطعة واحدة ولكنها في حقيقة الأمر تحوي العديد من المقاطع مجهولة الأطوال.

وقد تصور بهرنز أنه يمكنه استكمال نص بروكوبوس عن طريق "السلاسل"، وربط هذه بتلك مما نتج عنه نص متّصل ولكنه غير متجانس وغير دقيق. وقد يتصور القارئ أنه أمام كتابة أوريجينيس الأصلية. ولكن الحقيقة أن ما تحت أيدينا من مصادر لا يسمح لنا بإعادة الفقرة كما كتبها أوريجينيس بنفسه. وقد أراد بهرنز هو وبروكوبوس، كل بأسلوبه، أن يربطاً نصوص أوريجينيس وديديموس (على سفر التكوين) عن طريق القطع والتفتيح كما يوافقهما بحيث صار من المستحيل الرجوع لنموذج نص أوريجينيس الأصلي. ولكننا نستطيع فقط أن نقدم من ناحية نص بروكوبوس ومن ناحية أخرى نص المجموعات وأن نحاول في كل منهما أن نستوضح ما يعود لأوريجينيس بمقارنته بحكمة مع النص اللاتيني. وسوف نكتشف حينئذ أن جزءاً من النص اليوناني الذي طبعه بهرنز مصدره ديديموس. والواقع أن المجموعات من النوع الثاني<sup>١١</sup> (والتي

<sup>١١</sup> لا يوجد من هذا النوع سوى مخطوطتين: Mosq. 385, s. X ونسختها و Vat. Barberinianus 569, s. XVI. كان بهرينز يعرفهما (TU 42, 1, p. 232 - 233) لكن يبدو أنه لم يستطع أن يصل اليهما وقت الحرب. لنصف Matrit. 4673, s. XVI الذي أشار علىّ بها بوتي F. Petit للتو. إذ لم توجد Mosq. 385، ساعدت Barb. 569 ناشرى أوريجينيس القدامى. اقتبس دولارو نصوصها من ملفات كومبفيس Combefis الذي يدين بها إلى نسخة معمولة على Barb. 569. ارجع إلى:

أجريت لها فحوص طفيفة عام ١٩١٦م) ترجع لديديموس الكثير من الفقرات التي لم يدرك بروكوبوس الفرق بينها والذي يقترب مضمونها من نص روفينوس. ويؤكد اكتشاف تعليق ديديموس على سفر التكوين بمدينة تورا عام ١٩٤١م على هذا التحليل. ولذا فلا ينبغي أن ننخدع بجملة المقتطفات اليونانية التي تقدمها طبعة برلين فيها أجزاء ليست من عظات أوريجينيس. والمقال الذي كرسناه منذ وقت ليس ببعيد لهذا الموضوع<sup>١٤</sup> يعفينا من إعادة ذكر ما ورد فيه هنا. كما أننا لن نحاول استخلاص الفقرات اليونانية الخاصة بأوريجينيس من روائع بروكوبوس المعقدة ولا من "السلاسل" لمقارنتها بالعظة اللاتينية. وسوف نجد كافة الإرشادات المطلوبة في المقال السابق ذكره.

### ترجمة روفينوس

كما قلنا سابقاً لم يكن روفينوس مترجماً دقيقاً ولكنه كان مترجماً ذكياً، بل يمكن القول إنه كان مؤلفاً من حيث إنه يرتب الأفكار ويتقن الأسلوب. وأمام بعض الفقرات اليونانية الباقية تدهشنا السلاسة التي يقترب بها روفينوس في ترجمته من أوريجينيس دون محاكاة لأسلوبه اللفظي. فهو إما أشد إيجازاً أو أكثر إسهاباً. وهو يعيد ترتيب المفردات وقد يسقط بعضها حين يرى أنها لا تمثل قيمة للقارئ اللاتيني، كما يعتمد إلى التفخيم في الأسلوب الذي لا يستطيع التحكم به، ولكنه يظل دائماً في تعديله أميناً في نقل فكر أوريجينيس.

L. DOUTRELEAU, "Recherches autour de la Catena Romana de Combefis", dans Corona gratianum II (Mélanges E. Dekkers), 1975, p. 367 - 388.

<sup>١٤</sup> المقطع اليوناني لعظة أوريجينيس الثانية عن سفر التكوين. نقد للنص في:

Revue d'Histoire des Textes, t. 77, 1975.



ومن الأساليب البلاغية التي اعتاد روفينوس كمترحم وككاتب أنيق العبارة استخدامها أسلوب الثنائيات، حيث يبدو أنه يلذ له الإتيان بكلمتين من صنعته اللغوية في حين أن أوريجينيس لم يكن قد استخدم سوى كلمة واحدة فقط. أ يكون قد أعطى بذلك معنى أفضل للنص اليوناني؟ ليس ذلك مؤكداً إلا إذا رجعت الكلمتين معاً للأصل اليوناني. ولذا لا يجب أن نرضخ في اللغة الفرنسية لكل تلك الثنائيات. وعلى كل حال، فإن توازن الجمل اللاتينية يعد أكثر انسجاماً من اليونانية.

هذا الميل للألفاظ وللجملة، وهذا الإحساس بالتناغم والبنية النحوية وكذلك الترتيب المعين في الإنشاء كل ذلك يخص روفينوس. بينما الإلهام والأفكار واختيار النصوص الكتابية وأيضاً الرؤى الروحية إنما يصدر عن أوريجينيس. وفيما يتعلق بعظائنا وبالهدف الروحي المرجو منها يمكننا الثقة بروفينوس، فهو يضع أوريجينيس في متناول القارئ الذي لا يعرف اليونانية ، ولا يخونه أبداً.

ل. دوترولو

العظة الأولى

الخليقة



## اليوم الأول

### "في البدء"

١ "في البدء خلق الله السماء والأرض".<sup>٢</sup> ما هو بدء كل شيء إلا يسوع المسيح ربنا ومخلص جميع الناس"<sup>٣</sup> "بكر كل خليقة"<sup>٤</sup>؟ إذا في هذا البدء، بمعنى في "كلمته" "خلق الله السموات والأرض"، كما يقول يوحنا البشير في بداية إنجيله: "في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله وكان الكلمة الله. كان هذا في البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان."<sup>٥</sup> وهو لا يتكلم هنا عن بدء زمني ولكنه يقول إن السماء والأرض وكل ما خلق قد خلق "في البدء" أي في المخلص.<sup>٦</sup>

### الظلمة

"وكانت الأرض محتجة ولا شكل لها، وكانت الظلمة تغطي الهاوية، وروح الله يرف على المياه".<sup>٧</sup> كانت الأرض محتجة ولا شكل

<sup>١</sup> العناوين الجانبية من وضع مترجم النسخة الفرنسية.

<sup>٢</sup> انظر: تك ١: ١.

<sup>٣</sup> انظر: ١ تي ٤: ١٠.

<sup>٤</sup> انظر: كو ١: ١٥.

<sup>٥</sup> انظر: يو ١: ١ - ٣.

<sup>٦</sup> هناك شروحات أجزل ومتنوعة أكثر وأدق في:

In principio, Commentaire sur S. Jean, I, 90-124, SC 120, p. 106 – 125

ويتعلق الأمر هنا بالنسبة إلى أوريغينيس بحفظ دور الكلمة في الخلق "كل شيء به كان"، وأيضاً بتأكيد لا زمنية البدء بحيث يمكن أن يطابق عرض الكتاب المقدس لبدائية الخليقة مع الوجود المسبق للعالم المعقول (المدرک بالعقل لا بالحواس). وسنلاحظ بعد قليل (في نهاية الفقرة ١) أن أوريغينيس يعبر بوضوح عن فكرة أن "يوم الخليقة الأول" لا يحسب في الزمن. فبالنسبة له، تكون مخلوقات اليوم الأول ("السماء" و"الأرض" كما يفهمهما) موضوعة إذاً خارج الزمن، في الوجود المسبق. ارجع إلى:

"In principio, Interprétations des premiers versets de la Genèse", Paris, Études augustinienes, 1973; chez Origène, p. 88-92, par P. Nautin.

<sup>٧</sup> انظر: تك ١: ٢ (حسب نص الترجمة السبعينية للعهد القديم). ومن الجدير بالذكر أن النص الذي يعتمد عليه العلامة أوريغينيس في عظاته على سفر التكوين وفي كل اقتباساته من

لها قبل أن يقول الله "ليكن نور"<sup>٨</sup> وقبل أن يفصل النور عن الظلمة وفقاً لما يشير إليه ترتيب السرد. بعد ذلك أمر الله بأن يكون هناك جلد وهذا أسماه "سما".<sup>٩</sup> وحين نصل إلى تلك النقطة سنوضح الفرق بين الجلد والسما ولماذا أُطلق على الجلد "سما". ولكن الآن يقال: "كانت الظلمة تغطي الهاوية"<sup>١٠</sup>، فما هي تلك الهاوية؟ بالتأكيد هي الهاوية التي سيكون فيها<sup>١١</sup> "إبليس وملائكته"<sup>١٢</sup>. على الأقل هذا أيضاً مذكور بوضوح في الإنجيل، حين قيل عن المخلص: "إن الشياطين الذين كان يطردهم كانوا يطلبون إليه ألا يأمرهم بالذهاب إلى الهاوية"<sup>١٣</sup>.

لهذا يبدد الله الظلمة طبقاً للنص الكتابي القائل: "وقال الله ليكن نور فكان نور. ورأى الله أن النور كان حسناً وفصل الله النور عن الظلمة. وسمى الله النور نهاراً وسمى الظلمة ليلاً. وكان مساء وكان صباح: يوماً واحداً."<sup>١٤</sup>

## الزمن

وطبقاً للحرف، فإن الله أطلق على النور نهاراً وعلى الظلمة ليلاً. ولكن طبقاً للمعنى الروحي، دعونا نرى بعدما "صنع السماء والأرض"

العهد القديم هو نص الترجمة السبعينية. كما أنه في بعض الأحيان يعتمد على الذاكرة فلا تأتي اقتباساته حرفية.

<sup>٨</sup> انظر: تك ١ : ٣ .

<sup>٩</sup> انظر: تك ١ : ٢ .

<sup>١٠</sup> يذكر النص كلمة "سوف" (erit) بدلاً من كلمة "كان" (erat) وحيث وضعنا أوريجينيس في مناخ خليفة ما قبل الزمن، تكون الهاوية التي يصفها أيضاً من نفس الطبيعة هي موجودة قبل الزمن. لكن هل كان (erat) بالفعل إبليس وملائكته فيها (وهذا يطابق الفكر الأوريجيني)، أم يجب انتظار أن يكون الزمن قد أتم عمله الذي سوف (erit) تحدث فيه المعركة ضد إبليس، وهذا ما تمكن روفينوس من تصوره من خلال سفر الرؤيا (١٢ : ٩ و ٢٠ : ٣). وفي مكان آخر في هذه العظات نجد أن الهاوية هي مسكن إبليس الدائم (راجع العظة ٤ : ٤).

<sup>١١</sup> انظر: رؤ ١٢ : ٩، ٢٠ : ٣ (انظر مت ٢٥ : ٤١).

<sup>١٢</sup> انظر: لو ٨ : ٣١ .

<sup>١٣</sup> انظر: تك ١ : ٣ - ٥ .

في ذلك "البدء" الذي تحدثنا عنه سابقاً، وبعد أن قال أيضاً إنه كان نور ثم فصل النور عن الظلمة وأطلق على النور نهاراً وعلى الظلمة ليلاً، وبعد أن قال إنه كان مساء وكان صباح، لماذا لم يقل الله "اليوم الأول"<sup>١٤</sup> لكن "يوم واحد"<sup>١٥</sup>؟ ذلك لأن الزمن لم يكن موجوداً قبل كون العالم. ولكن الزمن بدأ يوجد مع الأيام التالية. فالיום الثاني والثالث والرابع وكل الأيام الأخرى بدأت تشير إلى الزمن.

## اليوم الثاني

### السماء والجلد<sup>١٦</sup>

٢ وقال الله: "ليكن جلد في وسط المياه وليفصل المياه من المياه. وكان كذلك. فعمل الله الجلد."<sup>١٧</sup> وبعدما خلق السماء، يخلق الله الآن الجلد. في الواقع هو خلق السماء أولاً التي قال عنها: "السماء كرسيي"<sup>١٨</sup>، ثم بعد ذلك خلق الجلد، أي السماء الجسدية. فمن الواضح أن كل جسد يكون صلباً ومتماسكاً وهذا ما يفسر أن الجلد "فصل بين المياه التي فوق السماء من المياه التي تحتها"<sup>١٩</sup>. وحيث أن كل ما كان الله سيصنعه كان مكوناً من روح وجسد، فلهذا قد قيل إن السماء، أي كل مادة روحية يعتمد عليها الله، كما على كرسي، قد خلقت في "البدء" وقبل كل شيء.

<sup>١٤</sup> اقرأ، بالتزامن مع عظة أوريجينيس:

De opificio mundi de PHILON (en français dans " Les Œuvres de Philon d'Alexandrie", éd. Du Cerf, Paris, I, trad. R. Arnaldez, 1961).

<sup>١٥</sup> انظر: تك ١ : ٥.

<sup>١٦</sup> لتتبع شرح وفكر أوريجينيس عن رمزية السماء هذه والجلد والمياه، انظر:

J. PÉPIN, Théologie cosmique et théologie chrétienne, PUF Paris 1964, le chap. VI de la 4<sup>e</sup> partie, p. 390-417.

<sup>١٧</sup> انظر: تك ١ : ٦ - ٧.

<sup>١٨</sup> انظر: إش ٦٦ : ١.

<sup>١٩</sup> انظر: تك ١ : ٧.

ولكن السماء الأخرى، أي الجلد، هي جسدية. لهذا فإن السماء الأولى التي وصفناها بأنها روحية هي روحنا، التي هي بالضرورة روحية، أي إنساننا الروحي الذي يرى الله ويتأمله. ولكن الأخرى، التي هي السماء الجسدية والتي يطلق عليها جلد، فهي إنساننا الخارجي الذي يرى بأعين الجسد.

وكما أطلق على الجلد سماء لأنه يفصل بين المياه التي فوقه عن تلك التي تحته، هكذا الإنسان، الذي هو كائن في جسد، إن استطاع أن يفصل ويميز بين المياه العليا التي "فوق الجلد" والمياه التي "تحت الجلد" فسوف يسمى هو أيضاً سماءً أي "إنساناً سماوياً"<sup>٢٠</sup> كقول الرسول بولس: "فإن مسكننا هو في السماء"<sup>٢١</sup>.

هذا إذاً هو ما تحويه ألفاظ الكتاب ذاتها: "فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. ودعا الله الجلد سماءً ورأى الله أن هذا حسن، وكان مساءً وكان صباح، وكان ذلك يوماً ثانياً"<sup>٢٢</sup>.

### المياه العليا

وليهتم كل واحد منكم إذن بأن يصير من يفصل الماء الذي هو في الأعلى عن الماء الذي بالأسفل حتى يصل إلى الفهم والمشاركة في الماء الروحي الذي هو "فوق الجلد"، ويجري من بطنه أنهار ماء حي تتبع إلى الحياة الأبدية"<sup>٢٣</sup>، مبتعداً بلا شك ومفصلاً عن الماء السفلي أي عن ماء الهاوية الذي يضع الكتاب فيه الظلمة وحيث يسكن "رئيس

<sup>٢٠</sup> انظر: ١كو ١٥: ٤٧.

<sup>٢١</sup> انظر: في ٣: ٢٠.

<sup>٢٢</sup> انظر: تك ١: ٧ - ٨.

<sup>٢٣</sup> انظر: يو ٧: ٣٨ - ٤: ١٤.

هذا العالم<sup>٢٤</sup> و"التين" العدو "مع ملائكته"<sup>٢٥</sup> كما سبق وقلنا. وهكذا إذاً بالاشتراك في الماء العالي الذي هو فوق السموات يصبح كل مؤمن سماوياً بمعنى أن يركز ذهنه في الأشياء العليا والسامية ولا يكون أي شيء من أفكاره في الأرض، ولكن تكون كلها في السماء، و "يطلب ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الأب"<sup>٢٦</sup>. حينئذ هذا الإنسان نفسه سيحسبه الله مستحقاً للمديح الموجود في النص القائل: "ورأى الله أن هذا كان حسناً"<sup>٢٧</sup>.

### اليوم الثالث

#### نصبح أرضاً خصبة

ثم ما عرضه في التكملة عن اليوم الثالث يلحق بذات المعنى. والواقع أن الكتاب يقول: "وقال الله: ليجتمع الماء الذي تحت السماء إلى كتلة واحدة ولتظهر اليابسة"<sup>٢٨</sup>. وكان كذلك<sup>٢٩</sup>.  
لنسعى نحن إذن إلى جمع "الماء الذي تحت السماء" وأن نزيلها بعيداً عنا حتى تظهر بعد ذلك "اليابسة" أي أعمالنا التي نعملها بالجسد "حتى إذ يرى الناس أعمالنا الحسنة يمجدوا أبانا الذي في السموات"<sup>٣٠</sup>.  
لأننا إن لم نفصل عنا المياه التي تحت السماء، أي الخطايا ونقائص جسدنا فلن تتمكن يابستنا من الظهور ولن يكون لها الثقة بأنها تسير نحو النور. "كل من يفعل الشر يكره النور ولا يأتي إلى النور خشية أن تدينه أعماله، ولكن من يتمم الحق يأتي إلى النور حتى

<sup>٢٤</sup> انظر: يو ١٢: ٣١. حرفياً "أمير هذا العالم."

<sup>٢٥</sup> انظر: رؤ ١٢: ٣. ٢٠٤٧: ٣.

<sup>٢٦</sup> انظر: كو ٣: ١.

<sup>٢٧</sup> انظر: تك ١: ٨.

<sup>٢٨</sup> حرفياً "العنصر اليابس".

<sup>٢٩</sup> انظر: تك ١: ٩.

<sup>٣٠</sup> انظر: مت ٥: ١٦.



تظهر أعماله ونراها بما أنها قد عملت في الله<sup>٣١</sup>. وهذه الثقة لن تعطى لنا إن لم نطرح ونقطع بعيداً عنا، مثل المياه، نقائص الجسد التي هي أسباب الخطايا. وحين يتم ذلك فإن اليابسة فينا لن تظل "يابسة" كما سنرى فيما يلي.

يقول الكتاب في الواقع: "ليجتمع الماء الذي تحت السماء إلى كتلته وتظهر اليابسة. ودعا الله اليابسة أرضاً ومجتمع المياه دعاه بحراً<sup>٣٢</sup>". وكما أن اليابسة حين تنفصل عن المياه، كما قلنا منذ قليل، لا تبقى "يابسة" ولكنها تدعى منذ ذلك "أرضاً"، هكذا أيضاً أجسادنا، إن حدث مثل هذا الانفصال فيها، فلن تظل "يابسة"، بل سوف تدعى "أرضاً" حيث سيتمكنها بعد الآن أن تنتج ثمراً لله.

والله حين "خلق في البدء السماء والأرض" خلق فقط فيما بعد الجلد واليابسة ودعا الجلد "سما" معطياً إياه اسم سما التي كان قد خلقها قبلاً. ودعا اليابسة "أرضاً" لأنه أعطاها القدرة على أن تنتج ثمراً. إذاً إن ظل أحد يابساً بسبب إثمه ولم ينتج ثمراً بل "شوكاً وحسكاً<sup>٣٣</sup>" كما لو كان ينتج "غذاءً للنار"<sup>٣٤</sup> فسوف يصير هو نفسه "طعاماً للنار" بسبب ما ينتجه. أما إن فصلته غيرته اليقظة عن مياه الهاوية التي هي أفكار الشياطين، وإذا بدا كأرض تنتج ثمراً، فيجب عليه أن يترجى معاملة بنفس الطريقة، لأن الله يدخله إلى "أرض يفيض فيها اللبن والعسل"<sup>٣٥</sup>.

### الإتيان بثمر

٣ ولكن دعونا نرى مما يلي ما هي الثمار التي يأمر الله "الأرض"

٣١ انظر: يو ٣: ٢٠ - ٢١.

٣٢ انظر: تك ١: ٩.

٣٣ انظر: تك ٣: ١٨؛ عب ٦: ٨.

٣٤ انظر: إش ٩: ١٩.

٣٥ انظر: خر ٣: ٨؛ ٣: ٣٣.

التي أعطاها هو نفسه هذا الاسم بإنتاجها. "ورأى الله أن ذلك حسن. وقال الله: لتتبت الأرض عشب الحقول يحمل بذراً كجنسه وكهيئته، وشجراً ذا ثمر ينتج ثمراً يحوي بذره بداخله كهيئته على الأرض. وكان كذلك<sup>٣٦</sup>". ومن الواضح لو تمسكنا بحرفية النص، إنه توجد هنا الثمار التي أنتجتها الأرض حينما لم تعد بعد "اليابسة".

ولكن دعونا نرجع إلى أنفسنا من جديد. فها نحن الآن "أرض" ولم نعد بعد "يابسة"، فلنأت إذاً لله بثمار وفيرة ومتنوعة حتى نكون نحن أيضاً مباركين من الأب الذي يقول: "ها إن رائحة ابني كرائحة حقل مثمر باركه الرب<sup>٣٧</sup>"، وحتى يتحقق فينا قول الرسول: "حين تشرب أرض المطر الآتي عليها مراراً كثيرة وتنتج عشباً صالحاً للذين يزرعونها، فستنال بركات من الله. ولكن الأرض التي تثبت شوكةً وحسكاً تبدو نوعيتها رديئةً وقريبة من اللعنة وننتهي بإحراقها<sup>٣٨</sup>".

٤ "فأخرجت الأرض عشب الحقول يحمل بذراً كجنسه وكهيئته، وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً يحوي بذره بداخله كجنسه على الأرض. ورأى الله ذلك أنه كان حسناً. وكان مساءً وكان صباح، وكان هذا اليوم الثالث<sup>٣٩</sup>". فالله يأمر الأرض ألا تثبت فقط "عشب الحقول" ولكن أيضاً "البذار" حتى يمكن أن تنتج ثمراً باستمرار. ولم يأمر بأن تثبت فقط "شجراً ذا ثمر" ولكن أيضاً شجراً "يحمل ثماراً تحوي بداخلها بذرها كجنسها" وذلك حتى تستطيع بفضل هذه البذار التي بداخلها أن تؤتي ثمراً باستمرار.

وبالمثل، علينا نحن أيضاً أن نأتي بثمر وأن تكون في أنفسنا البذار، أي أن نحوي في قلوبنا بذور كل الأعمال الحسنة وجميع

<sup>٣٦</sup> انظر: تك ١: ١٠ - ١١.

<sup>٣٧</sup> انظر: تك ٢٧: ٢٧.

<sup>٣٨</sup> انظر: عب ٦: ٧ - ٨.

<sup>٣٩</sup> انظر: تك ١: ١٢ - ١٣.

الفضائل التي إذ تكون مغروسة في أرواحنا هكذا تجعلنا نتمم ببر كل الأعمال التي نعملها. لأن ثمار هذه البذار هي أعمالنا حين تأتي "من كنز قلبنا الصالح".<sup>٤٠</sup>

لأننا إن سمعنا الكلمة وبعد سماعها تنبت أرضنا "في الحال" عشبًا، وإن "جف هذا العشب"، قبل أن ينضج ويأتي بثمر، فإن أرضنا سوف يطلق عليها أرضا "صخرية"<sup>٤١</sup>، ولكن إن ترسخت الكلمة في قلبنا بجذور عميقة حتى "تعطي ثمر" الأعمال وتحوي بذار الخيرات العتيدة، فحينئذ تعطي أرض كل منا بالحقيقة ثمرًا كطاعتها "الواحدة مائة، والأخرى ستين، والأخرى ثلاثين للواحدة"<sup>٤٢</sup>. ولكن بدا لنا من الضروري أن نلفت النظر إلى أن ثمرنا لا يجب أن يحوي "شقاقتًا"<sup>٤٣</sup> أي زوانًا في أي مكان، وأنه لا يجب أن يكون "على جوانب الطريق"<sup>٤٤</sup> بل يجب أن يكون مزروعًا على الطريق ذاته، على هذا الطريق الذي يقول: "أنا هو الطريق"<sup>٤٥</sup> حتى لا تأكل "طيور السماء"<sup>٤٦</sup> ثمارنا ولا كرمنا. ومع ذلك إن استحق أحد منا أن يكون كرمة<sup>٤٧</sup>، فليحترس من أن يحمل "أشواكًا" بشكل العناقيد؛ وإلا فإن تلك

<sup>٤٠</sup> انظر: لو ٦ : ٤٥ .

<sup>٤١</sup> انظر: مت ١٣ : ٥ - ٦ ، ٢٠ .

<sup>٤٢</sup> انظر: مت ١٣ : ٨ ، ٢٣ .

<sup>٤٣</sup> انظر: مت ١٣ : ٢٥ .

<sup>٤٤</sup> انظر: لو ٨ : ٥ .

<sup>٤٥</sup> انظر: يو ١٤ : ٦ .

<sup>٤٦</sup> انظر: مت ١٣ : ٤٤ لو ٨ : ٥ .

<sup>٤٧</sup> إن الطريقة التي يشير بها أوريجينيس هنا إلى المراتب الروحية هي غير دقيقة. فهو لا يعطي تصنيفات محددة وواضحة المعالم لتلك المراتب التي يقترحها من خلال الصور الكتابية. ويبدو أن حالة "الكرم" هنا متفوقة عن حالة "الأرض"، لكن لا توجد أية إشارة لطبيعة هذا التفوق. وفي مواضع أخرى، يميز أوريجينيس المراتب وفقا للفرق الذي يجده بين نوح وحيوانات الفلك (العظة ٢ : ٣)؛ وبين إبراهيم ولوط (العظة ٤ : ١)؛ وبين إسحق وإسماعيل (العظة ٧ : ٢)؛ وبين رفاة وجمالها (العظة ١٠ : ٢)؛ وبين الأرض واليابسة (العظة ١ : ٢)؛ وبين الأرض والسماء (العظة ١ : ٢). ونعتقد أنه سيكون من غير المجدي أن نبحث هنا عن شيء آخر بخلاف مجرد تمييز الخبرة بين مسيحيين كاملين تقريبًا.

الكرمة لن تُشذب ولن تُقلم"، ولن تحصل "السحب" على الأمر (من الله) بأن تُسقط عليها الأمطار، بل بالعكس سوف تترك "قفرًا" حتى تتبت فيها "الأشواك"<sup>٤٨</sup>.

## اليوم الرابع

### الأنوار: المسيح والكنيسة

٥ بعد ذلك تستحق السماء من الآن أن تكون مزودة بأنوار. فقال الله: "لتكن أنوار في جلد السماء لتضيء على الأرض وتفصل النهار عن الليل"<sup>٤٩</sup>. فكما أمر الله أن تكون هناك أنوار في الجلد الذي يدعى سماءً، حتى "تفصل بين النهار والليل" هكذا يمكن أن يحدث لنا أيضًا شرط أن نجاهد حتى ندعى ونصير سماءً؛ فيكون لنا في أنفسنا مثل أنوار لتتير لنا المسيح وكنيسته. فالمسيح هو "نور العالم"<sup>٥٠</sup> هو الذي ينير الكنيسة أيضًا بنوره<sup>٥١</sup>. فكما نقول إن القمر يحصل على نوره من الشمس حتى يتمكن الليل ذاته من أن يستتير به، هكذا أيضًا الكنيسة إذ تحصل على نورها من المسيح، تتير كل من هم في ليل الجهالة. ولكن إن تقدم أحد حتى صار "ابنًا للنهار" سائرًا بأمانة كما في وضع النهار<sup>٥٢</sup>، "كابن للنهار وابن للنور"<sup>٥٣</sup>، فهذا ينيره المسيح ذاته كشمس النهار.

٦ "لتكن علامات ولتحدد الأزمنة والأيام والسنين، ولتكن أنوار في جلد السماء لتتير الأرض. وكان كذلك"<sup>٥٤</sup>. فكما أن الأنوار التي

<sup>٤٨</sup> انظر: إيش ٥: ٢، ٦.

<sup>٤٩</sup> انظر: تك ١: ١٤.

<sup>٥٠</sup> انظر: يو ٨: ١٢.

<sup>٥١</sup> انظر العظات على سفر العدد ٢٣: ٥.

<sup>٥٢</sup> انظر: رو ١٣: ١٣.

<sup>٥٣</sup> انظر: ١ تس ٥: ٥.

<sup>٥٤</sup> انظر: تك ١: ١٤ - ١٥.

نراها في السماء قد وُضعت لتكون "علامات ولتحدد الأزمنة والأيام والسنين" وتثير من الجلد من هم في الأرض، هكذا المسيح؛ إذ ينير كنيسته يعطي أيضاً علامات من خلال تعاليمه، حتى نعلم لدى استقبال العلامة كيف نتجنب "الغضب الآتي"<sup>٥٥</sup> بحيث لا يفاجئنا "يوم الرب كلص"<sup>٥٦</sup>، بل يسمح لنا بالحري أن نصل إلى "سنة نعمة الرب"<sup>٥٧</sup>.

فالمسيح إذاً هو "النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتٍ إلى هذا العالم"<sup>٥٨</sup>، و تصير الكنيسة المستتيرة بنوره هي نفسها "نور العالم" وتثير "الذين في الظلمة"<sup>٥٩</sup>، كما يؤكد ذلك المسيح نفسه حين يقول لتلاميذه: "أنتم نور العالم"<sup>٦٠</sup>. وينجم من هنا أن المسيح هو نور الرسل، والرسل بدورهم هم نور العالم، فهم في الواقع الكنيسة الحقيقية "بسبب أنهم بلا دنس ولا غضن ولا شيء من مثل ذلك"، وفقاً لقول بولس الرسول أن الله "أراد أن يظهر أمامه كنيسة مجيدة بلا دنس ولا غضن ولا شيء من مثل ذلك"<sup>٦١</sup>.

٧ "وعمل الله نورين عظيمين، النور الأكبر ليتسلط في النهار والنور الأصغر ليتسلط في الليل، وعمل أيضاً النجوم. ووضعها الله في جلد السماء حتى تضيء على الأرض لتتسلط في النهار وفي الليل وحتى تفصل بين النور والظلمة. ورأى الله أن ذلك حسن. وكان مساء وكان صباح، وكان هذا اليوم الرابع"<sup>٦٢</sup>. وكما أن الشمس والقمر، وفقاً للكتاب المقدس، هما النوران العظيمان في جلد السماء هكذا

<sup>٥٥</sup> انظر: ١ تس ١ : ١٠ ؛ مت ٣ : ٧ ؛ لو ٣ : ٧ .

<sup>٥٦</sup> انظر: ١ تس ٥ : ٤ .

<sup>٥٧</sup> انظر: إش ٦١ : ٢ .

<sup>٥٨</sup> انظر: يو ١ : ٩ .

<sup>٥٩</sup> انظر: رو ٢ : ١٩ .

<sup>٦٠</sup> انظر: مت ٥ : ١٤ .

<sup>٦١</sup> انظر: أف ٥ : ٢٧ .

<sup>٦٢</sup> انظر: تك ١ : ١٦ - ١٩ .

أيضاً المسيح والكنيسة بداخلنا. ولكن أضاف الله نجومًا في الجلد، فيجب علينا نحن أيضاً أن نرى ما يمثل النجوم في داخلنا أي في سماء قلوبنا. فموسى نجم فينا يضيء وينيرنا بأعماله وكذلك إبراهيم وإسحق ويعقوب وإشعيا و إرميا وحزقيال وداود ودانيال وكل من شهدت لهم الكتب المقدسة بأنهم كانوا مرضيين لله<sup>٦٣</sup>. وكما أن كل "نجم يختلف عن نجم في العظمة"<sup>٦٤</sup> هكذا كل قديس بمقدار عظمته يسبح نوره علينا.

وكما أن الشمس والقمر ينيران أجسادنا، هكذا ينير المسيح والكنيسة عقولنا. على الأقل هما ينيرانها، إن لم نكن عميانياً روحياً. لأنه كما أن الشمس والقمر لا يشعان نورهما على العميان الجسديين الذين لا يمكنهم أن يستقبلوا النور، هكذا المسيح يمد أرواحنا بنوره، ولكنه لن ينيرنا إلا لو لم يمنعه عمى عقلنا. فإن كان هذا هو الحال، فينبغي أولاً أن العميان يتبعون المسيح قائلين وصارخين: "أرحمنا يا ابن داود"<sup>٦٥</sup>، فبعد أن ينالوا من المسيح نفسه الإبصار، يمكن بعد ذلك أن يشرق عليهم بهاء نوره.

وأيضاً الذين يبصرون لا يستتيرون بالمسيح بالتساوي ولكن كل واحد على القدر الذي يستطيع به تلقي النور. فإن عيون جسدنا لا تديرها الشمس بالتساوي ولكن كلما صعدا إلى أماكن مرتفعة وكلما وضعنا المرصد في مكان عالٍ حيث تتأمل النظرة من خلاله شروق الشمس، تمكننا من إدراك بريقها وحرارتها بصورة أفضل. وهكذا كلما اقتربت عقولنا بصعودها وارتفاعها من المسيح وتعرضت بمزيد من القرب لبريق ضيائه، أشعت أيضاً بنوره بصورة

<sup>٦٣</sup> انظر: عب ١١: ٥. ارجع إلى العظة ٩: ٢ "كان هناك في الشعب اليهودي الكثير من

الأبرار والأنبياء الذين يمكن أن نقارنهم بحق مع نجوم السماء."

<sup>٦٤</sup> انظر: ١ كو ١٥: ٤١.

<sup>٦٥</sup> انظر: مت ٩: ٢٧.

أكثر روعة وأكثر لمعاناً، كما يقول الله ذاته هذا من خلال النبي:  
"اقتربوا إليّ فأقرب إليكم، يقول الرب<sup>٦٦</sup>"، ويقول أيضاً: "أنا إله  
يقرب ولست إلهاً بعيداً<sup>٦٧</sup>".

ومع ذلك فنحن لا نقرب إليه جميعنا بنفس الأسلوب "ولكن  
كل منا يذهب إليه حسب إمكاناته الخاصة<sup>٦٨</sup>". إما نذهب إليه مع  
الجموع وهو يشبعنا بأمثاله<sup>٦٩</sup> فقط لئلا يجعلنا الصوم الطويل نخور  
في الطريق<sup>٧٠</sup>، أو نظل باستمرار وبلا نهاية جالسين عند قدميه لا نهتم  
إلا بسماع كلمته دون أن ندع أنفسنا نضطرب "باهتمامات الخدمة  
الكثيرة"، "مختارين النصيب الأفضل الذي لن ينزع منا<sup>٧١</sup>". وعند  
الاقتراب هكذا منه<sup>٧٢</sup> نأخذ أكثر من نوره. ولو بقينا معه مثل الرسل  
بلا انقطاع في كل تجاربه<sup>٧٣</sup> دون أن نبتعد عنه ولو إلى قليل، فهو  
يوضح ويفسر لنا سرّاً ما قاله للجموع<sup>٧٤</sup> وينيرنا بنور أكبر بكثير  
وحتى لو استطعنا أن نذهب معه إلى قمة الجبل كبطرس ويعقوب  
ويوحنا<sup>٧٥</sup> فلن نستتير فقط بنور المسيح، ولكن أيضاً بصوت الآب ذاته.

## اليوم الخامس

### الزواحف والطيور: الأفكار الطيبة والأفكار السيئة

٨ "وقال الله: لتتج المياه بين الحيوانات الحية كائنات تزحف

٦٦ انظر: زك ١: ٣.

٦٧ انظر: إر ٢٣: ٢٣.

٦٨ انظر: مت ٢٥: ١٥.

٦٩ انظر: مت ١٣: ٣٤.

٧٠ انظر: مت ١٥: ٣٢؛ مر ٨: ٣.

٧١ انظر: لو ١٠: ٣٩ وما بعده.

٧٢ انظر: مت ١٣: ٣٦.

٧٣ انظر: لو ٢٢: ٢٨.

٧٤ انظر: مر ٤: ٣٤.

٧٥ انظر: مت ١٧: ١ - ٣.

وطيور تطير على الأرض في جلد السماء. وكان كذلك<sup>٧٦</sup>. وحسب التفسير الحر في تنج المياه "الكائنات التي تزحف" و"الطيور" عند أمر الله، وهكذا نعلم من هو خالق هذه الكائنات التي نراها. ولكن لنرى كيف يحدث الشيء ذاته في جلد سمائنا، أي في الحقيقة الثابتة التي لعقلنا وقلبنا.

أتصور حينما استتارت عقولنا بالمسيح شمسنا، فإنها تحصل بعد ذلك على الأمر بأن تظهر من المياه التي بها "كائنات تزحف" و"طيور تطير" بمعنى أن تعرض للنور الأفكار الجيدة والأفكار الرديئة، حتى تعمل الفصل بين الجيدة والرديئة، بما أنها جميعها تأتي من القلب. لأن من قلوبنا تخرج - كما من المياه - الأفكار الجيدة والرديئة. لنعرض إذًا، على كلمة الله وبأمره، الأفكار الجيدة والرديئة أمام نظر الله وحكمه حتى إذ نستتير به نستطيع أن نفصل الرديء عن الجيد، أو بعبارة أخرى أن نبعد عنا ما يزحف على الأرض ويقدم اهتمامات أرضية.

أما الكائنات الأفضل، أي "الطيور"، فلندعها تطير ليس فقط "على الأرض" ولكن أيضًا "في جلد السماء". أو بعبارة أخرى لنعد إلى فكر واعتبار المخلوقات الأرضية وكذلك السماوية التي فينا كي نتمكن من فهم أن الكائنات الزاحفة هي العنصر الضار فينا. فلو نظرنا "لامرأة باشتهاء"<sup>٧٧</sup> فهذا نوع من الزواحف السامة ولكن إن كان لدينا الشعور بالتعفف فحتى لو هامت بنا سيدة مصرية عاشقة، فنصير كالطيور تاركين بين يديها الثياب المصرية ونهرب بلا توقف من الفخاخ الدنيئة<sup>٧٨</sup>. وإن كان فينا ميل للسرقة فهذا أيضًا من الزواحف الكريهة، ولكن إذا فكرنا وإن كنا لا نملك سوى

<sup>٧٦</sup> انظر: تك ١: ٢٠.

<sup>٧٧</sup> انظر: مت ٥: ٢٨.

<sup>٧٨</sup> انظر: تك ٣٩: ٧ وما بعده.



"فلسين صغيرين" لتقديمهما كصدقة "عطية لله"<sup>٧٩</sup> فهذه الفكرة هي طير لا يفكر في الأرضيات، بل يتجه بأقصى سرعة ممكنة إلى جلد السماء. وإن سلمنا بفكرة أننا لا ينبغي أن نحتمل آلام الاستشهاد فهذا نوع من الزواحف السامة، ولكن إن تكونت لدينا الفكرة المتعلقة بأننا يجب أن نجاهد حتى الموت من أجل الحق<sup>٨٠</sup> فهذا يكون طيراً وصل من الأرض إلى الأعالي<sup>٨١</sup>. وعلينا التفكير بالمثل بالنسبة لباقي أنواع الخطايا والفضائل ونميز الزواحف والطيور التي تحصل مياها على الأمر بإبرازها حتى نحكم عليها في إطار نظرة الله.

٩ "وخلق الله الحيوانات المائية العظيمة وكل كائن حي من الحيوانات الدبابة التي أنتجتها المياه كجنسها وكل طائر ذي جناح كجنسه"<sup>٨٢</sup>. وفيما يتعلق بهذه المخلوقات، كما فيما يتعلق بمن تحدثنا عنها للتو، علينا أيضاً أن نفهم أننا يجب أن نتج "حيوانات مائية عظيمة" وكذلك "حيوانات دبابة كجنسها". يجب في رأيي أن نرى في الحيوانات المائية العظيمة: الأفكار الآثمة والتصرفات الشنيعة المخالفة لله. ومع ذلك فكل تلك الأفكار يجب أن نظهرها بالنسبة إلى الله ونعرضها أمامه حتى يسمح لنا بتقسيم وفصل الجيد من الرديء وحتى يعين الرب لكل منا مكانه كما سنرى فيما بعد.

١٠ "ورأى الله أنها كانت حسنة. وباركها الله قائلاً: أثمرى واكثري واملأى المياه التي في البحار وليكثر الطير على الأرض. وكان مساء وكان صباح و كان هذا اليوم الخامس"<sup>٨٣</sup>. أخذت

<sup>٧٩</sup> انظر: لو ٢١ : ٢.

<sup>٨٠</sup> انظر: سي ٤ : ٢٨.

<sup>٨١</sup> موضوع الاستشهاد الذي يظهر هنا ليس بلاغة محضة، ولكنه يجعلنا نفهم ان الاضطهاد في ذلك الزمان كان يمكن أن يبعث من حين لآخر. وبعد بضعة سنوات، ختم أوريجينيس الدرس الرمزي الذي يستخلصه اليوم من عرضه، بالآلام الخاصة.

<sup>٨٢</sup> انظر: تك ١ : ٢١.

<sup>٨٣</sup> انظر: تك ١ : ٢١ - ٢٣.

"الحيوانات المائية العظيمة" وكذلك "كل كائن حي من جميع الحيوانات الدبابة التي أنتجتها المياه" الأمر بأن تبقى هناك حيث يسكن "التين الذي صنعه الله ليسخر منه"<sup>٨٤</sup>. ولكن الطيور عليها أن تكثر على الأرض التي كانت قبلاً "اليابسة"، والتي تُدعى الآن "أرضاً"، كما قلنا عاليه.

### المنفعة من وراء الشر

ومن الممكن أن نتساءل: لماذا تمثل الحيوانات المائية العظيمة والكائنات الدبابة الشر بينما الطيور تمثل الخير في حين أنه قيل عنهما معاً: "ورأى الله أنها حسنة"<sup>٨٥</sup>؟ ذلك لأنه بالنسبة للقديسين، فحسنة هي الكائنات التي تضادهم، لأنهم يستطيعون أن يغلبوها وعندما يغلبونها يصير لهم مجد أعظم عند الله. وفي نهاية المطاف، حين طلب إبليس من الرب أن يسلطه على أيوب<sup>٨٦</sup>، فقد كانت مهاجمات العدو بالنسبة لأيوب سبب مجد مضاعف بعد النصر<sup>٨٧</sup>، والدليل على ذلك أنه قد استعاد ضعف ما كان قد فقده في هذا العالم، كما أنه مستعد جداً لأن يستعيده دون أدنى شك بذات الأسلوب في السماء. ومن ناحية أخرى يقول بولس الرسول: "لا يكلل أحد إن لم يحارب قانونياً"<sup>٨٨</sup>. فكيف تكون هناك حرب بدون عدو؟ فجمال النور وروعته لن يُلاحظا إن لم تأتِ ظلمة الليل. هل نمتدح هؤلاء بسبب عفتهم إن لم ندن أولئك بسبب فسقهم؟ هل نمجد هؤلاء بسبب شجاعته لو لم يكن هناك جناء ومرتعدون؟ تناول ما هو مر

<sup>٨٤</sup> انظر: مز ١٠٣: ٢٦. هذا هو المزمور رقم ١٠٣ بحسب نص السبعينية ويقابله مزمور رقم ١٠٤ في النص العبري الماسوري وهو النص الذي أخذت عنه الترجمة البيروتية.

<sup>٨٥</sup> انظر: تك ١: ٢١.

<sup>٨٦</sup> انظر: أي ١: ٩.

<sup>٨٧</sup> انظر: أي ٤٢: ١٠.

<sup>٨٨</sup> انظر: تي ٢: ٥.

فتصير حينئذ الحلاوة ألد. تأمل شيئاً مظلماً يبدو لك الشيء المنير أكثر جاذبية. فباختصار، تأمل الأشرار يظهر مجد الأبرار الأكثر تألقاً. ولهذا يقول الكتاب عنها جميعاً: "ورأى الله أنها حسنة"<sup>٨٩</sup>. ولكن لماذا لم يُكتب أن الله "قال" إنها حسنة بل قال "ورأى الله أنها حسنة"؟ لأن الله رأى فائدتها والسبب الذي سمح لها - مع كونها حسنة في ذاتها - بأن تجعل الصالحين يصلون إلى الكمال. لذا قال: "أثمري واكثري واملأي المياه التي في البحار وليكثر الطير على الأرض"<sup>٩٠</sup>، وهذا يعني أن الحيوانات المائية العظيمة والكائنات التي تزحف يجب أن تكون في البحر كما قلنا عاليه وأما الطيور فيجب أن تكون على الأرض.

## اليوم السادس

### حيوانات الأرض: الإنسان الأرضي

١١ "وقال الله: "لتنتج الأرض الحيوان الحي كجنسه: البهائم والدبابات ووحوش الأرض كجنسها. وكان كذلك. فعمل الله وحوش الأرض كجنسها وجميع الكائنات التي تزحف على الأرض كجنسها ورأى الله أنها حسنة"<sup>٩١</sup>. التفسير الحرفي هنا لا يمثل صعوبة. لأنه يقول بوضوح إن الله هو الذي خلق الكائنات الحية والبهائم والوحوش وثعابين الأرض. أما بالنسبة إلى المعنى الروحي، فمن المفيد أن نربط هذا المقطع بالتفسيرات السابقة.

منذ قليل، كانت الآية تنص على: "لتنتج المياه بين الحيوانات الحية كائنات تزحف وطيور تطير فوق الأرض في جلد السماء"<sup>٩٢</sup>.

<sup>٨٩</sup> انظر: تك ١: ٢١.

<sup>٩٠</sup> انظر: تك ١: ٢٢.

<sup>٩١</sup> انظر: تك ١: ٢٤ - ٢٥.

<sup>٩٢</sup> انظر: تك ١: ٢٠.

أما الآن فتنص على: "لتخرج الأرض حيوانات حية كجنسها: البهائم والدبابات ووحوش الأرض كجنسها"<sup>٩٣</sup>. ففيما يتعلق بالكائنات التي تخرجها المياه سبق وقلنا إنها يجب أن تفسر بتحركات وأفكار عقولنا والتي تأتي من عمق قلبنا. أما الآن فيما يتعلق بآية: "لتخرج الأرض حيوانات حية كجنسها: البهائم والدبابات ووحوش الأرض كجنسها"، فأعتقد أننا ينبغي أن نرى فيها تحركات إنساننا الخارجي، أي الإنسان الجسداني والأرضي. وإجمالاً لا يذكر الطيور في الفقرات التي ترتبط بالجسد، ولكنه يذكر فقط البهائم والدبابات ووحوش الأرض. لأنه حسب رأي الرسول أن "البر لا يسكن جسدي"<sup>٩٤</sup> وأن "حكمة الجسد هي عداوة لله"<sup>٩٥</sup> فهذه بالتأكيد هي وحوش الأرض، أي جسدنا المخلوق، التي أوصى من جهتها الرسول أيضاً هذه الوصية: "فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض، الزنا والنجاسة والدعارة والبخل وعبادة الأوثان... إلخ"<sup>٩٦</sup>.

إذاً بأمر الله وبواسطة كلمته عملت كل الأشياء المنظورة وأنشأ هذا الكون المرئي الهائل، ومن ناحية أخرى وفي الوقت ذاته وبصورة رمزية تم تحديد العناصر التي يمكنها أن تجمل هذا العالم الأصغر الذي هو الإنسان<sup>٩٧</sup>، وحينئذ خلق الإنسان نفسه كما سيعرفنا ذلك ما يلي.

### خلق الإنسان

١٢ وقال الله: "لنعلم الإنسان على صورتنا وشبهنا وليتسلط على أسماك البحر وطيور السماء وعلى الكائنات الحية وعلى كل

<sup>٩٣</sup> انظر: تك ١: ٢٤.

<sup>٩٤</sup> انظر: رو ٧: ١٠.

<sup>٩٥</sup> انظر: رو ٨: ٧.

<sup>٩٦</sup> انظر: كو ٣: ٥.

<sup>٩٧</sup> "العالم المصغر" هو فكرة أرسطوطالية وكثيراً ما يرجع إليها فيلوسوف.

الأرض وعلى كل الكائنات التي تدب على الأرض<sup>٩٨</sup>. "وتبعاً لتفسيراتنا السابقة، فإن الإنسان كما وصفناه هو من يتلقى من الله أمراً بالتسلط على الوحوش التي ذكرناها سالفاً، أي الطيور والوحوش الدبابة والبهائم وكل ما عداها. وقد قلنا ما هو التفسير الرمزي الذي يجب أن نعطيه لها حين شرحنا أن الماء، أي عقل الإنسان، قد تلقى أمراً بإنتاج الحس الروحي، والأرض بإنتاج الحس الجسدي بحيث إن الروح تتسلط على الحيوانات وليس العكس. لأن الله يريد أن "العمل العظيم"<sup>٩٩</sup> هذا، وهو الإنسان، الذي من أجله خلق الكون كله<sup>١٠٠</sup>، لا يكون فقط غير ملوث وغير مصاب من قبل ما ذكرناه عاليه، ولكن أيضاً أن يتسلط عليها. ولكن دعونا الآن نرى بكلمات الوحي ذاتها من أي نوع من الكائنات الحية يصنف الإنسان.

### عظمة الإنسان

إن جميع المخلوقات الأخرى خلقت بأمر إلهي، هذا هو ما يقوله الكتاب: "وقال الله: ليكن جلد<sup>١٠١</sup>"، وقال الله: "لتجتمع المياه التي تحت السماء في كتلة واحدة ولتظهر اليابسة<sup>١٠٢</sup>"، "وقال الله: لتخرج الأرض عشب الحقول<sup>١٠٣</sup>". ويعبر الكتاب بنفس الطريقة بالنسبة لكافة المخلوقات الأخرى. ولكن لنر ما هي المخلوقات التي صنعها

<sup>٩٨</sup> انظر: تك ١ : ٢٦.

<sup>٩٩</sup> انظر: أف ٢ : ١٠.

<sup>100</sup> LACTANCE, De ira Dei, 13, CSEL, p. 99

"إذا تفحصنا إدارة العالم الكونية، فسنفهم مدى عظمة الحقيقة الموجودة في اعتقاد الرواقيين الذين يقولون إن العالم قد أنشئ من أجلنا"

CISÉRON, De nat. deor. II, 62, 154:

"كل ما هو في العالم قد اعد وانجز من أجل خير البشر."

ويرفض أوريجينيس فكر كيلسوس الذي لا يقبل أن يكون الله قد صنع كل شيء من أجل الإنسان.

<sup>١٠١</sup> انظر: تك ١ : ٦.

<sup>١٠٢</sup> انظر: تك ١ : ٩.

<sup>١٠٣</sup> انظر: تك ١ : ١١.

الله بنفسه، ولننقس بها عظمة الإنسان: "في البدء عمل الله السموات والأرض"<sup>١٠٤</sup>، وأيضاً: "عمل نورين عظيمين"<sup>١٠٥</sup> والآن أيضاً: "لنعمل الإنسان"<sup>١٠٦</sup>. هذه فقط هي المخلوقات دون غيرها التي تحددت كعمل الله الشخصي. فالله لم يعمل سوى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والآن الإنسان، وأما جميع الباقي فيقول الكتاب إنه عمل بناء على أمره. فلننظر من هنا ما هي عظمة الإنسان، فهو يجعله مساوياً لأعظم العناصر وللعناصر الرئيسية. فهو يكرم مثل السماء، ولذلك فله الوعد "بملكوت السموات"، وهو أيضاً يكرم مثل الأرض، ولذا يأمل أن يدخل إلى أرض جيدة، في "أرض الأحياء حيث يتدفق اللبن والعسل"<sup>١٠٧</sup>. وهو أيضاً يكرم كالشمس والقمر ولذا قد وعد بأن يضيء "كالشمس في ملكوت الله"<sup>١٠٨</sup>.

١٣ بل أتبين في وضع الإنسان شيئاً أسمى أيضاً، لا أجده في أي موقع آخر: "وعمل الله الإنسان، على صورة الله عمله"<sup>١٠٩</sup> وهذا لم يُذكر لا عن السماء ولا الأرض ولا عن الشمس أو القمر.

### الإنسان شبيه الله

بالتأكيد ذلك الإنسان الذي وفقاً للكتاب "عمل على صورة الله" لا نقصده إنساناً جسدياً. فالواقع أن نموذج الجسد لا يحوي صورة الله. ولم يقل إن الإنسان الجسدي قد "عمل" ولكن إنه "صنع" كما ينص الكتاب فيما يلي. يقول الكتاب: "وصنع الله الإنسان" أي شكله من "طمي الأرض"<sup>١١٠</sup>. أما من عمل "على صورة الله" فهو إنساننا الداخلي،

١٠٤ انظر: تك ١ : ١ .

١٠٥ انظر: تك ١ : ١٦ .

١٠٦ انظر: تك ١ : ٢٦ .

١٠٧ انظر: خر ٣ : ٤٨ : ٣٣ : ٣ .

١٠٨ انظر: مت ١٣ : ٤٣ .

١٠٩ انظر: تك ١ : ٢٧ .

١١٠ انظر: تك ٢ : ٧ .

غير المرئي، غير الجسدي، غير القابل للفساد وغير المائت. لأننا من هذه الصفات نعرف بدقة أكثر صورة الله<sup>١١١</sup>. فالتصور بأن الإنسان الجسدي هو الذي عمل حسب صورة الله وشبهه، هو الافتراض أن الله نفسه جسدي وأنه يمتلك شكل بشري، ومثل هذه الفكرة عن الله تعد وبكل وضوح تجديفًا. حاصل الكلام، فإن هؤلاء البشر الجسديون، الذين يجهلون معنى اللاهوت، حينما يقرأون عن الله في الكتاب: "السماء عرشي والأرض موطئ لقدمي"<sup>١١٢</sup>، يتصورون أن الله له جسد ضخم حتى إنه يمد قدميه من السماء حيث هو جالس حتى الأرض. وإن كانت لديهم تلك الأفكار فذلك لأنه تنقصهم الآذان المطلوبة لسماع كلام الله المذكور في الكتاب عن الله باستحقاق. فكلمة "السماء عرشي" تُفسر كما ينبغي عن الله عندما نعلم أن الله يستريح ويسكن في الذين "مسكنهم في السموات"<sup>١١٣</sup>، أما من كان لهم سلوك أرضي بعد، فنجد فيهم الجزء الأخير من نعمته، كما يشار إلى ذلك بأسلوب مجازي من خلال ذكر القدمين. فإذا كان من بينهم من وضعوا جهادهم وحماسهم في أن يصيروا سماويين من خلال قداسة الحياة وعمق الفكر، فهؤلاء يصبحون هم أنفسهم أيضًا عرشًا لله، بعد أن جعلوا أولًا سماويين بسلوكهم، وهم يقولون: "أقامنا مع المسيح وأجلسنا معه في السموات"<sup>١١٤</sup>. وأما الذين "كنزهم في السماء"<sup>١١٥</sup> فهؤلاء يمكن أن يطلق عليهم سماويين وكذلك عرشًا لله لأنه "حيث يكون كنزهم هناك يكون قلبهم"<sup>١١٦</sup>، والله لا

<sup>١١١</sup> يرجع أوريجينيس من أجل شرح أكثر تفصيلاً للإنسان المخلوق على صورة الله في تعليقات على سفر التكوين. لكن الجزء الأكبر من هذه التعليقات مفقود اليوم باستثناء ربما المقطع الطويل الذي على البردية التي تملكها جامعة جيسين (Giessen).

<sup>١١٢</sup> انظر: إش ٦٦ : ١.

<sup>١١٣</sup> انظر: في ٣ : ٢٠.

<sup>١١٤</sup> انظر: أف ٢ : ٦.

<sup>١١٥</sup> انظر: مت ١٩ : ٢١.

<sup>١١٦</sup> انظر: لو ١٢ : ٣٤.

يكتفي بأن يستند عليهم ولكنه يسكن أيضًا فيهم<sup>١١٧</sup>. وإن كان هناك من يصلون إلى درجة أن يستطيعوا القول: "أم أنكم تبحثون عن برهان أن المسيح هو الذي يتكلم في<sup>١١٨</sup>؟"، فلا يكتفي الله بأن يسكن في هؤلاء فقط، ولكنه يسير في وسطهم أيضًا. ولهذا فالكاملون إذ صاروا سماويين أو أصبحوا سماوات، فإنهم "يخبرون بمجد الله"<sup>١١٩</sup> كما يقول في المزمور، لهذا أيضًا التلاميذ الذين كانوا من السماوات قد أرسلوا ليخبروا بمجد الله ويأخذوا اسم "بوانرجس أي ابني الرعد"<sup>١٢٠</sup>، حتى تؤكد لنا قوة الرعد أنهم حقًا من السماوات. إذا "عمل الله الإنسان، على صورة الله عمله"<sup>١٢١</sup>. فعلينا أن نرى ما هي صورة الله ونبحث على شبه أية صورة خلق الإنسان، لأنه لم يقل أن الله عمل الإنسان على صورته أو على شبهه، ولكن أنه "عمله على صورة الله" فما هي إذا صورة الله الأخرى هذه التي عمل الإنسان على شبهها؟ لهذه الصورة لا يمكن أن تكون إلا مخلصنا: هو "بكر كل خليفة"<sup>١٢٢</sup> ومكتوب عنه أنه "بهاء النور الأبدي والرسم المرئي لجوهر الله"<sup>١٢٣</sup>، ويقول هو عن نفسه: "أنا في الآب والآب في<sup>١٢٤</sup>" و"من رأني فقد رأى الآب أيضًا"<sup>١٢٥</sup>. والواقع أن من يرى صورة شخص يرى الشخص الذي تمثله الصورة. وهكذا، نحن نرى الله عن طريق كلمة الله الذي هو صورة الله. وهكذا يحق ما يقوله إن: "من رأني فقد رأى الآب أيضًا".

<sup>١١٧</sup> انظر: ٢ كو ٦: ١٦.

<sup>١١٨</sup> انظر: ٢ كو ١٣: ٣.

<sup>١١٩</sup> انظر: مز ١٨: ١ (بحسب السبعينية).

<sup>١٢٠</sup> انظر: مر ٣: ١٧.

<sup>١٢١</sup> انظر: تك ١: ٢٧.

<sup>١٢٢</sup> انظر: كو ١: ١٥.

<sup>١٢٣</sup> انظر: عب ١: ٣.

<sup>١٢٤</sup> انظر: يو ١٤: ١٠.

<sup>١٢٥</sup> انظر: يو ١٤: ٩.



فالإنسان خُلق إذًا على شبه هذه الصورة. ولهذا، مخلصنا، الذي هو صورة الله؛ إذ تحركت مشاعر الشفقة لديه من أجل الإنسان الذي عُمل على شبهه، والذي رآه ينحل من صورته ليلبس صورة اللئيم، أخذ هو نفسه صورة إنسان، بدافع الشفقة، وجاء إليه كما يشهد بذلك أيضًا الرسول حين يقول: "مع إنه كان الله بحاله، لم يتمسك بلهفة بمساواته مع الله، لكنه أخلى نفسه آخذًا حالة العبد، صائرًا في شبه الناس، وإذ عُرف كإنسان من خلال كل ما بدا منه، وضع نفسه حتى الموت"<sup>١٢٦</sup>.

فكل من يأتون إليه ويجتهدون في أن يكونوا مشاركين لتلك الصورة العاقلة<sup>١٢٧</sup> بتقدمهم، "يتجددون يومًا بعد يوم حسب الإنسان الداخلي"<sup>١٢٨</sup> على صورة من صنعهم، وهكذا يمكنهم أن يصيروا "شبيهين بجسد مجده"<sup>١٢٩</sup>، ولكن كل واحد بحسب قدراته. لقد تشكل الرسل من جديد على شبهه حتى قال عنهم هو نفسه: "إني ذاهب لأبي وأبيكم، إلهي وإلهكم"<sup>١٣٠</sup>، وقد طلب هو نفسه إلى الآب من أجل تلاميذه حتى يعاد لهم الشبه القديم قائلًا: "أيها الآب اعمل بحيث يكونوا واحدًا فينا، كما أننا أنت وأنا واحد"<sup>١٣١</sup>.

<sup>١٢٦</sup> في ٢ : ٦-٨.

<sup>١٢٧</sup> تعادل "عاقلة" هنا تقريبًا "روحية" أو حتى "إلهية". ويقال "عاقل" عن كل من يتطابق مع مبادئ العقل المستنير بالروح القدس. "المعرفة العقلية" هي المعرفة التي تجعلنا نتشارك مع كلمة وحكمة الله (العظة ٢ : ٣). "المخلوقات العقلية" هي المخلوقات التي تستمد حياتها من الثالوث (العظة ٢ : ٥). "الحس العقلي" هو الحس الذي يسمح لنا بأن نسود على شهوات الجسد وأن نقف بلا انقطاع أمام الله (العظة ٤ : ٤؛ العظة ١٢ : ٥)، وألا ننظر إلى الوراء وأن نكون على الدوام متجهين صوب الخلاص (العظة ٥ : ٢)؛ وهو الذي يجعل الماء الحي الذي للحياة الأبدية ينبع فينا (العظة ١٢ : ٥)، وهو انعكاس صورة الله فينا (العظة ١٣ : ٣). وعلى العكس فإن الذين لم يضيئ عندهم الإيمان بعد هم كائنات محرومة من العقل (العظة ٢ : ٣).

<sup>١٢٨</sup> انظر: ٢ كو ٤ : ١٦.

<sup>١٢٩</sup> انظر: في ٣ : ٢١.

<sup>١٣٠</sup> انظر: يو ٢٠ : ١٧.

<sup>١٣١</sup> انظر: يو ١٧ : ٢١-٢٢.

فلتكن إذن أعيننا دومًا على صورة الله هذه حتى يمكننا أن نُشكّل من جديد على شبهه. فإن كان الإنسان المخلوق على صورة الله قد صار مشابهًا لإبليس بالخطية، بنظره، على عكس طبيعته، إلى صورة إبليس، فكم بالأحرى لو نظر إلى صورة الله التي خلقه الله حسب شبهها، فهو سينال بالكلمة وبقوته الشكل الذي أعطى له بالطبيعة. وإن وجد أحد أنه يشبه أكثر إبليس منه إلى الله، فلا ييأس من أنه يمكنه استعادة شكل صورة الله، بما أن المخلص لم "يأت ليُدعو الأبرار بل الخطاة إلى التوبة"<sup>١٣٢</sup>. "فمتى كان عشارًا"<sup>١٣٣</sup> وبالطبع كانت صورته تشبه إبليس، ولكن بمجيئه إلى صورة الله وإلى ربنا ومخلصنا واتباعها، تم تغييره إلى شبه صورة الله. ويعقوب ابن زبدي ويوحنا أخوه<sup>١٣٤</sup> "كانا صيادين"<sup>١٣٥</sup> وشخصين عديمي العلم<sup>١٣٦</sup>، ومن الواضح أنهما كانا بناءً على ذلك يشبهون بالأحرى صورة إبليس، ولكن باتباعهما هما أيضًا لصورة الله صارا مشابهين له مثل باقي التلاميذ. وبولس كان يضطهد<sup>١٣٧</sup> صورة الله ذاتها ولكنه حين استطاع أن يرى جمالها وعظمتها، حولته تلك الرؤيا إلى شبهها إلى درجة عالية، حتى إنه قال: "أم أنتم تبحثون عن البرهان على أن المسيح هو الذي يتكلم في<sup>١٣٨</sup>؟"

"خلقهما ذكرا وأنثى"

١٤ "ذكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ وَبَارَكَهُمُ اللَّهُ قَائِلًا أَثْمَرُوا وَكَثُرُوا

١٣٢ انظر: لو ٥: ٣٢.

١٣٣ انظر: مت ١٠: ٣.

١٣٤ انظر: مت ٤: ٢١.

١٣٥ انظر: مت ٤: ١٨.

١٣٦ انظر: أع ٤: ١٣.

١٣٧ انظر: ١ تي ١: ١٣.

١٣٨ انظر: ٢ كو ١٣: ٣.

وامالأوا الأرض وكونوا أسيادها<sup>١٣٩</sup>." إنه من المثير للاهتمام أن نبحت هنا بتفسير حريفي لماذا يقول الكتاب: "خلقهما ذكراً وأنثى" في حين لم تكن المرأة قد خلقت بعد. بلا شك . هكذا أعتقد . أنه بسبب البركة التي أعطاهاها الله إياها قائلاً: "أثمروا واكثروا وامالأوا الأرض"، فيقول [الكتاب]، مستبقاً ما كان سوف يحدث: "ذكراً وأنثى خلقهما"، لأن الرجل لا يستطيع أن يثمر ولا أن يتكاثر إلا بالمرأة. وحتى لا يكون هناك إذاً تردد في الإيمان بحلول تلك البركة، يقول: "ذكراً وأنثى خلقهما"، فعلى هذا النحو؛ إذ يرى الرجل أن النمو والتكاثر ينتج من أن المرأة مرتبطة به، فيمكنه أن يحتفظ بثقة أكبر في البركة الإلهية. فلو كان الكتاب قد قال: "أثمروا واكثروا وامالأوا الأرض وكونوا أسيادها" دون أن يضيف أنه "خلقهما ذكراً وأنثى" لظل الإنسان حتماً متشككاً في البركة الإلهية، مثلما فعلت مريم التي جاوبت على بركة الملاك: "كيف يحدث هذا بما إني لست أعرف رجلاً<sup>١٤٠</sup>؟" ولكن إذا كان الكتاب يقول مستبقاً: "خلقهما ذكراً وأنثى" فربما أيضاً لأن كل أعمال الله مقدمة بكونها متحدة ومنجمعة كالسما والارض والشمس والقمر، فقد أراد الكتاب من هنا إذاً أن يوضح أن الانسان أيضاً هو عمل الله وأنه لم يخلق دون الاتفاق والارتباط اللازمين له.

كل ذلك لم يقم بشيء سوى الإجابة على مشكلة التفسير الحريفي.

١٥ ولكن دعونا نرى أيضاً بالمعنى المجازي كيف خلق الإنسان ذكراً وأنثى على صورة الله. إنساننا الداخلي مكون من روح ونفس. لنقل أن الروح هي الذكر، ويمكن أن تُعتبر النفس هي الأنثى. فإن

<sup>١٣٩</sup> انظر: تك ١: ٢٧ - ٢٨.

<sup>١٤٠</sup> انظر: لو ١: ٣٤.

تفاهما واتفقا فيما بينهما يثمران ويكثران باتحادهما فيلدان - كأبناء - الأعمال الصالحة والأفكار والتأملات المفيدة التي يملآن بها الأرض ويكونون أسيادها، أي أنهما إذ يتحكمان في ميول الجسد يحولانها إلى مقاصد أسمى ويكونون أسيادها بعدم تساهلها مع أي تمرد للجسد ضد إرادة الروح. أما إن هبطت النفس المتحدة بالروح والمقتربة بها، إذا جاز التعبير، أحياناً إلى الشهوات المادية ومالت إلى متعة الجسد، فبدت أنها تطيع إنذارات الروح الخلاصية حيناً وتستسلم للرزائل الجسدية حيناً آخر، فإن هذه النفس الملوثة، كما من زنا جسدي، لا يمكنها أن تثمر ولا أن تتكاثر بشكل شرعي، بما أن كلمة الكتاب تعلن أن "أبناء الزنا لا يصلون إلى كمالهم"<sup>١٤١</sup>، فمثل هذه النفس التي تهمل الارتباط بالروح وتستسلم بكاملها إلى ميول الجسد وإلى الشهوات الجسدية كما لو كانت قد ابتعدت عن الله بوقاحة، فتلك النفس ستسمع الصوت القائل لها: "اتخذت وجه امرأة زانية وبذلت نفسك دون حياء للجميع"<sup>١٤٢</sup> وستعاقب إذاً كزانية ويأمر الرب بإعداد مذبحه أبناءها"<sup>١٤٣</sup>.

١٦ "وتسلطوا على سمك البحر وعلى طيور السماء وعلى الخيل والحمير وعلى كل الحيوانات التي على الأرض وعلى الزواحف التي تدب على الأرض"<sup>١٤٤</sup>. "لقد سبق وأن فسرنا ذلك بالمعنى الحرفي"<sup>١٤٥</sup> حين تعرضنا لآية: "وقال الله: لنعمل الإنسان" والباقي تم تفسيره حين قال: "ليتسلطوا على سمك البحر وعلى طيور السماء... إلخ"<sup>١٤٦</sup>

أما بالمعنى المجازي، فما يبدو لي هو أن ما تشير إليه الأسماك

<sup>١٤١</sup> انظر: حك ٣ : ١٦ .

<sup>١٤٢</sup> انظر: إر ٣ : ٣ .

<sup>١٤٣</sup> انظر: إش ١٤ : ٢١ .

<sup>١٤٤</sup> انظر: تك ١ : ٢٨ .

<sup>١٤٥</sup> ارجع إلى العظة ١ : ١٢ .

<sup>١٤٦</sup> انظر: تك ١ : ٢٦ .

والطيور والحيوانات والزواحف التي على الأرض هو ما قد سبق وقلناه أيضاً أعلاه، أي سواء ما ينتج عن تدابير النفس وفكر القلب أو ما يتولد من الشهوات المادية وحركات الجسد. وفي هذه جميعها يمارس القديسون الذين يحفظون بركة الرب تسلطهم من خلال قيادة الإنسان بالكامل طبقاً لإرادة الروح، أما الخطاة فهم على العكس تحت سيادة ما ينشأ عن نقائص الجسد وشهواته.

### غذاء الإنسان

١٧ "وقال الله ها قد أعطيتكم كل عشب يبذر بذراً على سطح الأرض كلها وكل شجر فيه ثمر يبذر يُبذر، هذا يكون لكم طعاماً ولكل حيوانات الأرض وكل طير السماء وكل الدبابات التي تدب على الأرض والتي فيها نفس حية<sup>١٤٧</sup>." وبالمعنى التاريخي، هذه العبارة تشير بوضوح إلى أن الله في البدء سمح باستخدام العشب كطعام، أي الخضراوات وثمار الأشجار. ولكن فيما بعد، حين تم العهد مع نوح بعد الطوفان سمح الله للإنسان أن يتغذى على اللحوم. وسوف نفسر لاحقاً أسباب ذلك بشكل أفضل في موقعها. أما بالمعنى المجازي، فالعشب وثمار الأرض التي وهبت للإنسان كطعام يمكن أن تُفسر على أنها الأهواء الجسدية. فالغضب والطمع هما إذاً أفرع الجسد<sup>١٤٨</sup>، وثمر هذه الأفرع، أي العمل، بالنسبة لنا نحن الكائنات العاقلة كما بالنسبة لوحوش الأرض، هو مشترك، لأننا حين نحتد بحق، أي من أجل توبيخ شخص مذنب وإصلاحه من أجل خلاصه، فنحن هنا نتغذى من ثمرة الأرض هذه وغداؤنا هو الاحتداد الجسدي الذي يردع الخطية ويستعيد العدالة.

وربما يبدو لكم أني قد استنتجت هذا من أعماقي أكثر مما

<sup>١٤٧</sup> انظر: تك ١: ٢٩ - ٣٠.

<sup>١٤٨</sup> أي التي يتغذى عليها.

استنتجته من سلطان الكتاب الإلهي، ولكن ارجعوا إلى سفر العدد وتذكروا ما عمله الكاهن فينحاس؛ إذ رأى امرأة زانية من مديان سلمت نفسها لفعل النجاسة مع رجل من بني إسرائيل أمام أعين الجميع؛ وإذ امتلأ من الغضب ومن الغيرة المقدسة، أمسك بسيف وطعن كل منهما به في صدريهما<sup>١٤٩</sup>. هذا التصرف حسب له برًّا من قبل الله، وبقًا لكلمة الرب: "فينحاس هدأ غضبي وسوف يحسب له هذا برًّا"<sup>١٥٠</sup>. فهذا الطعام، [أي] الغضب الأرضي قد صار إذن غذاءنا حين نستخدمه بتعقل من أجل العدل. ولكن حين يوصل الغضب إلى أعمال مخالفة للصواب كمعاقبة الأبرياء، أو كالثورة في وجه من لم يفعلوا أي سوء، يكون هذا الطعام من أجل بهائم الحقل وثعابين الأرض وطيور السماء لأن الشياطين أيضًا تتغذى على نفس هذا الطعام، الذين يقتاتون أعمالنا السيئة ويفضلونها. وقايين مثال لنا على هذا النوع من الأعمال، هو الذي من غضبه وغيرته قتل أخاه البريء<sup>١٥١</sup>. ويجب أن نقول ذلك عن الشهوة وعن كل الأهواء التي من هذا النوع. لأنه عندما "تشتهي نفسنا وتتضني تائفة للإله الحي"<sup>١٥٢</sup>، فيكون الاشتها هو طعامنا. ولكن إذا نظرنا امرأة غريبة لنشتهيها<sup>١٥٣</sup> أو إذا اشتهينا أي شيء يملكه القريب<sup>١٥٤</sup> هنا تصبح الشهوة طعامًا حيوانيًا. ومن الممكن أن نعطي مثالاً لذلك: شهوة آخاب وما فعلته إيزابيل من أجل كرم نابوت اليزرعيلي<sup>١٥٥</sup>.

ويجب بالتأكيد أن نلاحظ حذق الكتاب المقدس حتى في

<sup>١٤٩</sup> انظر: عد ٢٥: ٧ - ٨.

<sup>١٥٠</sup> انظر: عد ٢٥: ١١ - ١٢؛ مز ١٠٥: ٣١ (بحسب السبعينية).

<sup>١٥١</sup> انظر: تك ٣: ٨.

<sup>١٥٢</sup> انظر: مز ٨٣: ٣ (بحسب السبعينية).

<sup>١٥٣</sup> انظر: مت ٥: ٢٨.

<sup>١٥٤</sup> انظر: خر ٢٠: ١٧.

<sup>١٥٥</sup> انظر: ١ صم ٢١.

اختيار الكلمات، فبينما قال حين كان الأمر يتعلق بالبشر: "قال الله: ها قد أعطيتكم كل عشب يبزر بزرًا على الأرض وكل شجر على الأرض: هذا يكون لإطعامكم"<sup>١٥٦</sup>، لم يقل ذلك حين كان الأمر يتعلق بالبهائم: "إني أعطيتها كل هذا طعامًا لها" لكن: "هذا يستخدم طعامًا لها"<sup>١٥٧</sup>، وابتاع المعنى الروحي الذي عرضناه، يجب نفهم أن هذه الغرائز قد أعطاهما الله للإنسان ومع ذلك فهو يعلن أنها تستخدم أيضًا طعامًا لبهائم الأرض. هذا هو السبب إذن في أن الكتاب الإلهي قد استخدم أسلوبًا حذرًا للغاية: فيخبر بالنسبة للبشر أن الله قال: "أعطيتكم هذا طعامًا"<sup>١٥٨</sup>، أما عندما يأتي إلى البهائم، يقول إن هذا يُستخدم أيضًا طعامًا للبهائم والطيور والثعابين، ليعني أن هذا لا يأتي كأمر من قبل شخص، وإنما كنوع من الإعلان من قبل شخص.

أما نحن، فلنعكف وفقًا لقول بولس الرسول "على القراءة"<sup>١٥٩</sup>، حتى نستطيع، حسب كلماته الخاصة، "أن نأخذ فكر المسيح"<sup>١٦٠</sup> ونعرف "ما أعطاه الله لنا"<sup>١٦١</sup>، وما أعطاه طعامًا لنا لا يجب أن نجعل منه طعامًا للخنازير أو للكلاب<sup>١٦٢</sup>. لكن لنهيه بداخلنا طعامًا يجعلنا مستحقين لاستقبال كلمة وابن الله في قلوبنا، الذي يأتي مع أبيه والذي يريد أن يقيم فينا مسكنه<sup>١٦٣</sup> في الروح القدس<sup>١٦٤</sup> الذي يجب

<sup>١٥٦</sup> انظر: تك ١ : ٢٩ .

<sup>١٥٧</sup> انظر: تك ١ : ٣٠ .

<sup>١٥٨</sup> انظر: تك ١ : ٢٩ .

<sup>١٥٩</sup> انظر: ١ تي ٤ : ١٣ .

<sup>١٦٠</sup> انظر: ١ كو ٢ : ١٦ .

<sup>١٦١</sup> انظر: ١ كو ٢ : ١٢ .

<sup>١٦٢</sup> انظر: مت ٧ : ٦ .

<sup>١٦٣</sup> انظر: يو ١٤ : ٢٣ .

<sup>١٦٤</sup> هذه العبارة تذكر مصطلح "في الروح القدس" حينما نتكلم عن عمل الثالوث معنا. وسنجد في (العظة ٢ : ٥) عبارة "من الأب بالابن والروح القدس" وهي كلها تعتبر بدايات لما استقر في القرن الرابع: "من الأب بالابن في الروح القدس".

قبل كل شيء أن نكون له هيكلًا<sup>١٦٥</sup> بقداستنا. له المجد الدائم إلى  
دهر الدهور آمين<sup>١٦٦</sup>.

---

<sup>١٦٥</sup> انظر: ١ كو ٦: ١٩.

<sup>١٦٦</sup> انظر: رو ١١: ٣٦.





العظة الثانية

فُلُكُ نُوحَ



## التفسير الحرفي

١ في بدء الحديث عن الفلك الذي بناه نوح بأمر الله، نثر أولاً ما قيل عنه حرفياً ولنعرض المسائل التي اعتاد الكثيرون طرحها كأمر معارضة، ولنبحث لها عن حل بناء على ما نقله لنا القدماء. فبهذه الطريقة، وعقب وضع تلك الأسس، نستطيع أن نرتفع من نص التاريخ<sup>١</sup> إلى المعنى المستيكي الرمزي للفهم الروحي، وإذا كان هناك أي سر، ندركه بفضل الرب الذي يكشف لنا علم كلمته.

وها هي إذاً الآية نفسها: "وقال الرب لنوح: نهاية كل بشر قد أتت أمامي، لأن الأرض مملوءة ظلماً بسببهم. فسأهلكهم مع الأرض. اصنع لنفسك إذاً فلكاً من خشب مربع، تهئ كوى وكوى<sup>٢</sup> في الفلك، وتطليه بالقار من داخل ومن خارج. هكذا تصنع الفلك: تصنع الفلك حاسباً ثلاث مئة ذراع لطول الفلك، وخمسين ذراعاً لعرضه، وثلاثين ذراعاً لارتفاعه. والقمة تكملها في ذراع واحد. وتضع باب الفلك في الجانب. وتجعل الجزء السفلي طابقين والجزء العلوي ثلاثة طوابق." وبعد ذلك ببضع كلمات، يقول الكتاب: "وفعل نوح حسب كل ما أمره به الله الرب، هكذا فعل<sup>٣</sup>."

### هيئة الفلك<sup>٤</sup>

نحن نتساءل بدايةً، كيف يجب النظر في هيئة الفلك نفسه

<sup>١</sup> هناك خلط لدى أوريجينيس (أو روفينوس) بين كلمتي حرفي وتاريخي.

<sup>٢</sup> المقصود بها مساكن لأن الكوة هي فتحة غير نافذة في الجدار.

<sup>٣</sup> انظر: تك ٦: ٢٢، ٢٢.

<sup>٤</sup> هنا نجد في أكثر من مئة سطر، المقطع اليوناني الوحيد الذي بقي لنا من العظات على سفر التكوين لأوريجينيس، وقد حفظه لنا بروكوبس وتقليد (Chaines) ولكن مع وجود اختلاف طفيف بينها. ونحن لا يمكن أن نعتبر أن هذا النص هو بالضبط ما قدمه أوريجينيس؛ إذ نجده يحتوي على مقاطع لديديموس الضرير في تعليقه على سفر التكوين، والذي يستلهم بلا شك من أوريجينيس. وهكذا يعتبر نص روفينوس هو ترجمة مباشرة لنص أوريجينيس، تحترم أفكار أوريجينيس لكن يرجع التعبير عنها وتنظيمها إلى روفينوس. وحيث إن الترجمة التي نوردها هنا هي ترجمة روفينوس فقد التزمنا بها أيضاً في هذا الجزء.

وشكله. فبقدر ما يبرز من الوصف أتصور الفلك رباعي الزوايا، يرتفع وهو يضيق تدريجياً من الأسفل إلى القمة حتى يصل من الصغر هنا إلى قياس ذراع واحد. وقيل إنه جعل القاعدة ثلاث مئة ذراع طولاً، وخمسين ذراعاً عرضاً، بينما أقامه بارتفاع ثلاثين ذراعاً ولكن يصغر [الفلك] إلى قمة ضيقة جداً بحيث لم يبلغ طوله وعرضه سوى ذراع واحد.

### المساكن الداخلية<sup>٥</sup>

وبالنسبة للداخل، يتكون ما يسمى بالجزء السفلي من "طابقين" أي إنه يضم ارتفاعاً مزدوجاً من المساكن، ولكن يتكون الجزء العلوي من "ثلاثة طوابق" فيمكننا القول بأنه قد بُني في الفلك ارتفاع ثلاثي من غرف عليا. ويبدو أن هذا الفصل بين المساكن قد تم حتى يمكن توزيع أنواع الحيوانات المختلفة في كل مسكن بسهولة أكبر والاحتفاظ بالحيوانات الوديفة والضعيفة منها بمنأى عن الوحوش الشرسة. وتُسمى إذاً هذه المساكن المنفصلة "بالكوى".

### مواد البناء

قيل إن [الأخشاب المستخدمة] كانت أخشاباً مربعة وذلك حتى تتلائم مع بعضها البعض بسهولة أكبر ولمنع أي تسرب للمياه أثناء اجتياح الطوفان، في حين تم سد الفجوات من الداخل ومن الخارج بالقار.

### الطوابق

يخبرنا التقليد<sup>٦</sup>، وهو أمر محتمل الحدوث، أن أسفل الفلك

<sup>٥</sup> نجد في العديد من مخطوطات (Chaînes) رسماً في الهامش يمثل الفلك بشكله الهرمي وطابقه السفليين وطوابقه الثلاثة العليا وتقسيمه.

<sup>٦</sup> إنه واحد من عدة تقاليد تسلمها أوريجينيس من بعض اليهود الذين بالإسكندرية أو خلال

المبني على الارتفاع المزدوج، كما قلنا قبلاً، قد سمي من جانبه "ذو طابقين"، بينما الجزء الأعلى قيل إنه "ذو ثلاثة طوابق"، وقد صُنِعَ [الأسفل] مزدوجاً من أجل السبب الآتي: فجميع الحيوانات أمضت في الفلك عامّاً كاملاً، وكان بالتأكيد من الضروري توفير المؤن لهم طوال العام، ولكن أيضاً ليجب إنشاء أماكن لتلقي نتاج الهضم بحيث لا تتضايق الحيوانات ذاتها، وكذلك على الأخص الأفراد، من رائحة الزيل غير المحتملة. فيخبرنا إذن أن الجزء الأدنى في القعر كان محفوظاً للضروريات التي من هذا النوع، و أن الجزء الذي كان يوجد فوقه مباشرة كان مخصصاً لحفظ الغذاء. لأنه بالنسبة إلى الحيوانات التي تتغذى عادةً على اللحوم، كان يبدو من الضروري إدخال عدد أكبر جداً من الحيوانات التي تُستخدم لحومها كغذاء، وتسمح للحيوانات الأخرى بالبقاء من أجل الحفاظ على السلالة. كما كان ينبغي من أجل الحيوانات الأخرى الاحتفاظ بنوع الأغذية الذي يتطلبها نظامها الطبيعي. إذاً فكما يخبرنا فقد كانت الأجزاء السفلية المسماة "ب ذات الطابقين" مخصصة لهذا الغرض، أما الأجزاء العليا فقد كانت مخصصة لإقامة الحيوانات: هناك في الأسفل كانت تأوي الحيوانات المتوحشة والمفترسة والثعابين، وفوقها مباشرة كانت هناك حظائر الحيوانات الأكثر هدوءاً، وأخيراً فوق الجميع في القمة وضع مسكن البشر، كما هو طبيعي بالنسبة لهم، وهم الذين بالكرامة وبالعقل يتفوقون على الكل. وهكذا، فالإنسان الذي يتسلط على جميع الكائنات التي على الأرض، كما نعرف، بعقله وبحكمته، قد أقيم موضعياً في مكان أسمى فوق كل كائنات الفلك الحية.

## الباب

وبخبرنا التقليد أيضًا أن الباب الذي صُنِعَ، كما يقول الكتاب، في الجانب كان يوجد في مكان ما بحيث كانت تحته الأجزاء السفلية التي يطلق عليها "ذات الطابقيين"، وبحيث سميت الأجزاء العليا ذوات الطوابق الثلاثة بأنها "عليا" بالنسبة إلى موضع الباب. وإذا دخلت كل الحيوانات من هنا، تم توزيعها بعد ذلك في أماكنها الخاصة، كما قلنا أعلاه، مع الأخذ في الاعتبار بالفصل المطلوب. ولكن لم تكن الطرق البشرية هي التي تضمن حماية الباب. إذ كيف، عندما أُغلق الباب ولم يكن أحد خارج الفلك، تمكن من طلائه بالقار من الخارج؟ كان ينبغي بالتأكيد أن تعمل القدرة الإلهية حتى لا تتغلغل المياه من ممر لم تحمه يد الإنسان. لذا، بعدما قال الكتاب بالنسبة إلى كل الباقي أن نوح هو الذي صنع الفلك وأدخل فيه الحيوانات، وكذلك أبناءه مع زوجاتهم، لم يقل، عندما يتعلق الأمر بالباب أن نوحًا قد أُغلق باب الفلك، ولكنه قال: "الرب الإله من الخارج أُغلق باب الفلك" وهكذا "حدث الطوفان".<sup>٧</sup> ولنلاحظ مع ذلك أن بعد الطوفان حين أرسل نوح "الغراب ليرى إن كانت المياه قد انحسرت من على وجه الأرض"<sup>٨</sup>، لم يقل الكتاب إن نوحًا فتح الباب ولكنه فقط فتح "الطاقة".

## المؤمن

أدخل نوح إلى الفلك غذاءً لكافة الحيوانات التي دخلت معه، ولنسمع الكلام الذي قاله الرب لنوح: "وأنت خذ من كافة الأغذية التي تؤكل واذخرها بالقرب منك لتستخدم كغذاء لك وكذلك

<sup>٧</sup> انظر: تك ٧: ١٦ - ١٧.

<sup>٨</sup> انظر: تك ٨: ٦، ٨.

لهم<sup>٩</sup>. "وفعل نوح ما أمره به الرب. اسمع نص الكتاب: "وفعل نوح كل ما أمره به الرب الإله، هكذا فعل"<sup>١٠</sup>.

### أماكن التبرز

إن كان الكتاب لم يقل شيئاً عن الأماكن المخصصة لنزل الحيوانات، في حين يتحدث التقليد عنها، فيبدو أنه قد تم بحق السكوت حول هذه النقطة وتبعاتها، في حين يكفي العقل ليعلمها. وكما أن تعليم مثل هذا هو أقل استحقاقاً من أن ينسجم مع الفهم الروحي، لذا كان الكتاب محقاً في أن يسكت عنه، وهو [الكتاب] الذي شغله الأساسي هو أن يوافق رواياته مع المعاني الرمزية.

### إتقان الفلك وكماله

ولكن، ومع الوضع في الاعتبار الظروف التي فرضتها الأمطار والطوفان، لم يكن ممكناً أن يعطى الفلك شكلاً مناسباً أكثر من الشكل الذي كان يسمح لمياه الأمطار ان تسيل من القمة كما من سقف ضيق عند قمته، والذي كان يحتفظ بالتوازن تاركاً الجوانب الأربعة تغوص بعمق تحت المياه: على هذا النحو، لا تستطيع لا قوة الرياح ولا تلاطم الأمواج ولا تهيج الحيوانات التي كانت بالداخل أن تُميل الفلك ولا أن تفرقه.

### اعتراضات أبيليس

٢ لكن في ظل وجود كل هذا التكوين المجمع بمهارة شديدة، يبدي البعض اعتراضات وخاصة أبيليس<sup>١١</sup> (Apelles) الذي بسبب

<sup>٩</sup> انظر: تك ٦: ٢١.

<sup>١٠</sup> انظر: تك ٦: ٢٢.

<sup>١١</sup> نحو القرن الثاني كتب أبيليس سلسلة من "الجدالات الشكلية" تكون مجموعة من الاعتراضات ضد الكتاب المقدس. وقد تسربت بعض اعتراضاته بين المؤمنين وزرعت بليلة. (ارجع إلى العظة ٣: ١)



أنه تلميذ ماركيون (Marcion) لم يخترع هرطقة أخرى غير تلك التي أخذها عن معلمه. إذاً يبالغ أبيليس، في رغبته أن يتهم كتابات موسى بأنها لا تحوي شيئاً من الحكمة الإلهية ولا من عمل الروح القدس، في الأقوال التي من هذا النوع، ويدعي أنه من المستحيل تماماً أن يتمكن حيز بهذا الصغر من احتواء كل تلك الأنواع من الحيوانات مع الغذاء الذي كان يلزمها لمدة عام كامل. وحيث إنه قد أدخل إلى الفلك وفقاً للكتاب "زوجاً زوجاً"<sup>١٢</sup> من جميع الحيوانات النجسة أي زوجاً من الذكور وكذلك زوجاً من الإناث. وهذا ما يشير إليه تكرار الكلمة - "سبعة أزواج سبعة أزواج"<sup>١٣</sup>، أي سبعة أزواج من كافة الحيوانات الطاهرة، فيقول: كيف أمكن أن يحدث أن الحيز الذي ذكره الكتاب استطاع أن يحتوي فقط على الأقل على أربعة أفيال؟ وبعد أن أبدى هكذا نفس الاعتراض بالنسبة لكل نوع من الحيوانات، ختم بهذه الكلمات: "من الواضح إذاً أن القصة قد تم اختراعها. وبما أن الأمر هكذا، فمن الواضح أن هذا الكتاب ليس من الله."

### الرد على الاعتراض

وللرد على ذلك الاعتراض سوف نطلع المستمعين بما تعلمناه من الرجال الاختصاصيين طويلي الباع في التقاليد العبرانية ومن المعلمين القدماء. كان القدماء يقولون إذن إن موسى الذي كان، كما يؤكد الكتاب ذلك، "مهذباً بكل الحكمة المصرية"<sup>١٤</sup>، قد استخدم هنا عدد الأذرع كما يفعل في علم الهندسة الذي برع فيه

<sup>١٢</sup> انظر: تك ٦: ١٩.

<sup>١٣</sup> انظر: تك ٧: ٢.

<sup>١٤</sup> انظر: أع ٧: ٢٢.

المصريون بوجه خاص<sup>١٥</sup>. والواقع أن علماء الهندسة لهم أسلوب في العد يطلقون عليه "الأسس والجدور" يمثل الذراع بمقتضاه ستة أذرع بالنسبة للمجسم والمربع بموجب الاختزال العام للأرقام، أو [الذراع] يمثل ثلاثمائة بموجب اختزال متقدم جداً. فإذا استخدمنا هذا الأسلوب في العد، فسوف نجد أن الفلك كان له أبعاد من حيث الطول والعرض كافية لتحتوي حقاً براعم ما سيعاد تكوينه في العالم بأكمله، والكائنات التي ستكون الأصل الذي ستتدفق منه حياة الكائنات الحية جميعها.

ها هو ما كنا ينبغي علينا قوله من وجهة النظر التاريخية في مواجهة من يبحثون عن مهاجمة كتابات العهد القديم، متعللين بأنها تحتوي على أشياء مستحيلة وغير معقولة.

### التفسير الروحي

٣ لنطلب في البداية الآن إلى الوحيد القادر أن يرفع البرقع عند قراءة العهد القديم<sup>١٦</sup>، ولنحاول أن نبحث أي نوع من البنيان الروحي يحتوي عليه بناء الفلك الهائل هذا.

### الطوفان: صورة ملجىء المسيح

بقدر ما تسمح لي ضالة ذهني، أعتقد أن الطوفان الذي وضع في ذلك الحين نهاية للعالم، يمثل نهاية العالم التي يجب بالحقيقة أن تحدث. وقد أعلن ذلك الرب بنفسه حين قال: "في أيام نوح كان الناس يشترون ويبيعون ويبنون ويتزوجون ويزوجون بناتهم وجاء الطوفان الذي أهلكهم جميعاً: هكذا سيكون أيضاً مجيء ابن الانسان"<sup>١٧</sup>.

<sup>١٥</sup> كانت فكرة أن المصريين قد برعوا في الهندسة فكرة شائعة عند القدماء. ووفق العديد من الباحثين فإن المصريين هم من اخترعوا الهندسة.

<sup>١٦</sup> انظر: ٢ كو ٣: ١٤.

<sup>١٧</sup> انظر: لو ١٧: ٢٦ - ٢٧؛ مت ٢٤: ٢٧.

ففي هذه الآية يظهر جلياً أن الرب يصف بنفس الأسلوب الواحد الطوفان الذي سبق ونهاية العالم التي يعلنها بالنسبة إلى المستقبل. هكذا إذن، كما قيل آنذاك لنوح القديم أن يصنع فلكاً ويدخل معه ليس فقط أبناءه وذويه وإنما أيضاً حيوانات من كل نوع، كذلك عند انقضاء الدهور<sup>١٨</sup> قال الأب لـ "نوحنا" (our Noah) الذي هو بالحقيقة البار<sup>١٩</sup> الوحيد، والكامل الوحيد، الرب يسوع المسيح، أن يصنع لنفسه فلكاً من خشب مربع وأن يعطيه أبعاداً ممتلئة بالأسرار السماوية. هذا ما يشار إليه في المزمور الذي يقول فيه: "أسأل فأعطيك الأمم ميراناً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك"<sup>٢٠</sup>.

### الفلك ومساكنه: الإيمان ومظاهره

لقد بنى إذن فلكاً وأعد فيه "كوى" أي أنواعاً من مأوى لاستقبال أنواع الحيوانات المختلفة. ويقول النبي حول ذلك: "هلم يا شعبي ادخل مخابئك، اختبئ بضع لحظات حتى تعبر شدة غضبي"<sup>٢١</sup>، هناك إذاً مقابلة بين هذا الشعب الذي خلص في الكنيسة وبين هذه الكائنات: البشر والحيوانات التي خلصت في الفلك<sup>٢٢</sup>. ولكن لا يتساوى الأمر لا في الاستحقاق ولا في التقدم في الإيمان بالنسبة للجميع. لذا لا يشتمل الفلك على نفس المسكن للجميع، ولكن

<sup>١٨</sup> يمثل انقضاء الدهر بالنسبة لأوريجينيس ليس مجرد الحدث الأخير لمجي المسيح الثاني، ولكنه العصر الحالي ككل الذي بدأ بمجيء ابن الإنسان أي التجسد. ومن هنا جاء استخدام صيغة الماضي الذي يدهشنا. ارجع إلى العظة ١٥ : ٥ "في نهاية الدهر، نزل ابن الله الوحيد إلى الجحيم".

<sup>١٩</sup> انظر: تك ٦ : ٩.

<sup>٢٠</sup> انظر: مز ٢ : ٨.

<sup>٢١</sup> انظر: إش ٢٦ : ٢٠.

<sup>٢٢</sup> انظر: ترتليان (TERTULLIEN, De idol, 24): "لنر إن كان هناك مكان بالكنيسة وفقاً لما صوره الفلك بالنسبة للغراب والعقاب والذئب والكلب والثعبان. ولكن من المؤكد أن الفلك لا يحوي أي وثني". وطبقاً لهيبوليتوس (HIPPOLYTE, Philos. 9, 12): "يقول سابيلوس إن فلك نوح كان صورة الكنيسة، نرى فيه كلاباً وذناباً وغرباناً وكافة أنواع الحيوانات الطاهرة والنجسة. وكان يقول إنه لا بد أن يكون هكذا أيضاً في الكنيسة."

الجزء الأسفل فيه ذو طابقين والأعلى ذو ثلاثة طوابق، وأقام به كوى. هذا يدل على أنه في الكنيسة، بالرغم أن الكل محتوى داخل إيمان واحد، واغتسل في معمودية واحدة، إلا أنهم لا يتقدمون معاً ولا بنفس القدر "ولكن كل واحد في رتبته"<sup>٢٣</sup>.

### الكائنات المختلفة المحبوسة في الفلك: درجات الكمال

ومن يميلون بحياتهم إلى العلم العاقل والقادرين ليس فقط على قيادة أنفسهم ولكن أيضاً على تعليم الآخرين<sup>٢٤</sup>، هم عدد ضئيل جداً يحقق صورة العدد القليل للذين خُصوا مع نوح والذين اتحدوا به بأوثق قرابة، تماماً كما يمتلك ربنا يسوع المسيح، نوح الحقيقي، عدداً صغيراً من الأصدقاء، عدد صغير من الأبناء ومن الأقارب الذين يشاركون كلمته ويمكنهم تلقي حكمته. هؤلاء هم من أُقيموا في أسنى مرتبة ووضِعوا في قمة الفلك.

أما هذا الجمع من الحيوانات أو الوحوش غير العاقلة فتلبث في الجزء السفلي، وبينهم في الجزء الأسفل، الذين لم تُهدئ حلاوة الإيمان عنف وحشيتهم. ولكن فوقهم بقليل، هناك من يحتفظون على الرغم من ذلك بالكثير من البساطة والبراءة دون أن يكونوا عقلاء بالكامل.

### نوح الحقيقي: يسوع المسيح

وهكذا كلما اتجهنا صعوداً من خلال طوابق الشقق المختلفة، نصل إلى نوح ذاته - نوح يعني "الراحة" أو "العادل"<sup>٢٥</sup> - الذي هو المسيح

<sup>٢٣</sup> انظر ١ كو ١٥: ٢٣.

<sup>٢٤</sup> انظر: ٢ تي ٢: ٢.

<sup>٢٥</sup> كثيراً ما كان أوريجينيس يعود إلى المعنى الاشتقاقي للأعلام كما ورد في معاجم أسماء الأعلام القديمة. وسوف نلتقي فيما يلي بالعديد من أصول الكلمة هذه. وهي تبدو مبتكرة بالنسبة لفقهاء اللغة اليوم، لكنها كانت تؤخذ آنذاك كما هو شائع.

يسوع. لأن كلمات لامك أبيه لاتتوافق مع نوح القديم: "هذا يريحنا من أتعابنا ومن عمل أيدينا المؤلم ومن الأرض التي لعنها الرب الإله"<sup>٢٦</sup>، فكيف إذن نعتبره أمرًا صحيحًا أن نوح القديم قد أراح لامك أو الشعب الذي كان يوجد على الأرض في ذلك الوقت، كيف كان يمكن أن يتوقف التعب والعمل المؤلم في زمن نوح، وكيف كان يمكن أن تُمحي اللعنة التي نطق بها الرب على الأرض عندما يظهر بالأحرى أن الغضب الإلهي قد تزايد وأخبرنا أن الله قال: "ندمت أنني عملت الإنسان على الأرض"<sup>٢٧</sup> وأنه قال أيضًا: "سأبيد كل جسد على الأرض"<sup>٢٨</sup> وخاصة عندما يقدم موت الأحياء الدليل على النكبة الأكبر؟

ولكن انظروا ربنا يسوع المسيح: لقد قيل عنه: "هذا هو حمل الله، هذا الذي يرفع خطية العالم"<sup>٢٩</sup>، وفي موضع آخر: "صار من أجلنا لعنة ليفتدينا من لعنة الناموس"<sup>٣٠</sup>؛ وفي موضع آخر أيضًا هو الذي يقول: "تعالوا إلي يا جميع المتعبين وثقيلي الأحمال وأنا أجددكم فتجدوا راحة نفوسكم"<sup>٣١</sup>. أنتم ترون أنه هو الذي أعطى حقًا الراحة للبشر وهو من خلص الأرض من اللعنة التي أتت عليها من قبل الرب الإله. هكذا إذن قيل لهذا الـ "نوح" الروحي، الذي أعطى الراحة للبشر والذي رفع خطية العالم: "اصنع لنفسك فلكًا من خشب مربع"<sup>٣٢</sup>.

### الخشب المربع: دعائم الإيمان

٤ نر إذا ما هي هذه الأخشاب المربعة. الخشب المربع هو ذلك

<sup>٢٦</sup> انظر: تك ٥ : ٢٩.

<sup>٢٧</sup> انظر: تك ٦ : ٧.

<sup>٢٨</sup> انظر: تك ٦ : ٧، ١٢.

<sup>٢٩</sup> انظر: يو ١ : ٢٩.

<sup>٣٠</sup> انظر: غل ٣ : ١٣.

<sup>٣١</sup> انظر: مت ١١ : ٢٨ - ٢٩.

<sup>٣٢</sup> انظر: تك ٦ : ١٤.

الخشب الذي لا يميل بأي شكل والذي، مهما قلبناه من أي جانب فإنه يحتفظ دائماً بصلابته بتوازنه. هذه الأخشاب هي التي تحتمل بالداخل ثقل الحيوانات وضغط المياه بالخارج. وهي تمثل في رأيي الأبحار والمعلمين وغيوري الإيمان الذين في الكنيسة، الذين يعززون الشعب الموجود بالداخل بكلمة الإنذار والتعليم، من ناحية، ومن ناحية أخرى يقاومون بقوة الكلمة وبحكمة العقل مهاجمي الخارج، سواء كانوا وثنيين أو هرطقة، كما يقاومون من يثيرون أمواج الاعتراضات وعواصف المجادلات<sup>٣٣</sup>.

هل تريدون أن تروا أن الكتاب الإلهي يعرف "أخشاباً" عاقلة؟ لنذكر أنفسنا بالمكتوب في حزقيال النبي: "وكان في السنة الحادية عشرة في الشهر الثالث في أول يوم من الشهر أن كلام الرب كان إليّ قائلاً: يا ابن الإنسان، قل لفرعون ملك مصر وجموعه: بمن تشبه نفسك في عظمتك؟ هوذا آشور كان سرواً على لبنان، جميل الأغصان، وارف الظل، طويل القامة، رأسه مرتفع إلى الغمام. عظّمته المياه، وكبّره البحر، وأتى بكل أنهاره من حوله وأرسل فيض مياهه لكل أشجار السهل. فلذلك ارتفعت قامته أعلى من جميع أشجار السهل<sup>٣٤</sup>". وبعد بضع كلمات يقول: "الكثير من سرو جنة الله والسنوبر لا يشبه أغصانه والأرز لا يساوي فروعه. لم تشبهه أية شجرة في جنة الله وجميع أشجار جنة نعيم الله حسدته<sup>٣٥</sup>". هل لاحظتم عن أي نوع من الأشجار يتكلم النبي؟ وكيف يصف سرو لبنان الذي

<sup>٣٣</sup> لاحظ تدرج وظائف التعليم. أولاً غيورو الإيمان الذين يبدو أن دورهم يتمثل في توبيخ وتحذير الفاترين، ثم يأتي المعلمون المتولون مهمة التعليم بالمعنى الحرفي للكلمة، وأخيراً هناك الأبحار ويمكن أن يقوموا بالوظائف السابق ذكرها (العظة ١٣ : ٤) ولكن ترجع إليهم بشكل خاص مهمة الدفاع عن الإيمان ضد الهرطقة والوثنيين.

<sup>٣٤</sup> انظر: حز ٣١ : ١ - ٥.

<sup>٣٥</sup> انظر: حز ٣١ : ٨ - ٩. هذا الاستشهاد من حز ٣ : ١ - ٥، ٨ - ٩ موجود دون حذف في المقاطع عند ديديموس بنفس الهدف وهو أن يثبت أن الكتاب المقدس يتحدث عن "أشجار عاقلة" ويمكننا أن نتبين اختلافات طفيفة بين النصين.

لا يمكن مقارنته بجميع أشجار جنة الله الأخرى؟ ويضيف حتى في النهاية أن كل أشجار جنة الله تحسده. ووفقًا للمفهوم الروحي، هو يريد بالتأكيد أن يوضح أن الأشجار العاقلة التي في جنة الله هي التي يصف أن لديها غيرة من الشجر الذي على جبل لبنان.

وهكذا - ولكننا نقولها اعتراضياً - لاحظوا أنه يجب ربما فهم الآية: "ملعون من الله كل من عُلق على خشبة"<sup>٣٦</sup> بنفس المعنى المستخدم في موضع آخر: "ملعون الرجل الذي يضع رجاءه في الإنسان"<sup>٣٧</sup>. فعلياً أن نعلق بالله وحده دون آخر حتى ولو ادعى أنه من جنة الله. كما يقول ذلك بولس الرسول أيضاً: "عندما نبشركم نحن أو ملاك من السماء بإنجيل آخر غير الذي بشرناكم به فليكن أناثيماً"<sup>٣٨</sup>. ولكن لنؤجل الحديث هذا الموضوع إلى مرة أخرى.

### القار: التقديس الداخلي والخارجي

لقد رأيت ما هي الأخشاب المربعة التي وضعها نوح الروحي لأجل الذين هم في الداخل كجدار وحماية ضد المياه التي تضرب الفلك من الخارج. هذه الأخشاب مطلية "بالقار من الداخل ومن الخارج"<sup>٣٩</sup>، فالمسيح مؤسس الكنيسة، لا يريد أن تكونوا كالذين "يظهرون من خارج أبراراً في أعين الناس والذين من داخل هم قبور موتى"<sup>٤٠</sup>؛ ولكنه يريد أن تكونوا قديسين بالجسد في الخارج وظاهرين بالقلب في الداخل، منتبهين من كل ناحية ومحامين بفضيلة العفة والنقاوة. هذا ما يعنيه أن يكون المرء مطلياً بالقار من الداخل ومن الخارج.

<sup>٣٦</sup> انظر: تث ٢١ : ٢٣.

<sup>٣٧</sup> انظر: إر ١٧ : ٥.

<sup>٣٨</sup> انظر: غل ١ : ٨.

<sup>٣٩</sup> انظر: تك ٦ : ١٤.

<sup>٤٠</sup> انظر: مت ٢٣ : ٢٧.

## الطول والعرض والارتفاع: أبعاد أسرار المسيح

٥ بعد ذلك يذكر طول الفلك وعرضه وارتفاعه ويعطي تلك الأبعاد بعض الأرقام التي اختصت بأسرار عظيمة<sup>٤١</sup>. ولكن قبل الحديث عن الأرقام، لنرى ما يقصده الكتاب بالطول والعرض والارتفاع. لقد قال الرسول في فقرة كان يتحدث فيها عن سر الصليب بطريقة سرية أكثر: "حتى تعرفون الطول والعرض والعلو والعمق"<sup>٤٢</sup>. "العمق والعلو هما سيان، إلا أن في العلو يبدو الفضاء محسوباً من أسفل إلى أعلى، بينما يبدأ قياس العمق من أعلى ويهبط إلى أسفل. فيسمعنا إذاً روح الله بحق، بواسطة موسى وبولس الرسول في ذات الوقت، أسراراً عظيمة بالرمز. أما بولس فلأنه كان يبشر بسر نزول المسيح فقد استخدم لفظ العمق حتى يبين أن المسيح جاء من المناطق العليا إلى المناطق السفلى؛ أما موسى فعلى العكس، فلأنه يصف عودة الذين ردهم المسيح من المناطق السفلى إلى المناطق السماوية منتزحاً إياهم من الدمار وهلاك الدهر كما من موت الطوفان، فلا يذكر العمق في أبعاد الفلك ولكن الارتفاع، كأنما ليشير إلى أن الأمر يتعلق بمكان نرتفع فيه من المناطق الأرضية الوضيعة إلى المناطق السماوية والمرتفعة.

### معاني الأعداد

أما بالنسبة إلى الأعداد، فهي ثلاثمائة ذراع للطول وخمسون للعرض

<sup>٤١</sup> كثيراً ما يظهر مفهوم السر هذا في فكر أوريجينيس. لقد جاء العهد الجديد بالإعلان عن سر المسيح، ولكن هذا السر لا ينكشف مرة واحدة أمام المؤمن. بل هو منتشر ومخفي في كل مكان في الكتاب المقدس ومنتثر في قصص ورموز لا حصر لها. والحرفية هي التي تبقى الكتاب في الظل، كما يغطي البرقع وجه موسى (العظة ٢: ٣؛ ٦: ١؛ ٧: ١، ٧: ٦؛ ١٢: ٥؛ ١٣: ٣؛ ١٥: ٧). ولذا يجب إزالة البرقع حتى ينكشف سر الكتاب. وتضاعف الدراسة الدقيقة والمثابرة والتي على نور الإيمان من نقاط الاتصال مع هذا السر. كل نقطة اتصال تكون إذاً مثل سر خاص وجزء من السر الواحد. والكتاب المقدس هو محيط من الأسرار (العظة ٩: ١) التي ينبغي الكشف عنها واحدة فواحدة.

<sup>٤٢</sup> انظر: اف ٣: ١٨.



## وثلاثون للارتفاع.

الثلاثمائة هي ثلاثة في مئة والعدد مئة يشير إلى تمام كل شيء وإلى الكمال، وهو يحوي سر مجموعة المخلوقات العاقلة، كما نقرأ ذلك في الأنجيل حيث يقول إن: "من كان له مئة خروف وأضاع واحداً منهم ترك إذن التسعة والتسعين على الجبل ونزل ليبحث عن الضال. وإذا وجده حمله على منكبيه وأعاده إلى التسعة والتسعين التي لم تضل<sup>٤٣</sup>". ولأن العدد مئة هذا الذي لمجموعة المخلوقات العاقلة لا ينشأ من تلقاء ذاته ولكنه يتحدر من الثالث ونال من الأب بالابن والروح القدس<sup>٤٤</sup> طول العمر، أي نعمة الخلود، فلذلك يعطينا الكتاب هذا العدد مضروباً في ثلاثة، كما هو طبيعي بالنسبة لمن ينمو إلى الكمال بنعمة الثالث، والذي بمعرفة بالثالث يعيد إلى جماعة الثلاثمائة من ترك نفسه يضل بجهله بعيداً عن جماعة المئة<sup>٤٥</sup>.

أما العرض فقد خصه بالعدد خمسين، وهو العدد المختص بالعتق والغفران، فوفقاً للناموس<sup>٤٦</sup>، كان هناك عتق يتم في السنة الخمسين، أي إنه إذا تم رهن أي من الممتلكات، كان يُرد آنذاك، وإذا وقع رجل حر في العبودية كان يستعيد حريته، والمدين ينال إبراءً من دينه، والمنفي كان يعود إلى وطنه. لذا فقد أعطى المسيح، نوح الروحي، في فلكه، أي في الكنيسة، التي يخلص فيها الجنس

<sup>٤٣</sup> انظر: لو ١٥ : ٤ - ٥؛ مت ١٨ : ١٢ - ١٣.

<sup>٤٤</sup> تعتبر هذه هي الصورة التمهيدية للمفهوم الذي يرد عند معظم الآباء الشرقيين وهو أن عمل الله الثالث هو "من الأب بالابن في الروح القدس".

<sup>٤٥</sup> يجب أن يتساءل القارئ باستمرار في كل فقرة شبيهة، إلى أي مدى يمكن أن تتطابق ترجمة روفينوس الذي كان يكتب بعد الجدل عن الثالث، مع لغة أوريجينيس. ومن المؤكد أن أوريجينيس كان يجد من جهة الأرقام، أن شرح رمزيها هو أمر مفيد. ويأتي أوريجينيس بعد فيلو، الذي كان يسر بهذا النوع، وبعد كيلمنديس السكندري، الذي قدم بالفعل معنى أبعاد الفلك (Strom. VI, 11, 86-87 : GCS 15, p. 475)، وسنجد أنه قد جاءت أيضاً معنى الأرقام ٣٠٠ و ١٠٠ و ٥٠ و ٣٠ و ١٠ وفقاً لمقارنات كتابية في العظة ١٦ : ١٦.

<sup>٤٦</sup> انظر: لا ٢٥ : ١٠.

البشري من الدمار، العدد خمسين للعرض وهو عدد العتق، لأنه لو لم يكن قد وهب المؤمنين مغفرة الخطايا، لما امتد "عرض" الكنيسة عبر العالم.

ويحتوي العدد ثلاثون الذي للارتفاع على سر شبيه مثل العدد ثلاثمائة. فما كان يمثل منذ قليل العدد مئة، يمثله الآن العدد عشرة مضروباً في ثلاثة.

ولكن قمة كل البناء تتقلص إلى الرقم "واحد": فليس هناك إلا "إله واحد، الأب، الذي منه تأتي كل الأشياء، ورب واحد<sup>٤٧</sup>" و"لا يوجد سوى إيمان واحد للكنيسة، ومعمودية واحدة وجسد واحد وروح واحد<sup>٤٨</sup>" و تنزع كافة المخلوقات إلى الغاية الوحيدة التي للكمال الإلهي<sup>٤٩</sup>.

ولكن أنتم أيضاً الذين تسمعون، لو دأبتم على مهل في قراءة الكتاب المقدس فستجدون أن الكثير من الإنجازات الكبيرة تختبئ في رقمي ثلاثين وخمسين. فيوسف كان في الثلاثين حين خرج من السجن وتبوأ حكم مصر كلها<sup>٥٠</sup> حتى يبعد، بظننة إلهية، كارثة المجاعة التي كانت تهددهم. ويخبرنا أن يسوع كان في الثلاثين<sup>٥١</sup> من عمره حين ذهب ليعتمد وحين "رأى السموات مفتوحة وروح الله نازل عليه في هيئة حمامة<sup>٥٢</sup>". في ذلك الوقت بدأ سر الثالوث ينكشف لأول مرة. وستكتشفون الكثير من الأحداث المشابهة لذلك. كما

<sup>٤٧</sup> انظر: ١ كو ٨: ٦.

<sup>٤٨</sup> انظر: أف ٤: ٤، ٥.

<sup>٤٩</sup> ارجع إلى عظاته على سفر العدد ٢١: ٢ "من جهة القمة المحصورة والضيقة، فهي مكان الإنسان العاقل. ومن جهة أخرى، تقام القبة على ذراع واحد لأن الكل يرجع إلى الوحدة؛ لكن الوحدة نفسها تشير إلى سر الثالوث بعدد ثلثمائة ذراع ويوضع الإنسان بجانب هذا الرمز باعتباره عاقلاً وقادراً على استقبال الله."

<sup>٥٠</sup> انظر: تك ٤١: ٤٦.

<sup>٥١</sup> انظر: لو ٣: ٢٣؛ مت ٣: ١٦.

<sup>٥٢</sup> انظر: مر ١: ١٠.

ستجدون أيضًا أن يوم الخمسين كان مخصصًا لتكريس الحصاد الجديد<sup>٥٢</sup> وأنه قد تم اقتطاع جزء من خمسين من غنائم المديانيين<sup>٥٣</sup> للرب. وأيضًا أن ابراهيم قد انتصر على أهل سدوم بثلاثمئة رجل<sup>٥٤</sup>، وأنه بالثلاثمئة رجل الذين رشفوا الماء بألسنتهم أحرز جدعون نصرته<sup>٥٥</sup>.

### الباب: دينونة الله

أما الباب فلا هو في الواجهة الأمامية ولا هو أعلى الفلك ولكنه في الجانب مائلًا لأنه وقت الغضب الإلهي. مكتوب أن "يوم الرب هو يوم غضب وسخط"<sup>٥٦</sup>، ويمكن للبعض أن يخلص ولكن هناك الكثيرون الذين يدينهم سلوكهم ومصيرهم الهلاك والموت. وإذا كان الباب قد وضع مائلًا فهذا لكي يذكرنا بقول النبي هذا: "إن سلكتم معي باعوجاج فسوف أسير معكم بسخط معوج"<sup>٥٧</sup>.

### الطوابق: السماء والأرض والجحيم

لننحس بعد ذلك الفقرة التي تشير بشكل منفصل إلى كل من الجزء الأسفل ذي الطابقين والجزء الأعلى ذي الثلاثة الطوابق. وقد يقصد أن يشير من هنا لما يقوله الرسول أنه "ستجتو باسم يسوع كل ركبة من الكائنات التي في السماوات و على الأرض وفي الجحيم"<sup>٥٨</sup>، ويعني أن الجزء الأسفل في الفلك هو نفسه ما يقصده الرسول بكائنات الجحيم، وأن ما يأتي فوقه مباشرة هو نفس ما يقصده بكائنات الأرض. أما الجزء العلوي الذي يقال إنه ذو ثلاثة طوابق

<sup>٥٢</sup> انظر: لا ٢٣ : ٤٦؛ تث ١٦.

<sup>٥٣</sup> انظر: عد ٣١ : ٢٨، ٣٠.

<sup>٥٤</sup> انظر: تك ١٤ : ١٤.

<sup>٥٥</sup> انظر: قض ٧ : ٦، ٨.

<sup>٥٦</sup> انظر: صف ١ : ١٥.

<sup>٥٧</sup> انظر: لا ١٦ : ٢٧ - ٢٨.

<sup>٥٨</sup> انظر: في ٢ : ١٠.

والذي نسكنه جميعاً فهو ما يقصده بكائنات السماء. ولكن من بين هؤلاء يجب أن نميّز من تسمح لهم استحقاقاتهم، وفقاً للرسول بولس أن "يصعدوا إلى السماء الثالثة".<sup>٦٠</sup> أما عن الكوى والكوى، ولأنها عددها كبير في الفلك، فهي تشير إلى أن "هناك في بيت الآب منازل كثيرة".<sup>٦١</sup>

### تعايش الحيوانات معاً: اتحاد الجميع في الملكوت

ولكي نفسر لوجودا الحيوانات والوحوش والبهائم وشتى الأحياء الأخرى، فأني صورة أخرى نأخذها غير تلك التي أعطاها لنا إشعياء النبي حين قال إن في ملكوت المسيح الذئب والحمل، الفهد والجدى، الأسد والثور، سوف تذهب معاً للمرعى وصغارها تأكل الكلاً معاً، بل حتى الطفل الصغير أحد الذين قال المخلص عنهم: "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل هذا الولد فلن تدخلوا ملكوت الله".<sup>٦٢</sup> ذلك الطفل، يدخل يده في وكر الأفعوان دون أن يشعر بأي أذى.<sup>٦٣</sup> ألا يمكننا أن نتناول أيضاً الصورة المتحققة بعد الآن في الكنيسة، كما يعلم بطرس بذلك حين نقل لنا ما شاهده في رؤيا، حيث ظهرت كل الدواب (ذوات الأربع) ووحوش الأرض وطيور السماء محتواة في الملاء الواحدة التي للإيمان<sup>٦٤</sup> والمربوطة بالجوانب الأربعة التي للأناجيل؟

### التفسير الأخلاقي

٦ ولكن بما أنه بالنسبة للفلك، الذي نسعى جاهدين لوصفه، جاء أمر الله أن يبني لا على طابقين فقط ولكن على ثلاثة طوابق،

<sup>٦٠</sup> انظر: ٢ كو ١٢: ٢.

<sup>٦١</sup> انظر: يو ١٤: ٢.

<sup>٦٢</sup> انظر: مت ١٨: ٣.

<sup>٦٣</sup> انظر: أش ١١: ٦ - ٨.

<sup>٦٤</sup> انظر: أع ١٠: ١١ - ١٢.

فلنهتم نحن أيضاً بإضافة تفسير ثالث إلى التفسير المزدوج الذي سبق وفقاً للوصية الإلهية.

## المعنى الأخلاقي

التفسير الأول الذي بدأنا به هو في الواقع تفسير تاريخي، وقد وُضع كأساس في الأسفل، أما التفسير الثاني، التفسير المستيكي، فقد كان أعلى وأسمى. فلنحاول إن أمكن أن نفرق به التفسير الثالث وهذا يكون أخلاقياً. ولنلاحظ مع ذلك خاصية ألا وهي أن الكتاب المقدس لم يقل إن الفلك كان ذا طابقين فقط دون أن يضيف شيئاً، كما لم يقل إنه كان ذا ثلاثة طوابق فقط دون إضافة؛ ولكن بعد أن قال: "ذا طابقين" أضاف "و ذا ثلاثة طوابق". هذا لا يكون، كما يبدو لي، دون سر نفس التفسير الذي بين يدينا الآن لأن مصطلح "ذو ثلاثة طوابق" يشير إلى هذا التفسير الثلاثي. ولكن حيث إن التسلسل المنطقي في الكتابات الإلهية بالنسبة لوجهة النظر التاريخية لا يستقيم دائماً بل ويغيب أحياناً، هكذا، حين يقول مثلاً: "أشواك تثبت في يد السكران"<sup>٦٥</sup>، أو حين يقول فيما يتعلق بالهيكل الذي بناه سليمان "ولم يسمع في بيت الله صوت المعول والمنحت"<sup>٦٦</sup> أو أيضاً في سفر اللاويين حين "يأمر بفحص برص الجدران والجلود وخيوط النسيج بواسطة الكهنة لكي يطهروه"<sup>٦٧</sup>، فبسبب تلك المقاطع ومقاطع أخرى مشابهة، لا يتكون الفلك فقط من مجموعة من ثلاثة طوابق ولكن أيضاً من مجموعة من طابقين، حتى نعرف أن الكتابات الإلهية لا تحتوي دائماً على ثلاثة معاني للشرح، بما أن المعنى التاريخي لا يقدم لنا دائماً، ولكن أحياناً معنيين فقط.

<sup>٦٥</sup> انظر: أم ٢٦: ٩.

<sup>٦٦</sup> انظر: ١ صم ٦: ٧.

<sup>٦٧</sup> انظر: لا ١٤: ١٤؛ ٣٤: ١٣؛ ٤٨.

ولنحاول إذاً أيضاً شرح المعنى الثالث ألا وهو وجهة النظر الأخلاقية.

## الفلك وأبعاده

إن كان هناك أحد قادر، رغم نمو الشر وفيض الرذائل، على أن يتحول عن الأمور الزائلة، الفانية والباطلة، ليستمع إلى كلمة الله وإلى الوصايا السماوية، فإن هذا يبني في قلبه فلك الخلاص ويكرس بداخله "مكتبة" الكلمة الإلهية<sup>٦٨</sup>، إن جاز القول، ويعطيها كطول وعرض وارتفاع الإيمان والمحبة والرجاء. وهو يبسط الإيمان بالثالوث من أجل طول الحياة والخلود؛ أما عرض المحبة، فيقيمه بمشاعر اللطف والصلاح؛ وأما ارتفاع الرجاء فيرفعه إلى الحقائق السماوية العلوية، لأنه إن عاش على الأرض فإنه "في السموات مسكنه"<sup>٦٩</sup>. أما بالنسبة إلى مجموع أعماله فهو يرجعها إلى هدف واحد لأنه يعرف أن "الجميع يركضون ولكن واحد فقط ينال الجعالة"<sup>٧٠</sup>، وذلك من لن يتشتت في تنوع الأفكار وتقلب الروح.

## الأخشاب المربعة والقار والحيوانات

وهو لا يبني هذه "المكتبة" من أخشاب خام خشنة، ولكن من أخشاب مربعة مسطحة ومستقيمة، أي لا من كتب المؤلفين الدنيويين ولكن من كتب الأنبياء والرسل، لأن هؤلاء هم الذين؛ إذ صُقلوا بالتجارب المتنوعة وشذبوا واقتطعوا كل رذائلهم، فإن الحياة لديهم مهذبة ومتوازنة من كل جانب. أما مؤلفو الكتب الدنيوية فمن الممكن أن نطلق عليهم "أخشاباً مرتفعة" وأخشاباً ظليلة". فإن "تحت

<sup>٦٨</sup> ارجع إلى عظاته على سفر الخروج ٩: ٤ "ليعمل كل واحد فينا من ذاكرته فلئلا ومكتبة

للكتب الإلهية لأن النبي يعتبر أن من يحفظون في ذاكرتهم وصايا الله لينفذوها هم مطوبون."

<sup>٦٩</sup> انظر: في ٣: ٢٠.

<sup>٧٠</sup> انظر: ١ كو ٩: ٢٤.

كل خشبة مرتفعة وظليلة يُتهم اسرائيل بأنه قد زنا<sup>٧١</sup> . بما أنهم يجاهرون بتعاليم رقيقة ويستخدمون أساليب مزخرفة، دون أن يعملوا وفقاً لكلامهم، فلا نستطيع أن نطلق عليهم "أخشاب مريضة"<sup>٧٢</sup>، لأن السلوك لديهم ليس متوافقاً مع أقوالهم بأي شكل.

أنت إذاً إن صنعت فلکاً، إن جمعت مكتبة، فلتضم بها كتابات الأنبياء والرسل أو من اتبعوهم في خط الإيمان المستقيم. اصنعها مزدوجة وثلاثية الطوابق. تعلم بواسطتها الروايات التاريخية، اعلم بواسطتها "السر العظيم"<sup>٧٣</sup> الذي يتم في المسيح وفي الكنيسة، واعرف بواسطتها كيف تصح أيضاً عاداتك وتزيل عيوبك، وتطهر نفسك وتجردها من كل الرباطات التي تأسرها، مقيماً فيها كوى وكوى من أجل الفضائل المتنوعة والتقدم<sup>٧٤</sup>. وبالتأكيد "ستطليها بالقار من الداخل ومن الخارج"<sup>٧٥</sup>، "حاملاً الإيمان في قلبك ومعتزلاً به بفمك"<sup>٧٦</sup>، حاملاً العلم بالداخل والأعمال بالخارج ومتقدماً بالقلب الطاهر بالداخل وبالجسد المتعفف بالخارج.

في هذا الفلك إذاً، لنضع "مكتبة" الأسفار الإلهية أو النفس المؤمنة من وجهة نظر أخلاقية مؤقتاً. عليك أيضاً إدخال حيوانات من كل نوع، لا طاهرة فقط ولكن أيضاً نجسة. أما الحيوانات الطاهرة فمن السهل علينا القول بأنه يمكن تفسيرها كالذاكرة والعلم والذكاء والفحص والتمييز وكل الملكات المشابهة الأخرى التي نطبقها على ما نقرأ. وأما بالنسبة للحيوانات النجسة فمن الصعب إبداء

٧١ انظر: إر ٢: ٢٠؛ ٣: ٦.

٧٢ انظر: تك ٦: ١٤.

٧٣ انظر: أف ٥: ٣٢.

٧٤ نرى هنا الثمرة الثلاثية مصاغة ببتقان وهي التطبيق بالمعنى الحرفي والرمزي والأخلاقي.

٧٥ انظر: تك ٦: ١٤.

٧٦ انظر: رو ١٠: ١٠.

الرأي بشأنها؛ إذ لاحظنا أنه يشير إليها "بزوج زوج"<sup>٧٧</sup>، ومع ذلك فإن لم يكن التعرض لمثل تلك المقاطع الصعبة أمرًا متهورًا، فأعتقد أن الشهوة والغضب الطبيعيين لدى كل النفوس، يجب أن تُسمى نجسة حين تؤدي بالإنسان إلى الخطية؛ ولكن حيث إننا لا نستطيع لا أن نوفر النسل بدون الشهوة ولا الإصلاح والتعليم بدون الغضب، فنقول إنهما ضروريان ويجب الاحتفاظ بهما<sup>٧٨</sup>. قد يبدو هذا الكلام لا يتعلق بالمعنى الأخلاقي ولكن بالمعنى الطبيعي، ومع هذا فقد تحدثنا بما تقدم من أجل البناء<sup>٧٩</sup>.

ومن يستطيع على مهل مقارنة أجزاء الكتاب المقدس بنفسه وربط "الروحيات بالروحيات"<sup>٨٠</sup> فإنه سيجد بلا شك في هذا المقطع الكثير من الخفيات التي لسر عميق وخفي يمنعنا الوقت القصير المتبقي وكذلك تعب المستمعين من عرضها الآن. ولكن نطلب رحمة الله العلي القدير حتى لا يجعلنا "نسمع فقط"<sup>٨١</sup> كلمته ولكن "أن نعمل بها"، و ليسكب على نفوسنا أيضًا طوفان مائه وليهدم فينا كما يريد ما ينبغي هدمه ويحيي بالمثل فينا ما ينبغي إحيائه بالمسيح ربنا وبروحه القدس، له المجد لأبد الأبدين آمين.

<sup>٧٧</sup> انظر: تك ٦: ١٩.

<sup>٧٨</sup> ارجع إلى العظة ١٠: ١٧.

<sup>٧٩</sup> اهتمام أوريغينيس بالتأمل والاعتقادات التي يأخذها من الفلسفات الوثنية تعطي بعض المستمعين الأقل خبرة انطباعًا أنه يتحدث كرواقي أو علماني أكثر من كونه معلمًا مسيحيًا. وهو ينكر ذلك ويشرح رأيه بالفعل في العظات ١: ١٧، ٢٣. وفي موضع آخر (العظة ١٣: ٣) يذكر أن المعلمين الوثنيين هم الذين يهتموه باستعمال حججهم وأساليبهم.

<sup>٨٠</sup> انظر: ١ كو ٢: ١٣.

<sup>٨١</sup> انظر: يع ١: ٢٢.





العظة الثالثة

خِثَانُ إِبرَاهِيمَ



## إشكالية إنسانية الله في الكتاب المقدس

١ نحن نقرأ في العديد من مقاطع الكتاب المقدس أن الله يتكلم مع البشر. وعلى ذلك، اعتقد اليهود، وحتى بعض من خاصتنا<sup>١</sup>، أنه يجب فهم الله كإنسان، أي لديه من الإنسان الأعضاء والهيئة الخارجية. لكن الفلاسفة ازدروا بذلك باعتباره أساطير وتخيلات من نوع التلفيقات الشعرية. هذا هو ما كنت أود بدايةً أن أحدثكم به في كلمات قليلة ثم أعود إلى ما تم قراءته.

لنتوجه إذًا في البداية إلى الذين من الخارج الذين يزعموننا بقولهم إنه لا يليق أن يكون لإله سام، غير مرئي وغير مادي كإلهنا سلوك بشري. لأنكم، وفقًا لما يقولون، إذا نسبتهم له استخدام الكلمات، فيجب أن تعطوه من هنا أيضًا فَمَا ولسانًا والأعضاء الأخرى اللازمة للكلام، وفي تلك الحالة تكونون قد تركتم الإله غير المرئي وغير الجسدي. وعن طريق تعقيد وإكثار الحجج التي من هذا النوع يريكون قومنا، ولذا نحن بمعونة صلواتكم سنقوم بالقدر الذي سيسمح به الرب بالرد عليهم بإيجاز.

### الله ليس له جسد

٢ بالنسبة لنا، نحن نعتبر أن الله غير مادي، عالٍ قدير وغير مرئي، ونحن نعلن أيضًا وفقًا لتعليم أكيد وثابت<sup>٢</sup> أن الله يهتم بالكائنات الفانية وأنه لا شيء لا في السماء ولا على الأرض يتم دون عنايته. انتبه! فنحن نقول دون عنايته وليس "دون إرادته". لأنه إذا كانت هناك أشياء كثيرة تحدث دون إرادته<sup>٣</sup> فإنه لا يوجد شيء يحدث دون

<sup>١</sup> انظر (Selecta in Genesim, PG 12, 93 AB) حيث يفند أوريجينيس فكر ميليتون (Méliton) الذي يقول إن الله كان له جسد.

<sup>٢</sup> هذه إشارة واضحة تتكرر عند أوريجينيس عن التعليم المسلم.

<sup>٣</sup> الأمور التي تحدث دون إرادته لا تعني أنها تحدث رغماً عنه ولكن المقصود أن البعض يفعلونها بفضل الحرية التي أعطاها لهم الله رغم أنها لا تتفق مع إرادته ولكن بسماع منه.

عنايته. فإن العناية الإلهية هي التي ينظم الله بها الكون ويديره ويدبر كل الأشياء، أما الإرادة فهي التي من خلالها يريد الله أو لا يريد شيء ما. ولكن نَعْبُرُ عن هذا الموضوع؛ إذ أنه طويل وواسع جداً.

إن كان الله يدبر، كما نؤمن نحن، كل شيء ويدير كل شيء، فينتج عن ذلك أنه يُعلم البشر بمشيئته وبما هو نافع لهم. وإذا لم يفعل ذلك، فلن يكون هو من يوفر احتياجات الإنسان ولا من يهتم بالكائنات الفانية. إذًا، بما أن الله يعلن للبشر عما يريدهم أن يفعلوه، فأى سلوك بالحري يجب أن نقول إنه يتبعه ليعلن ذلك؟ أ لن يكون هو السلوك الذي يستخدمه البشر ويعرفونه؟ لأننا إذا قلنا على سبيل المثال إن الله يلزم الصمت، الأمر الذي نراه متوافقاً مع طبيعته، فكيف نظن أنه قد أعلن عن شيء بواسطة هذا الصمت؟ ولكننا في الحقيقة نقول إن الله قد تكلم حتى يدرك البشر. الذين يعرفون أنه من خلال تلك الوسيلة يعلن الشخص عن إرادته للآخر. أن الأقوال التي ينقلها لهم الأنبياء هي إشارات لمشيئة الله. وعلى كل حال، نحن لا نعلم إن كانت مشيئة الله محتواة فيها لأي في تلك الأقوال إلا إذا قيل إن الله هو الذي عبّر عنها، لأنه غير وارد على الإطلاق أن يُستخدم الصمت للدلالة على المشيئة بين البشر. ولكن خلافاً لخطأ اليهود، أو حتى البعض منا الذين يضلُّون معهم، فنحن لن نذهب في حديثنا إلى الاعتقاد بأنه بسبب الضعف البشري الذي لا يمكنه سماع الله إلا حسب الواقع والكلمات التي يعرفها، فإن الله يتعامل في ذلك بأعضاء شبيهة لأعضائنا وسلوك بشري. فهذا غريب على إيمان الكنيسة.

٤ أشار أوريجينيس في العديد من المرات إلى ميل بعض المسيحيين للتفكير مثل اليهود (ارجع إلى آخر هذه العظة)، الأمر الذي يعد إشارة لسطوة حقيقة لليهودية في هذه الفترة من القرن الثالث حيث لم تكن المسيحية قد تخلصت نهائياً من بقايا الفكر اليهودي المهجور.

## أعمال الله بعبارات بشرية

لكن القول إن الله يتحدث إلى الإنسان، فهذا يعني إما أنه يلهم قلب القديسين أو أنه يوصل دوي صوت لأذانهم. وهكذا فهو عندما يريد أن يظهر علمه بأقوال كل واحد وأفعاله فيقول إنه "سمع"، وعندما يريد أن يظهر أننا ارتكبنا عملاً جائراً يقول إنه "غضب"، وحين يريد إقناعنا بنكران حسناته يقول إنه "يندم". وعلى الرغم من أنه يتحدث عن كل هذا باعتباره سلوكاً بشرياً إلا أنه في الحقيقة لا يستخدم أعضاءً جسدية. لأن الجوهر الإلهي بسيط ولا يتكون من أعضاء جسدية ولا مجموعات عضوية أو حالات عاطفية، ولكن حتى يمكن للبشر إدراك عمل القوى الإلهية، يجب أن يقدم بواسطة ألفاظ ترتبط بالأعضاء البشرية أو يتم التعبير عنه عن طريق مشاعر معروفة جيداً للبشر. وهكذا فإننا نقول إن الله "غضب"، أو إنه "يسمع" أو "يتكلم".

وإذا كان الصوت الانساني يُعرَّف بأنه هواء "مقروع" أي مرتد من اللسان، فإن صوت الله يمكن أن يُعرَّف أيضاً بأنه هواء مقروع سواء بالقوة أو سواء بالمشيئة الإلهية. وهذا ما يجعل أنه حين يصدر صوت آتياً من الله فإن الدوي لا يصل إلى آذان الجميع، ولكن فقط إلى آذان من يخصهم. ويمكنك أن تعرف من هذا أن الدوي لا ينتج عن حركة للسان، وإلا لكنا سمعنا كالمعتاد، ولكنه محكوم بقصد المشيئة السماوية.<sup>٦</sup>

<sup>٥</sup> تعريف من الفلسفة الرواقية، وهو يعني أن الهواء يمر عبر الفم ويصطدم (أو يُقرع) باللسان فيحدث الصوت.

<sup>٦</sup> ارجع إلى ق. باسيلوس (BASIL, In hexaem, 2: 7): "فيما يتعلق بالله، عندما نتحدث عن صوت وقول وأمر، فإننا لا نتخيل القول الإلهي بكونه صوتاً صادراً من أعضاء قادرة على إنتاجه ولا بكونه الهواء الصادر من اللسان، ولكننا نعتقد أنه الدفع الناتج عن الإرادة الإلهية الذي يجعله الكاتب مدركاً بالنسبة إلى من يعلمهم، عارضاً إياه تحت أعراض وصية".

وبالإضافة إلى ذلك يمكننا القول بأن كلمة الله لطلما وُجّهت حتى دون أي دوي صوت إلى الأنبياء والبطاركة وإلى قديسين آخرين كما تعلمنا ذلك بإسهاب جميع الأسفار المقدسة، ففي هذه الحالة، وينقل ذلك بإيجاز، يعلّم العقل المستتير بروح الله من خلال عبارات شفوية<sup>٧</sup>. هذا إذاً هو السبب في قولنا إن الله يتكلم ليعلمنا، عندما يعلن مشيئته بإحدى الطريقتين اللتين ذكرناهما تواءماً. وسنعرض الآن بعض النقاط على ما تمت قراءته آخذين في الاعتبار تلك الشروح.

### الله يوجه حديثه لإبراهيم بصورة تنابعية مليئة بالأسرار

٣ هناك الكثير من الأقوال التي تحدث بها الله إلى إبراهيم، ولكن ليست كلها موجهة إلى نفس الشخص؛ إذ إن هناك أقوالاً موجهة إلى أبرآم وأخرى إلى إبراهيم، أي أن بعضها قد تم عقب تغيير اسمه والبعض الآخر تم حين كان يجاوب أيضاً باسمه بالميلاد. في البداية وقبل تغيير اسمه، يوجه الله إلى أبرآم الوحي التالي: "اترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك<sup>٨</sup>". لا توجد هنا أية وصية بالنسبة إلى عهد الله و الختان. لأنه طالما كان يدعى أبرآم ويحمل اسم ولادته الجسدية، لم يكن في استطاعته أن يتسلم لا عهد الله ولا العلامة المميزة التي للختان. ولكن بمجرد أن "ترك أرضه وعشيرته"، بدأت أقوال أكثر سرية لمكتنفة بالأسراراً توجّه له وهذه أولاً: "فلا يدعى اسمك بعد أبرآم بل يكون اسمك إبراهيم<sup>٩</sup>". وحينذاك استقبل عهد الله والختان كعلامة مُميّزة للإيمان<sup>١٠</sup>، والذي لم يكن ممكناً أن

<sup>٧</sup> يعد هذا شرحاً ممتازاً للفكرة، فالعقل هو الذي يستقبل الاتصال الإلهي، ويعني ذلك أن تتكون بداخله مفاهيم وأفكار تترجم بالضرورة إلى كلمات.

<sup>٨</sup> انظر: تك ١٢: ١.

<sup>٩</sup> انظر: تك ١٧: ٥.

<sup>١٠</sup> انظر: رو ٤: ١١.

يأخذه طالما كان في بيت أبيه وسط عائلته الجسدية وطالما كان يجاوب باسم أبرآم، وبالمثل، فإنه طالما كان في البيت الأبوي ويسكن مع اللحم والدم<sup>١١</sup>، لم يُدع لا هو ولا زوجته بلقب "شيخ"، ولكنه استحق بمجرد أن رحل لقبى "إبراهيم" و"شيخ"، ويقول الكتاب: "لقد كان إبراهيم وزوجته المذهلة شيخين" أي مسنين و"متقدمين في الأيام"<sup>١٢</sup>. فكم من الأشخاص قد عاشوا من قبلهم حياة أطول من حياتهما، تسعمائة عام وأكثر، والبعض قد عاش أقل قليلاً حتى الطوفان<sup>١٣</sup>، ولم ينل أي منهم لقب "شيخ"، فهذه الكلمة عند إبراهيم لا تشير إلى شيخوخة الجسد ولكن إلى نضوج القلب<sup>١٤</sup>. وفي هذا المعنى قال الرب لموسى: "اختر شيوخاً تعلم أنت بنفسك أنهم شيوخ"<sup>١٥</sup>. فلنتأمل بانتباه أكثر مقولة الرب: إلام يمكن أن تشير هذه الإضافة: "الذين تعلم بنفسك أنهم شيوخ"؟ أ لم يكن جلياً للكل أن من له جسدياً عمر كبير يكون شيخاً، أي مسناً؟ لماذا إذن تم تكليف موسى فقط، نبي بهذه الأهمية، بالاعتناء بهذا البحث الخاص؟ ولماذا يجعل الاختيار يقع، لا على من يعرفهم الآخرون ولا على من يعرفه جموع غير المتعلمين، ولكن على من يختاره نبي ممتلئ من الله؟ إن ذلك يعني أن الأمر لا يتعلق بالحكم على مظهرهم أو عمرهم ولكن على روحهم. وهكذا كان إذاً إبراهيم وسارة "الشيخان" المغبوطان

<sup>١١</sup> انظر: غل ١: ١٦.

<sup>١٢</sup> انظر: تك ١٨: ١١.

<sup>١٣</sup> يشير الإصحاح الخامس من سفر التكوين بعد الطوفان إلى أعمار تسعة أشخاص بدءاً من آدم وحتى لامك. وقد عاشوا جميعاً لأكثر من ٩٠٠ عام باستثناء كل من: مهليليل (٨٩٥ عاماً) وأخنوخ (٣٦٥ عاماً الذي اختطف) ولامك والد نوح (٧٧٧ عاماً). فهؤلاء فقط هم من يتحدث عنهم أوريجينيس في هذه العظة. أما الأسماء الواردة في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين، فهي ليست موضوع خلاف، فقد جاءت بعد الطوفان ويبلغ متوسط أعمارهم ٤٠٠ عام فقط.

<sup>١٤</sup> نفس الفكرة ترد في العظة ٤: ٤.

<sup>١٥</sup> انظر: عد ١١: ١٦.



اللدان نتحدث عنهما.

## إبراهيم يقيم العهد

في البداية وقبل أي شيء تم تغيير اسميهما الأصليين وهما اسما مولديهما الجسدي. "لما وصل أبرام لعمر التسع والتسعين سنة ظهر الرب له وقال له: أنا الله. كن مستحقاً لرضاي وبلا عيب، فأقيم عهداً بيني وبينك. وسقط إبراهيم على وجهه وسجد أمام الله. وتكلم الله حينئذ معه هكذا: أنا هو. هوذا عهدي معك، ستكون أباً لجمهور من الأمم، وكل الأمم تتبارك فيك. فلا يدعى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم<sup>١٦</sup>". وعندما أعطاه هذا الاسم قال ثانية لساعته: "وأقيم عهدي بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك. وهذا هو العهد الذي تحفظه بيني وبينك، وبين نسلك من بعدك<sup>١٧</sup>". ثم يضيف: "يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم<sup>١٨</sup>".

## هل يقتصر العهد مع الله على الختان الجسدي؟

٤ وهكذا، وبما أننا قد وصلنا إلى هذا المقطع، فإنني أريد أن أبحث إذا كان الإله العلي القدير، الذي يحكم السماء والأرض، حين أراد أن يقيم عهده مع رجل قديس، قد جعل أساس مسألة بهذه العظمة يرتكز على اقتطاع غرلة اللحم عند هذا الرجل وعند الذين من نسله القادم ويقول: "فيكون عهدي في لحمك<sup>١٩</sup>". هل كان الختان إذاً هو الشيء الذي منحه "سيد السماء والأرض<sup>٢٠</sup>" كضمان لعهد أبدي للإنسان الوحيد الذي اختاره من بين كل الفانيين؟ وقد وضع

١٦ انظر: تك ١٧: ١ - ٥.

١٧ انظر: تك ١٧: ٧.

١٨ انظر: تك ١٧: ١٠ - ١١.

١٩ انظر: تك ١٧: ١٣.

٢٠ انظر: تك ٢٤: ٣.

معلمو وأخبار المجمع اليهودي مجدّ القديسين في هذا فقط لأي الختان الجسدي]. ولكن ليأتوا ليسمعوا - إذا أرادوا - كيف تكريم كنيسة المسيح التي قالت بالنبي القائل: "بالنسبة لي يا الله، قد كُرم أباؤك"<sup>٢١</sup>، ليأتوا ويسمعوا كيف تكريم الكنيسة أصدقاء عريسها وأي مجد تنسبه لهم عندما تذكر أعمالهم العظيمة.

ونحن إذًا، المقتنعين بتعاليم بولس الرسول، نقول إن الكثير من الأشياء تحدث كرمز وكصورة للحقيقة الآتية<sup>٢٢</sup>: وبنفس الطريقة كان هذا الختان الجسدي رمزًا للختان الروحي الذي كان من الصواب ومن المناسب أن يعطيه "إله المجد"<sup>٢٣</sup> كوصية للبشر. اسمعوا إذن كيف يعلم القديس بولس، "معلم الأمم في الإيمان والحق"<sup>٢٤</sup>، كنيسة المسيح عن سر الختان: "احترسوا من القطع - وهو يتحدث هنا عن اليهود الذين يحملون هذا القطع في اللحم - لأننا نحن الختان، نحن الذين نعبد الله بالروح، ولا نضع ثقنا في الجسد"<sup>٢٥</sup>. هذه هي إحدى آيات بولس الرسول حول الختان. وها هي آية أخرى: "ليس اليهودي هو من يبدو كذلك، وليس الختان هو الذي نراه في اللحم هو ختانًا، بل اليهودي هو من يكون كذلك في الخفاء بختان"<sup>٢٦</sup> القلب بالروح لا بحسب الحرف"<sup>٢٧</sup>. أ لا يبدو لك الحديث عن هذا الختان بالنسبة إلى القديسين وأحباء الله مناسب أكثر مما عن اقتطاع لحم؟

<sup>٢١</sup> انظر: مز ١٣٨: ١٧ (بحسب السبعينية).

<sup>٢٢</sup> انظر: ١ كو ١٠: ١١.

<sup>٢٣</sup> انظر: مز ٢٧: ٣ (بحسب السبعينية).

<sup>٢٤</sup> انظر: ١ تي ٢: ٧.

<sup>٢٥</sup> انظر: في ٣: ٢، ٣.

<sup>٢٦</sup> سيكون من المفيد ان نسترجع الشاهد رو ٢: ٢٩ في مضمونه الصحيح كما نجده في عظات أوريجينيس على سفر العدد ١١: ١، وتفسيره لرسالة رومية ٢: ١٢ حيث ستسند حجج أوريجينيس الذي يستهدف الختان وليس اليهودي.

<sup>٢٧</sup> انظر: رو ٢: ٢٨ - ٢٩.

ولكن حادثة هذا القول يمكن أن تنفر ليس فقط اليهود ولكن أيضاً البعض من إخواننا، حيث سيبدو أن بولس الرسول يتخيل شيئاً مستحيلاً بتعظيمه "ختان القلب"، لأن ما هي وسيلة ختان عضو مغروس في عمق الأحشاء ومحجوباً حتى عن أعين البشر؟ لنرجع إذًا إلى أقوال الأنبياء حتى يزال، بصلواتكم، الستار عن كل تلك الأسئلة. يقول حزقيال النبي: "أي غريب أغلف القلب وأغلف اللحم لا يدخل مقدسي"<sup>٢٨</sup>. وفي موضع آخر أيضاً يقول النبي مبكثاً: "كل الغرباء غلف الجسد، أما بني اسرائيل فغلف القلوب"<sup>٢٩</sup>، مما يشير إذن أننا لن "ندخل إلى قدس" الله ما لم نختن بالقلب وباللحم.

### اعتراض الملمسكين باللعنى الحرفي

٥ ولكن يبدو أنني أهاجم بسبب تفسيري، لأنه حول تصريح النبي هذا، يستوقفني اليهودي على الفور ويقول لي: "يشير النبي هنا إلى الختانيين، ختان الجسد وختان القلب. فلا يوجد مجال للمجاز هنا حيث يطالب بنوعي الختان."

ساعدوني بصلواتكم حتى تتفضل "كلمة الله الحي"<sup>٣٠</sup> و تأتي إليّ "عند افتتاح شفتي"<sup>٣١</sup>، وحتى نتمكن بذلك تحت قيادتها، من أن ننفذ من طريق الاعتراض الضيق إلى فضاء الحقيقة الواسع، لأنه يجب علينا أن نفهم ليس فقط اليهود الجسديين حول ختان الجسد ولكن أيضاً البعض من الذين قبلوا اسم المسيح ظاهرياً والذين مع ذلك يرون ضرورة ختان الجسد مثل الإبيونيون<sup>٣٢</sup> والذين يضلون معهم

<sup>٢٨</sup> انظر: حز ٤٤ : ٩ .

<sup>٢٩</sup> انظر: إر ٩ : ٢٥ .

<sup>٣٠</sup> انظر: ابط ١ : ٢٣ .

<sup>٣١</sup> انظر: أف ٦ : ١٩ .

<sup>٣٢</sup> الإبيونيون: هم جماعة من اليهود المسيحيين الذين أعلنوا إيمانهم بالمسيحية مع استمرارهم في ممارسة الطقوس اليهودية. ويعني اسمهم بالعبرية (الفقراء). وقد وصفهم أوريجينيس جيداً في ضد كيلسوس ٢ : ١ .

بفقر روح مماثل.

## نقد بعض التفسيرات الحرفية

لنستخدم إذاً مقاطع العهد القديم التي يلجأون إليها بطيب خاطر. مكتوب في إرميا النبي "ها أن أذان هذا الشعب غلفاء"<sup>٣٣</sup>. اسمع يا إسرائيل قول النبي، فهو ينادي لك بخزي عظيم وينسب لك خطأ كبيراً. أنت متهم بأن أذانك غلف. فلماذا إذن، عند سماعك تلك الأقوال، لم تأخذ السيف وتقطع أذنيك؟ لأن الله سيتهمك ويدينك لأن أذنيك ليسا مختونين؟ ولن أسمح لك باللجوء إلى المجاز الذي يعيننا والذي علم به بولس الرسول. ماذا تنتظر إذن لتقطع أذنيك؟ اقطع أذانك، اقتطع هذه الأعضاء التي خلقها الله لمنفعة الحواس وجمال الإنسان<sup>٣٤</sup>، لأنك هكذا تهتم الأقوال الإلهية.

ولكنني سوف أعرض لك شيئاً آخر لن تقدر على معارضته. فنحن نقرأ في سفر الخروج، ووفقاً للأسفار المستخدمة في الكنيسة، أن موسى يرد على الرب قائلاً: "فلتبحث يا رب عن شخص آخر لترسله، لأن صوتي ضعيف ولساني مرتبك"<sup>٣٥</sup>. ولكن أنتم، في النسخ العبرية تقرأون: "أما أنا، فإني أغلف الشفاه" وهكذا فإنه وفقاً لنسخكم التي تقولون إنها أكثر أصالة، فإنكم لديكم ختان للشفاه. إذاً، إذا كان موسى، وفقاً لكم، يعلن آنذاك أنه غير مستحق لأنه غير مختون الشفاه، فمن الواضح أنه يشير هنا إلى أن الانسان المختون الشفتين يكون أكثر استحقاقاً وأكثر قداسة. فلتضعوا إذن السكين على شفاهكم وتقطعوا هذا اللحم الذي يكسو الفم بما أنه هكذا يحلو لكم فهم الأقوال الإلهية. أما إذا أرجعتم ختان الشفاه

<sup>٣٣</sup> انظر: إر ١٠:٦.

<sup>٣٤</sup> نلاحظ هنا صدى التعاليم الرواقية.

<sup>٣٥</sup> انظر: خر ٤: ١٠، ١٣.

إلى التفسير الرمزي، وإذا قلتم على الرغم من كل شيء إن ختان الأذن هو تعبير مجازي و يؤخذ بصورة رمزية، فلماذا لا تلجئون بالمثل أيضاً للمجاز عندما يتعلق الأمر بختان الغرلة؟

لكن لنترك هؤلاء الناس، الذين كالأصنام "لهم آذان ولا يسمعون، ولهم أعين ولا يبصرون"<sup>٣٦</sup>. أما أنتم يا "شعب الله، الشعب الذي اقتناه، الشعب المختار لكي يخبر بفضائل الرب"<sup>٣٧</sup>، فاقبلوا الختان الحقيقي الذي لكلمة الله في آذانكم، على شفاهكم، في قلبكم، في غرلة لحمكم وفي كافة أعضائكم دون استثناء.

### الختان الروحي للأذان

لتكن آذانكم مختونة كما يقول الرب، بعدم الإصغاء إلى صوت المغتابين، بعدم سماع أقوال المجدف والنمام، بإغلاقها أمام الوشائيات الكاذبة والكذب والإثارة. سدوها وأغلقوها "فلا تسمع كلام الدماء"<sup>٣٨</sup> أو لا تتفتح للأغاني الفاسقة وألحان المسرح، ولا تستقبل كلاماً مُخلاً بالحياة، ولتتحول عن كل فساد. هذا هو الختان الذي تختن به كنيسة المسيح آذاناً أولادها. وفي رأبي أن الرب كان يطلب من مستمعيه آذان مثل هذه: "من له أذنان للسمع فليسمع"<sup>٣٩</sup>. لأنه لا يستطيع أحد أن يسمع أقوال الحكمة والحق الطاهرة، بآذان غير مختونة وغير طاهرة.

### الختان الروحي للشفاه

ولنأت، إن شئتم، إلى ختان الشفاه، فأخال أن شفاهنا غير

<sup>٣٦</sup> انظر: مز ١١٣: ١٣، ١٤؛ ١٣٤: ١٧، ١٦ (حسب السبعينية).

<sup>٣٧</sup> انظر: ١ بط ٢: ١٠، ٩.

<sup>٣٨</sup> انظر: إش ٣٣: ١٥.

<sup>٣٩</sup> انظر: مت ١٣: ٩.

مختونة<sup>٤١</sup> عندما لا نقلع عن اللغة والمداعبات التي لا تليق<sup>٤٢</sup>، عندما نغتاب الخيرون، عندما نشكو أقرباءنا، عندما نثير المنازعات، عندما نذبح افتراءات، عندما نفسد ما بين إخوة بعضهم متفوهين بأكاذيب، عندما نقول كلامًا بطلاً غير لائق متأثرًا بلغة العصر وفاسقًا وغير موافق وظالمًا وعنيفًا ومجدفًا، وباختصار كل ما لا يليق بإنسان مسيحي. ولكن عندما نمنع فمننا عن كل ذلك ونُدبر أقوالنا بعَدل<sup>٤٣</sup> وعندما نمتنع عن الثرثرة ونمسك لساننا ونضبط أقوالنا، فحينئذ نعرف بحق بأن شفاهنا مختونة. وبينما من "يتكلمون كلام ظلم ويحتقرون السماء"<sup>٤٤</sup>، كما يفعل الهرطقة، لا يشتهرون إلا بكونهم غير طاهرين وغير مختوني الشفاه. ففي المقابل، يكون طاهرًا ومختونًا من يخبر دائمًا بكلمة الله ويقدم تعليمًا سليمًا تؤيده قواعد إنجيلية ورسولية. هذه هي إذاً الطريقة التي يقدم بها ختان الشفاه في كنيسة الله.

## الختان الروحي للحم

٦ والآن كما وعدنا، لنر كيف يجب أن نفهم أيضًا ختان اللحم. فما من أحد يجهل أن العضو الذي يوجد به الغلف يستخدم في الوظائف الطبيعية وهي المجامعة وإقامة النسل. فعندما نعرف إذاً كيف نضبط أنفسنا في حركات هذه الطبيعة، وعندما لا نتجاوز الحدود التي أقامتها الشرائع، وعندما لا نعرف غير زوجتنا الشرعية، وعندما لا نقرب منها إلا في الأوقات المحددة المشروعة و فقط من أجل إنجاب الأطفال<sup>٤٥</sup>، فإننا نكون مختونين في غرلة لحمنا. ولكن إذا

<sup>٤١</sup> انظر: خر ٦: ٣٠.

<sup>٤٢</sup> انظر: أف ٥: ٤.

<sup>٤٣</sup> انظر: مز ١١١: ٥ (حسب السبعينية).

<sup>٤٤</sup> انظر: مز ٧٢: ٨ (حسب السبعينية).

<sup>٤٥</sup> يبدو من هذا المقطع ومن مقطع آخر شبيه في العظة ٥: ٤، أن الهدف الأوحد من الزواج

ألقينا بأنفسنا في كافة أنواع الشهوة وأحطنا أنفسنا من كل جانب بعلاقات أثيمة، واستسلمنا جامحين في دوامة الفجور، فنكون غير مختونين في غرلة لحمنا. إن كنيسة المسيح، المحصنة بنعمة من صُلب من أجلها، تمتع ليس فقط عن العلاقات المحرمة والمجربة ولكن أيضًا عن العلاقات المسموح بها والشرعية، وبصفتها عروس المسيح الطاهرة، فهي تزهر في شكل عذارى عفيفات وطاهرات يتم فيهن ختان غرلة اللحم الحقيقي واللاتي يحفظن حقًا عهد الله وعهده الأبدي في جسدهن.

### الختان الروحي للقلب

لم يبق لنا سوى تفسير ختان القلب. فعندما نشعل برغبات شهوانية وشهوات دنيئة، ولكي أختصر، عندما "نزني في قلبنا"<sup>٤٥</sup> نكون "غير مختوني القلب"<sup>٤٦</sup>. ولكن أيضًا عندما نستقبل في عقلنا أفكارًا هرطوقية، وعندما نهيج أفكار تجديف في قلبنا ضد علم المسيح، نكون "غير مختوني القلب"، أما عندما نحفظ بنقاوة الإيمان في كل استقامة ضمير نكون مختوني القلب، ونستحق سماع: "طوبى لأنقياء القلب لأنهم سيعاينون الله"<sup>٤٧</sup>.

### الختان الروحي لكل أعضاء الجسد

ومع ذلك أجرؤ على إضافة تعبيرات مشابهة إلى تعبيرات الأنبياء هذه. لأنه إن كان يجب ختان الآذان، والشفاه، والقلب وغرلة اللحم

---

في نظر أوريجينيس هو الإنجاب. قد يبدو ذلك نوعًا من التشدد الأخلاقي، ولكن ذلك ليس إلا وجهًا واحدًا فقط من فكر أوريجينيس، فمجموع النصوص عن الزواج التي يمكن أن نستخلصها من عمله لا يترك لنا هذا الانطباع: ارجع إلى:

H. CROUZEL, Introduction aux Homélie sur S. Luc (SC 87, p. 33)

<sup>٤٥</sup> انظر: مت ٥ : ٢٨ .

<sup>٤٦</sup> انظر: حز ٤٤ : ٩ .

<sup>٤٧</sup> انظر: مت ٥ : ٨ .

بالمعنى الذي سبق أن حددناه، فيمكننا كذلك القول بأن أيدينا أيضاً وأرجلنا ونظراتنا وحاسة الشم لدينا واللمس تحتاج إلى ختان. لأنه لكي يكون "إنسان الله كاملاً"<sup>٤٨</sup> تماماً يجب أن تختتن كل أعضائه: اليدين حتى تمتنعا عن النشل والسرققة والقتل وتفتتحان فقط على أعمال الرب. كما يجب ختان الرجلين حتى "لا تكونا سريعتين لسفك الدم"<sup>٤٩</sup>، ولئلا تدخلنا "مجلس الأشرار"<sup>٥٠</sup> ولكن كي تتحركا فقط للأعمال التي يريدها الله. كما يجب ختان العينين حتى لا تشتهيان ما للقريب ولئلا تنظران إلى امرأة بشهوة<sup>٥١</sup>. لأننا إذا أطلنا نظرات شهوانية وتطفلية على تقاطيع الجسم الأنثوية نكون غير مختونين بالعينين. وإن أكلنا أو شربنا، سواء كنا نأكل أو نشرب، لمجد الله<sup>٥٢</sup> كما يطلب بولس الرسول، نكون مختونين في حاسة التذوق لدينا. ولكن إذا عملنا لأنفسنا "إلهاً لبطننا"<sup>٥٣</sup> وصيرنا أنفسنا عبيداً للملذات النهم، فأقول إن حاسة التذوق لدينا غير مختونة. وإن أخذنا "رائحة المسيح الذكية"<sup>٥٤</sup> وبحثنا عن "عطر حلاوة"<sup>٥٥</sup> في أعمال الرحمة، فتكون حاسة الشم لدينا مختونة. أما إذا تقدمنا ونحن "مدهونين بأطيب العطور"<sup>٥٦</sup> فحينئذ تكون حاسة الشم لدينا غير مختونة.

ومن هنا يجب أن نقول أيضاً إن كل عضو من أعضائنا، عندما تكون مجتهدة في الوظائف التي يريدها الله، فإنه يكون مختوناً.

<sup>٤٨</sup> انظر: ٢ تي ٣: ١٧.

<sup>٤٩</sup> انظر: إش ٥٩: ٧.

<sup>٥٠</sup> انظر: مز ١: ١.

<sup>٥١</sup> انظر: مت ٥: ٢٨.

<sup>٥٢</sup> انظر: ١ كو ١٠: ٣١.

<sup>٥٣</sup> انظر: في ٣: ١٩.

<sup>٥٤</sup> انظر: ٢ كو ٢: ١٥.

<sup>٥٥</sup> انظر: مثلاً خر ٢٩: ٤.

<sup>٥٦</sup> انظر: عا ٦: ٦؛ نش ٤: ١٤.



ولكن عندما تخالف الشرائع التي وُكلت إلهياً إليها، فيجب اعتبارها بانها غير مختونة. وأعتقد أن ذلك هو معنى هذا القول الذي لبولس الرسول: "كما سلمتم أعضاءكم كعبيد للإثم للنجاسة هكذا الآن سلموا أعضاءكم كعبيد للبر للتقديس"<sup>٥٧</sup>. وفي الواقع حين كانت أعضاؤنا تخدم الإثم، لم تكن مختونة ولم يكن فيها عهد الله، إلا أنها حين أخذت تخدم البر للتقديس، تحقق فيها الوعد الذي أُعطي لإبراهيم، لأنه حينئذ تطبع شريعة الله وعهده علامتهما فيها. وهذه هي حقاً "علامة الإيمان"<sup>٥٨</sup> التي تضم ميثاق عهد أبدي بين الله والإنسان. إنه هذا الختان الذي أعطاه يسوع (يشوع) "بسكاكين من حجر"<sup>٥٩</sup> لشعب الله. ولكن ما هو السكين الذي من حجر؟<sup>٦٠</sup> ما هو "السيف" الذي ختن به شعب الله؟ اسمعوا ما يقوله بولس الرسول: "لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من أي سيف ذي حدين، وخارقة إلى أن تفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، وهي تميز ميول وأفكار القلب"<sup>٦١</sup>. هذا هو إذاً السيف الذي يجب أن يختتنا، هذا السيف الذي يقول عنه الرب يسوع: "ما جئت لأجلب السلام على الأرض بل السيف"<sup>٦٢</sup>.

### الختان الروحي هو الأنسب لإقامة العهد مع الله

أ لا يبدو لك ختان من هذا النوع لائقاً أكثر من أجل إقامة

<sup>٥٧</sup> انظر: رو ٦: ١٩.

<sup>٥٨</sup> انظر: تك ١٧: ١١.

<sup>٥٩</sup> انظر: يش ٥: ٢.

<sup>٦٠</sup> يقول أوريجينيس إن الحجر الذي صنع منه يشوع السكاكين هو تلك "الصخرة" أي المسيح (تي ٣: ٣). ولا يجد أوريجينيس هنا أي صعوبة في تحويل هذا "السكين" إلى "سيف" حتى يستطيع أن يأتي بالاستشهادات المناسبة من الرسالة إلى العبرانيين ومن إنجيل متى.

<sup>٦١</sup> انظر: عب ٤: ١٢.

<sup>٦٢</sup> انظر: مت ١٠: ٣٤.

عهد الله؟ قارن من فضلك شروحنا التي قدمناها بخرافاتكم اليهودية وقصصكم المثيرة للاشمئزاز، وسل نفسك عما إذا كانت تعليماتكم، أم التعليمات التي تركز بها كنيسة المسيح، هي التي يُحفظ فيها الختان بطريقة لائقة بالله. أ لا تدرك أنت نفسك أن ختان الكنيسة شريف ومقدس ولائق بالله في حين أن ختانكم مخزٍ ومنفر وكرهه وأنه يخل بالحياة بطريقته ومظهره الخارجي؟

"فيكون الختان وعهدي في لحمك"<sup>٦٣</sup>، هكذا يقول الله لإبراهيم. فإن كانت إذاً هذه هي حياتنا بحيث تكون قد حققت التوازن والاتحاد بين كافة الأعضاء لدرجة أن كل حركاتنا تنتج بالاتفاق مع شرائع الله، فحينئذٍ "يكون عهد الله في لحمنا"<sup>٦٤</sup> حقاً.

فلتُسخم الشروح المختصرة التي قدمناها حول نصوص من العهد القديم في إفحام من يتكلمون على ختان اللحم، وفي المساهمة أيضاً في بناء كنيسة الله.

### الختان الروحي في العهد الجديد

٧ ولكني أصل من هنا إلى العهد الجديد الذي يحتوي على كمال كل شيء، والذي أريد أن أثبت بواسطته كيف يمكننا نحن أيضاً أن نحمل عهد ربنا يسوع المسيح في لحمنا<sup>٦٥</sup>. لأنه لا يكفي قول الشيء بكلمة فقط أو بقول ولكن يجب إتمامه بالأفعال. وفي الواقع يقول يوحنا الرسول: "كل روح يعترف أن يسوع قد جاء في الجسد فهو من الله"<sup>٦٦</sup> عجباً هل من الممكن أن يعترف إنسان خاطئ، شخص يسلك سلوكاً رديئاً، "بأن يسوع قد جاء في الجسد"، وسيفعل ذلك

<sup>٦٣</sup> انظر: تك ١٧: ١٣.

<sup>٦٤</sup> انظر: تك ١٧: ١٣.

<sup>٦٥</sup> انظر: تك ١٧: ١٣.

<sup>٦٦</sup> انظر: ١ يو ٤: ٢.

وهو يبدو، حسب الظاهر، أنه في روح الله؟ لا، فليس هذا هو من يحمل عهد الله في اللحم، ولكن فقط في الكلام. هذا إذا سوف يسمع فوراً: أيها الانسان، أنت تخدع نفسك، إن "قوام ملكوت الله ليس في الكلام، بل في القوة".<sup>٦٧</sup>

إنني أبحث إذا كيف يمكن أن يتحقق عهد المسيح في لحمي.<sup>٦٨</sup> إن "أمت أعضائي الأرضية"<sup>٦٩</sup>، يكون لديّ عهد المسيح في لحمي. وإذا "حملت في جسدي باستمرار موت يسوع المسيح"<sup>٧٠</sup> يكون عهد المسيح في جسدي. لأننا "إن حملنا التجربة معه فسنملك أيضاً معه"<sup>٧١</sup>، وإذا "كنت قد صرت واحداً معه بموت شبيه لموته"<sup>٧٢</sup>، فإنني أظهر أن عهده هو في لحمي. لأنه ما فائدة أن نقول إن يسوع لم يأت إلا في الجسد الذي أخذه من القديسة مريم العذراء وألا يظهر أيضاً أنه قد جاء في جسدي أنا؟ ولكنني أظهر ذلك بالذات إن "حولت أعضائي الآن وقدمتها عبداً للبر للتقديس" بينما كنت من قبل قد "قدمتها عبداً للإثم للنجاسة"<sup>٧٣</sup>. أنا أظهر أن عهد الله هو في جسدي إذا استطعت أن أقول مثل بولس الرسول: "أنا مصلوب مع المسيح، وإن عشت فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا في"<sup>٧٤</sup>، وإذا استطعت أن أقول مثله: "أما أنا، فأني حامل في جسدي سمات ربي يسوع المسيح"<sup>٧٥</sup>. ولكنه لأي بولس الرسول كان يُظهر حقاً أن عهد الله كان في لحمه حين قال: "من سيفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع؟ الشدة أم الضيق أم

<sup>٦٧</sup> انظر: ١ كو ٤: ٢٠.

<sup>٦٨</sup> انظر: تك ١٧: ١٣.

<sup>٦٩</sup> انظر: كو ٣: ٥.

<sup>٧٠</sup> انظر: ٢ كو ٤: ١٠.

<sup>٧١</sup> انظر: ٢ تي ٢: ١٢.

<sup>٧٢</sup> انظر: رو ٦: ٥.

<sup>٧٣</sup> انظر: رو ٦: ١٩.

<sup>٧٤</sup> انظر: غل ٢: ٢٠.

<sup>٧٥</sup> انظر: غل ٦: ١٧.

الخطر أم السيف<sup>٧٦</sup> "لأننا إن اكتفينا بالاعتراف بالرب يسوع بالقول وإن لم يظهر أن "عهده في لحمنا"<sup>٧٧</sup> بالطريقة التي شرحناها تُو، فسيبدو أننا نسلك نحن أيضاً بذلك كاليهود الذين يتصورون أنهم يعترفون بالله بواسطة علامة الختان فقط في حين أنهم ينكرونه بأعمالهم.

أما نحن فليعطنا الرب أن "نؤمن في قلبنا ونعترف بالفم"<sup>٧٨</sup> وأن نؤكد بالأعمال أن "عهد الله هو في جسدنا"، حتى " إذ يرى الناس أعمالنا الحسنة، يمجدوا أبانا الذي في السماوات"<sup>٧٩</sup>، بالمسيح يسوع ربنا "الذي له المجد إلى أبد الأبدین. آمين"<sup>٨٠</sup>.

---

<sup>٧٦</sup> انظر: رو ٨: ٣٥.

<sup>٧٧</sup> انظر: تك ١٧: ١٣.

<sup>٧٨</sup> انظر: رو ١٠: ٩ - ١٠.

<sup>٧٩</sup> انظر: مت ٥: ١٦.

<sup>٨٠</sup> انظر: غل ١: ٥.



العظة الرابعة

ظُهُورُ اللَّهِ لِابْنِ إِهْيَمَ



## الله يظهر لإبراهيم

١ لقد قرئ لنا الآن ظهور آخر لله لإبراهيم، وهو الذي حدث بهذه الطريقة: يقول الكتاب المقدس "ظهر الله لإبراهيم إذ كان جالساً عند باب خيمته عند بلوطة ممرا، وهوذا ثلاثة رجال قد وقفوا فوقه<sup>١</sup>. وإذا رفع عينيه، رأى إبراهيم وهوذا ثلاثة رجال كانوا فوقه، فخرج لملاقاتهم<sup>٢</sup>."

لنقارن أولاً - إن شئتم - هذا الظهور بذلك الذي حدث للوط: "ثلاثة رجال" جاءوا إلى إبراهيم ووقفوا فوقه" في حين أن "اثنين" جاء إلى لوط و"جلسا في الساحة"<sup>٣</sup>. انظر هل كانت هذه الأمور، بتدبير من الروح القدس، لا تتم إلا وفقاً للاستحقاقات: فقد كان في الواقع لوط أدنى من إبراهيم. فإن لم يكن أدنى لما كان انفصل عن إبراهيم ولما قال لإبراهيم له: "إن ذهبت يميناً أذهب أنا شمالاً، وإن ذهبت شمالاً أذهب أنا يميناً<sup>٤</sup>." وإن لم يكن أدنى، لما لاءمته بلد وحياء سدوم.

## الضيوف

جاء إذاً ثلاثة رجال لإبراهيم "في منتصف النهار"<sup>٥</sup>، وجاء اثنان للوط "في المساء"<sup>٦</sup>، لأن لوط لم يستقبل نور الظهيرة العظيم، أما إبراهيم فكان قادراً على استقبال بهاء النور الكامل. لنر الآن كيف استقبل كلٌّ من إبراهيم ولوط القادمين ولنقارن استعدادات الضيافة عند كل منهما. لاحظ مع ذلك أولاً أن عند إبراهيم كان

<sup>١</sup> لاحظ أن التعبير المستخدم هو "فوقه" وليس "أمامه"، ووجب الحفاظ على هذا الفارق الدقيق أثناء الترجمة لأن أوريجينيس سوف يقوم لاحقاً بالتعليق عليه: فالأمر يختص برؤيا ترفع رأس إبراهيم.

<sup>٢</sup> انظر: تك ١٨: ١ - ٢.

<sup>٣</sup> انظر تك ١٩: ١.

<sup>٤</sup> انظر: تك ١٣: ٩.

<sup>٥</sup> انظر: تك ١٨: ١.

<sup>٦</sup> انظر: تك ١٩: ١.



الرب حاضرًا أيضًا مع الملاكين، بينما أتى إلى لوط الملاكين فقط. وماذا قالوا؟ "أرسلنا الرب لندمر المدينة ونهلكها".<sup>٧</sup> فاستقبل لوط إذاً من كانت مهمتهما الإهلاك و لم يستقبل من كان قادرًا على أن يخلص، بينما استقبل إبراهيم من يخلص ومن يهلك في نفس الوقت.

### حماس إبراهيم

ولنر الآن استقبال كل منهما لإبراهيم ولوطًا. يقول الكتاب "رأهم إبراهيم وركض لملاقاتهم".<sup>٨</sup> لاحظ على الفور سرعة وحماس إبراهيم حين يتعلق الأمر بواجباته، فهو يركض للقاء الضيوف وعقب اللقاء يقول الكتاب "أسرع إبراهيم بالرجوع إلى خيمته إلى سارة وقال لامراته: تعالي سريعًا إلى الخيمة".<sup>٩</sup> إن كل تفصيلا توضح الحماسة في الاستقبال. هناك سرعة وهمة في كل شيء دون أي تكاسل. فيقول إذاً لزوجته سارة: "اركضي سريعًا إلى الخيمة واسكبي ثلاث كيلات دقيقًا سميدًا واصنعي خُبز ملة".<sup>١٠</sup> وفي اللغة اليونانية تُستخدم كلمة (ἐγκρυφίας) لتشير إلى الخبز المخفي وغير المرئي.<sup>١١</sup> ويقول الكتاب "ركض بنفسه للماشية وأخذ عجلاً".<sup>١٢</sup> أي عجل؟ أول عجل أتى على الأرجح؟ كلا، بل عجل "جيد ورخص".<sup>١٣</sup> لقد صنع كل شيء بسرعة، ولكنه مع ذلك لم ينس أن الأعظم والأهم هما الذي ينبغي تقديمهما للرب وللائكته. فأخذ إذاً، أو بالأحرى اختار، من قطيعه عجلًا "جيدًا ورخصًا" وأعطاه لخدمته. وتقول الآية "فأسرع الخادم في

<sup>٧</sup> انظر: تك ١٩: ١٣.

<sup>٨</sup> انظر: تك ١٨: ٢.

<sup>٩</sup> انظر: تك ١٨: ٦.

<sup>١٠</sup> انظر: تك ١٨: ٦. كان خبز الملة يُخبز على حجارة محماة. [المترجم]

<sup>١١</sup> هذه الملحوظة لا يمكن أن تكون إلا من روفينوس.

<sup>١٢</sup> انظر: تك ١٨: ٧.

<sup>١٣</sup> انظر: تك ١٨: ٧.

إعداده<sup>١٤</sup>. " إبراهيم يجري، وزوجته تسارع، والغلام يسرع؛ إذ لا يوجد متوان في بيت الحكيم<sup>١٥</sup>. يقدم إبراهيم إذاً العجل ومعه الخبز والدقيق واللبن والزبد<sup>١٦</sup>. هذه هي واجبات الضيافة بالنسبة لإبراهيم وسارة. لنرى لوط الآن في المقابل: ليس لدى لوط لا دقيق سميد ولا خبز أبيض، ليس لديه سوى دقيق فقط، وهو لم يتعلم أن يسكب ثلاث كيلات من دقيق سميد ولا يستطيع أن يقدم للواصلين الخبز الخفي والسري<sup>١٧</sup>.

## الوليمة

٢ لكن لنتابع الآن. ماذا فعل إبراهيم مع الثلاثة الرجال الذين "وقفوا فوقه"<sup>١٨</sup>؟ لاحظ ما يعنيه سياق العبارة نفسه: أتوا "فوقه"<sup>١٩</sup> وليس أمامه، فقد كان إبراهيم خاضعاً لمشيئة الرب، لذلك تنص الآية على أن الله كان واقفاً "فوقه".

وقد قدم لضيوفه خبزاً مرشوشاً عليه "ثلاث كيلات دقيق

<sup>١٤</sup> انظر: تك ١٨ : ٧.

<sup>١٥</sup> ارجع إلى (PHILON, De Abrah. 108-109): "تعجل إبراهيم حينئذ كل شيء وهو مملوء فرحاً في نفسه حتى لا يرجئ الاستقبال وقال لامراته: أسرعى واصنعي بثلاث كيلات خبز ملة. وقد أسرع هو نفسه بالذهاب إلى البقر وأخذ عجلاً رخصاً وجيداً وأعطاه لغلام فذبحه وأعدده في أقصر مهلة. لأنه لا يوجد أحد في بيت الحكيم يتوانى في حب البشر؛ الرجال والنساء، العبيد والأحرار، يسارعون لخدمة الضيوف." (Trad. J. Gorez, p. 69).

<sup>١٦</sup> انظر: تك ١٨ : ٨.

<sup>١٧</sup> تطيل العظة ١٣ : ٣ على سفر اللاويين شرح معنى هذا الخبز السري الذي يحتوي على علم الأسرار الإلهية. وفقاً لكليمنس (CLÉMENT, Strom. 5, 12) الذي أخذ نفس كلمات فيلو (60) (PHILON, De sacrific. Ab et Cain, 60) "يشير هذا الخبز الخفي إلى أنه يجب إخفاء الكلمة السرية الحقيقية والمقدسة التي عن غير المخلوق وأعماله." وبالنسبة إلى امبروسوس، يحتوي هذا الخبز على تعليم مخفي في الخميرة التي خبأتها المرأة في العجين كما ذكر الرب يسوع في المثل " (De Cain et Ab. 9, 35)، وهو تعليم لا يجب تسليمه للأذان الساذجة (De Abrah. 5, 38).

<sup>١٨</sup> انظر: تك ١٨ : ١.

<sup>١٩</sup> وفقاً للترجمة السبعينية.

سميد<sup>٢٠</sup>، فقد استقبل ثلاثة رجال و رش على الخبز "ثلاث كيلات دقيق سميد". وكل ما يفعله إبراهيم له طابع سري، وكل شيء يحتوي على أسرار. وقُدِّم العجل، ها هو سر آخر، فالعجل نفسه ليس جامداً ولكنه "جيد ورخص". فما الذي من الممكن أن يكون بهذه الرقة وبهذا الجود إلا من "وضع نفسه من أجلنا حتى الموت"<sup>٢١</sup>، ومن "أعطى حياته"<sup>٢٢</sup> لأجل أحبائه<sup>٢٣</sup> إنه "العجل المسمن"<sup>٢٤</sup> الذي يذبحه الآب ليستقبل ابنه التائب. لأن الآب "هكذا أحب العالم حتى أعطى ابنه الوحيد"<sup>٢٥</sup> من أجل حياة هذا العالم.

إلا أن الحكيم [إبراهيم] مع ذلك كان يعرف من الذين قاموا باستقبالهم. فيذهب لملاقة الثلاثة، ولكنه لا يعبد منهم إلا واحداً فقط قائلاً: "انزل إلى عبدك وتبرد تحت هذه الشجرة"<sup>٢٦</sup>.

## غسل الأرجل

ولكن كيف يحدث أن يضيف أيضاً كما لو كان يتحدث إلى بشر: "دعوني أحضر ماءً وأغسل لكم أرجلكم"<sup>٢٧</sup> ذلك أن إبراهيم، أبا الأمم ومعلمها، يعلمك بذلك كيف يجب عليك أن تستقبل ضيوفك وأنتك ينبغي أن تغسل أرجلهم. إلا أنه قد تم التعبير عن ذلك بطريقة سرية. فقد كان يعلم أن أسرار الرب لا يمكن تناولها دون غسل الأرجل<sup>٢٨</sup>. ولكن لم يفته أبداً أهمية هذه الوصية التي أعلنها

<sup>٢٠</sup> انظر: تك ١٨ : ٦.

<sup>٢١</sup> انظر: في ٢ : ٨.

<sup>٢٢</sup> انظر: ١ يو ٣ : ١٦.

<sup>٢٣</sup> انظر: يو ١٥ : ١٣.

<sup>٢٤</sup> انظر: لو ١٥ : ٢٣.

<sup>٢٥</sup> انظر: يو ٣ : ١٦.

<sup>٢٦</sup> انظر: تك ١٨ : ٣، ٤.

<sup>٢٧</sup> انظر: تك ١٨ : ٤.

<sup>٢٨</sup> انظر: يو ١٣ : ٦.

المخلص: "من لا يقبلكم، انفضوا تراب أرجلكم شهادة عليهم. الحق أقول لكم: ستكون هناك لحالة أقل صعوبة لأرض سدوم يوم الدين مما لتلك المدينة<sup>٢٩</sup>". لقد أراد إبراهيم إذًا أن يأخذ زمام المبادرة ويغسل أرجل ضيوفه حتى لا يبقى بها أي غبار قد يشهد بقله إيمانه "يوم الدينونة". لذلك قال إبراهيم الحكيم لضيوفه: "ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم"<sup>٣٠</sup>.

### بلوطة ممرًا

٣ لكن لنرى الآن مضمون ما يتبع. يقول الكتاب المقدس إن "إبراهيم نفسه كان واقفًا بالقرب منهم تحت الشجرة"<sup>٣١</sup>. نحن نطلب آذانًا مختونة لإدراك قصص من هذا النوع. لأنه لا يجب الاعتقاد أن الروح القدس قد صرف اهتمامًا بالغًا في ذكر المكان الذي كان إبراهيم واقفًا فيه في أسفار الشريعة. لأنه ماذا يفيدني، أنا الذي أتيت لسماع ما يعلمه الروح القدس للجنس البشري، أن أسمع أن "إبراهيم كان واقفًا تحت شجرة<sup>٣٢</sup>" لنر بالأحرى ما هي تلك الشجرة التي كان إبراهيم واقفًا تحتها حيث قدم طعامًا للرب وللملاكيه. يقول الكتاب "تحت شجرة ممرًا"<sup>٣٣</sup> وكلمة "ممرًا" تعني في لغتنا "رؤية" أو "فطنة". أ تفهم إذن أي نوع من الأماكن يمكن أن يحل فيه الرب ويحضر وليمة؟ لقد حسنتا في عينيه رؤية إبراهيم وفطنته. ذلك أن إبراهيم كان نقي القلب، قادرًا على معاينة الله<sup>٣٤</sup>. ففي مثل هذا

٢٩ انظر: مر ٦: ١١ مت ١٠: ١٥.

٣٠ انظر: تك ١٨: ٤.

٣١ انظر: تك ١٨: ٨.

٣٢ انظر: تك ١٨: ٨. لا يريد الروح القدس أن "يحكي قصصًا" ولكنه يُعلم، وتوجد تعاليمه في ثنايا التاريخ وذلك لمن يهتم بالبحث فيه. ارجع إلى العظة ٦: ٣؛ ٧: ٤١؛ ٧: ٤٦؛ ١٠: ٤٢.

٣٣ انظر: تك ١٨: ١.

٣٤ انظر: مت ٥: ٨.

المكان، في مثل هذا القلب، يمكن للرب أن يأتي ليحضر وليمة مع ملاكيه. ثم أن النبي قديماً كان يُدعى "الرأى"<sup>٣٥</sup>.

### سارة زوجة إبراهيم

٤ ماذا قال إذا الرب لإبراهيم: "أين سارة امرأتك؟" فرد إبراهيم: "هناك، في الخيمة"، فقال الرب: "إني أرجع إليك بعد عام، في مثل هذا الوقت، ويكون لسارة امرأتك ابن. لكن سارة كانت تسمع في باب الخيمة وهي وراء إبراهيم"<sup>٣٦</sup>. "فلتعلم النساء، من خلال أمثلة البطارقة، أن تتبعن أزواجهن. لأنه ليس بدون سبب أن ذكر أن "سارة كانت واقفة وراء إبراهيم"<sup>٣٧</sup>: ذلك ليوضح أنه إذا كان الرجل يسير للأمام باتجاه الرب، فيجب على المرأة أن تتبعه. أقول يجب أن تتبع بالقدر الذي ترى فيه أن زوجها يقف أمام الرب. ومن وجهة نظر مختلفة، فلنصعد إلى مستوى أعلى من التفسير، ولنقل إن الرجل يمثل عقلنا في حين أن جسدنا، المرتبط به لأي بالعقل ارتباطاً وثيقاً كما بزواج، تمثله المرأة. فليتبّع إذن الجسدُ العقلَ دائماً، ولا نتوان أبداً بحيث ينقاد العقل ويُستعبد للجسد المهتز وسط النجاسة والملذات. إذا "كانت سارة تقف خلف إبراهيم"<sup>٣٨</sup>. ولكن يمكننا نحن أيضاً أن نجد معنى سرياً في هذا المقطع إذا تذكرنا في سفر الخروج كيف "كان الرب يسير بالأمام في شكل عمود نار ليلاً وفي عمود سحب نهاراً"<sup>٣٩</sup> وكيف كان محفل الرب يتبع من خلف. وهذا إذن ما أفهم به أن سارة كانت تتبع أو بالأحرى كانت تقف خلف إبراهيم.

ماذا يقول الكتاب بعد ذلك؟ يقول "كان كلاهما شيخين - أي

<sup>٣٥</sup> انظر: ١ صم ٩ : ٩.

<sup>٣٦</sup> انظر: تك ١٨ : ٩.

<sup>٣٧</sup> انظر: تك ١٨ : ٩.

<sup>٣٨</sup> انظر: تك ١٨ : ٩.

<sup>٣٩</sup> انظر: خر ١٣ : ٢١.

مسنين - ومتقدمين في الأيام<sup>٤٠</sup>. من ناحية العمر الجسدي، لقد عاش الكثيرون من قبلهما أطول منهما، ومع ذلك لم يُدع أي منهم "شيخًا"، وهو ما يثبت أن هذه التسمية لا تُعطى للقديسين بسبب طول أعمارهم ولكن بسبب نضجهم<sup>٤١</sup>.

## نزول الله على الأرض

٥ فماذا حدث بعد هذا الطعام الغني الذي قدمه إبراهيم لله ولملكه تحت شجرة الرُّبِيَا؟ لقد رحل الضيوف، وتقول الآية "وكان إبراهيم ماشيًا معهم ليشيعهم. فقال الرب: لن أخفي عن عبدي إبراهيم ما أنا فاعله، إبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية، وبتبارك فيه جميع أمم الأرض، لأنه [أي الرب] كان يعرف أنه [أي إبراهيم] سيوصي بنيه أن يحفظوا طرق الرب بعملهم البر والعدل حتى يتم الرب لإبراهيم ما قد وعده به. فقال [الرب]: إن الصراخ الذي يصعد من سدوم وعمورة هو في أوجه، وخطاياهم عظيمة جدًا، لقد نزلت إذاً لأرى إذا كانت خطاياهم قد وصلت إلى مداها وفقاً لصراخهم الآتي إلي، وإلا فأعرف (أعرفهم)<sup>٤٢</sup>". هذه هي أقوال الكتاب الإلهي، فلنر إذاً الآن ما يستحق أن يُفهم في هذا الجزء.

تقول الآية "نزلت لأرى"<sup>٤٣</sup>، فحين تتوجه الكلمات الإلهية إلى إبراهيم، لا يقول الكتاب إن الله "نزل" ولكن إنه يقف "فوقه" كما سبق أن شرحنا أعلاه في المقطع: "وقف ثلاثة رجال فوقه"<sup>٤٤</sup>، أما الآن وإذا يتعلق الأمر بأناس خطأ، يقول الكتاب إن الله "ينزل". ولكن احترس من تصور صعود أو نزول مكاني. فإن هذا الأمر كثيرًا ما يتواجد في

<sup>٤٠</sup> انظر: تك ١٨: ١١.

<sup>٤١</sup> ارجع إلى العظة ٣: ٣.

<sup>٤٢</sup> انظر: تك ١٨: ١٦ - ٢١.

<sup>٤٣</sup> انظر: تك ١٨: ٢١.

<sup>٤٤</sup> انظر: تك ١٨: ٢.

الكلمات الإلهية، في سفر ميخا النبي على سبيل المثال، "هوذا قد خرج الرب من مسكنه المقدس ونزل ويمشي على شوامخ الأرض"<sup>٤٥</sup>. إذن يقول إن الله "ينزل" حين يريد أن يعتني بالضعف البشري. ولا بد أن نفهم ذلك بشكل خاص عن ربنا ومخلصنا الذي "لم يتمسك بلهفة بمساواته مع الله، لكنه أخلى نفسه آخذًا حالة عبد"<sup>٤٦</sup>. هو إذاً قد نزل لأنه "ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء"<sup>٤٧</sup>. فالرب في الواقع قد "نزل" ليس فقط ليعتني بالذي لنا ولكن كي يحمله أيضًا، لأنه "أخذ حالة عبد"، وبالرغم من أنه ذو طبيعة غير مرئية من قبل مساواته للآب"<sup>٤٨</sup>، فقد لبس مع ذلك شكلًا مرئيًا و"عُرف كإنسان من خلال كل ما بدا منه"<sup>٤٩</sup>.

ولكن في "نزوله"، هو بالنسبة للبعض بالأسفل، وعندما يصعد هو للبعض الآخر بالأعلى، لأنه بعدما اختار الرسل "صعد إلى جبل عال منفردين وحدهم. وتغيرت هيئته قدامهم"<sup>٥٠</sup>. وهكذا، فبالنسبة لمن يعلمهم أسرار ملكوت السموات<sup>٥١</sup>، هو في الأعلى، أما بالنسبة للجموع والفريسيين الذين يويخهم على خطاياهم، فهو في الأسفل، وهو معهم حيث يوجد "عشب"<sup>٥٢</sup>. فتجلي السيد المسيح لم يكن من الممكن أن يتم في الأسفل، ولكنه يصعد لأعلى مع هؤلاء الذين كانوا يستطيعون أن يتبعوه وهناك تغيرت هيئته.

<sup>٤٥</sup> انظر: مي ١: ٣.

<sup>٤٦</sup> انظر: في ٢: ٧.

<sup>٤٧</sup> انظر: يو ٣: ١٣.

<sup>٤٨</sup> هذه العبارة تتعارض مع زعم البعض عن وجود تراتبية في الأقاليم عند أوريجينيس.

<sup>٤٩</sup> انظر: في ٢: ٧.

<sup>٥٠</sup> انظر: مر ٩: ٢.

<sup>٥١</sup> انظر: مت ١٣: ١١.

<sup>٥٢</sup> انظر: مت ١٤: ١٩.

## حول الادعاء "بجهل الله"

٦ "لقد نزلت إذاً لأرى إذا كانت خطاياهم قد وصلت إلى مداها وفقاً لصراخهم الآتي إلي، وإلا فأعرف (أعرفهم)<sup>٥٣</sup>." فيما يخص هذه الآية، يهاجم الهرطقة<sup>٥٤</sup> عادةً إلهي قائلين: "ما أجهل إله الشريعة هذا! أ لم يكن قادراً على معرفة ما يحدث في سدوم؟ أ كان بحاجة أن ينزل ليرى ويرسل أشخاصاً ليُعلموه؟" لكن لنشهر في وجوههم، نحن المزمون بخوض معارك الرب، "سيف كلمة الله" ونهجم عليهم! ولنثبت في المعركة و"أحقاؤنا ممنطقة بالحق"، لنثبت ونحن "لابسون درع البر"<sup>٥٥</sup> أمام صدام السهام المسمومة التي لمجادلاتهم الفارغة، ولنطلقها بعد أن نلوح بها ونسدها بعناية أكبر بالمقابل في اتجاههم. هذا هو نمط معارك الرب التي خاضها داود والبطاركة الآخرون. فلنثبت ضد الأعداء من أجل إخواننا، لأنه "خير لي أن أموت"<sup>٥٦</sup> من أن أترك الهرطقة يخطفون ويسلبون بعضاً من إخوتي، ويسبون بتلميحاتهم اللفظية المملوءة مكرًا الأطفال والرُضع في المسيح<sup>٥٧</sup>، ولكنهم لن يستطيعوا أن يمسوا الكاملين ولن يجروا على القدم للمعركة. نحن إذاً سنبدأ، مبتدئين بالتضرع للرب وبمساعدة صلواتكم، معركة الكلمة ضدهم.

## المعنى المقصود بعبارة "جهل الله"

نحن نقول إذاً بثقة، وفقاً للكتاب المقدس، إن الله لا يعرف كل البشر، فالله لا يعرف الخطية ولا يعرف الخطاة. هو لا يعرف هؤلاء الذين ابتعدوا عنه. اسمع الكتاب: "يعلم الرب الذين هم له. وليبعد

<sup>٥٣</sup> انظر: تك ١٨ : ١٦ - ٢١.

<sup>٥٤</sup> هذه هي إحدى اعتراضات ماركيون التي رد عليها أوريجينيس في عظاته الأخرى.

<sup>٥٥</sup> انظر: أف ٦ : ١٤ - ١٧.

<sup>٥٦</sup> انظر: ١ كو ٩ : ١٥.

<sup>٥٧</sup> انظر: ١ كو ٣ : ١، ٢.



عن الإثم من يدعو باسم الرب<sup>٥٨</sup>. "يعرف الرب الذين له، ولكنه لا يعرف لا الأشرار ولا الأثمة. اسمعوا المخلص: "ابتعدوا عني أنتم كلكم يا فاعلي الإثم، إني لا أعرفكم"<sup>٥٩</sup>. "وبولس الرسول أيضًا: "إن كان أحد بينكم نبياً أو غنياً في المواهب الروحية، فليعرف أن ما أكتبه إليكم هو من الرب. ولكن من يجهل، فإنه يُجهل<sup>٦٠</sup>". ونحن في هذا القول لا نتخيل أي شيء فيه تجديف على الله كما تفعلون أنتم، ولا ننسب عدم المعرفة له، ولكن تفسيرنا هو أن من كان سلوكهم لا يليق بالله يكونون أيضاً غير مستحقين لمعرفة الله<sup>٦١</sup>، لأن الله يرى أنه من غير المناسب أن يعرف الانسان الذي يبتعد عنه ويجهله، لذلك يقول بولس الرسول أن "من يجهل يُجهل<sup>٦٢</sup>".

وهكذا إذن يعبر الكتاب هنا بنفس الطريقة بالنسبة إلى سكان سدوم: إذا كان سلوكهم (الشرير) هو في أوجه بحسب الصراخ الذي صعد إلى الله<sup>٦٣</sup> فليحسبوا غير مستحقين لمعرفته. ولكن إذا كان عندهم بعض من التوبة، وإذا تمكنا من أن نجد بينهم على الأقل عشرة أبرار<sup>٦٤</sup>، فحينئذ يعرفهم الله. لذلك قال: "وإلا فأعرف (أعرفهم)<sup>٦٥</sup>" ولم يقل "لأعرف ماذا يفعلون"، ولكن لأعرفهم هم أنفسهم وأجعلهم مستحقين لمعرفتي، إن وجدت أبراراً، إن وجدت تائبين، إن وجدت منهم من هم في الحالة المرجوة لكي أعرفهم. وفي

<sup>٥٨</sup> انظر: ٢ تي ٢: ١٩ وانظر أيضاً: عد ١٦: ٥.

<sup>٥٩</sup> انظر: مت ٧: ٢٣.

<sup>٦٠</sup> انظر: ١ كو ١٤: ٣٧ - ٣٨.

<sup>٦١</sup> انظر: (Select. in Ps. 1,6, PG 12,1100 A): "الله لا يعرف الشر، ليس لأنه غير قادر على فهم وإدراك كل شيء بفكره (فمن الإثم التفكير في الله بهذه الطريقة) ولكن لأن الشر غير أهل بمعرفة الله".

<sup>٦٢</sup> انظر: ١ كو ١٤: ٣٨.

<sup>٦٣</sup> انظر: تك ١٨: ٢١.

<sup>٦٤</sup> انظر: تك ١٨: ٣٢.

<sup>٦٥</sup> انظر: تك ١٨: ٢١.

النهاية؛ إذ لم يوجد منهم أي إنسان تائب، باستثناء لوط، فهو وحده الذي عُرف، والوحيد الذي نجا من الحريق<sup>٦٦</sup>. ورغم التحذيرات، لم يتبعه لا أصهاره ولا جيرانه ولا أقاربه. فلم يرد أحد أن يعرف رأفة الله ولم يرد أحد أن يلجأ إلى رحمته، لذلك لم يُعرف أيُّ منهم.

هذا هو ما يجب قوله في مواجهة من "يصعدون كلام إثم<sup>٦٧</sup>"، أما نحن فلنهتم بأن تثمر أعمالنا وسلوكنا بحيث نكون مستحقين لمعرفة الله، وبحيث يشاء الله ويعرفنا، ونحسب مستحقين لمعرفة ابنه يسوع المسيح ولمعرفة الروح القدس، ونستحق؛ إذ يعرفنا الثالوث القدوس، أن نعرف بدورنا تماماً وكلية وكاملاً سر الثالوث القدوس بإعلان الرب يسوع المسيح "الذي له المجد والسلطان إلى أبد الأبدين. آمين<sup>٦٨</sup>".

---

<sup>٦٦</sup> انظر: تك ١٩.

<sup>٦٧</sup> انظر: مز ٧٢: ٨ (بحسب السبعينية).

<sup>٦٨</sup> انظر: ١ بط ٤: ١١.



العظة الخامسة

لوط وبناته



## ضيافة لوط

١ كان الملاكين المرسلان لإهلاك سدوم يتوقان إلى الوفاء بما أوكل إليهما في أسرع وقت، معتين أولاً بمضيفهما لوط لينقذاه، نظراً إلى حسن ضيافته، من النار الوشيكة التي ستدمر كل شيء. اسمعوا هذا يا من تغلقون بابكم في وجه الغرباء. اسمعوا يا من تتحاشون الضيف كعدو. كان لوط يعيش في سدوم، ولا يذكر الكتاب عنه أي عمل حسن آخر قام به سوى تلك الاستضافة. فقد أفلت من النيران المدمرة، وأفلت من الحريق، لسبب وحيد وهو أنه قد فتح بيته للضيوف. فقد دخل الملاكين إلى بيته المضيف، أما النيران فهي التي دخلت المنازل غير المضيافة.

## الكمال الناقص عند لوط

لنتأمل أقوال الملاكين لمضيفهما في مقابل حسن ضيافته: "خلص حياتك عند الجبل لئلا تهلك".<sup>١</sup> كان لوط بالتأكيد مضيفاً، فهو الذي، بشهادة الكتاب المقدس، نجا من الموت لأجل استضافته للملاكين.<sup>٢</sup> إلا أنه لم يكن كاملاً لدرجة أن يتمكن من الصعود على الجبل فور خروجه من سدوم، لأنه للكاملين فقط أن يقولوا: "رفعت عيني إلى الجبال، من حيث سيأتيني العون".<sup>٣</sup> وإجمالاً فإن لوط لم يكن شريراً لدرجة أن يهلك مع مستوطني سدوم، ولم يكن أيضاً باراً بما فيه الكفاية بحيث يقدر أن يسكن مع إبراهيم على المرتفعات، وإلا ما كان إبراهيم قد قال له: "إن ذهبت يميناً فأنا أذهب شمالاً، وإن ذهبت شمالاً فأنا أذهب يميناً".<sup>٤</sup> وما كانت

١ انظر: تك ١٩: ١٧.

٢ انظر: عب ١٣: ٢.

٣ انظر: مز ١٢٠: ١ (بحسب السبعينية).

٤ انظر: تك ١٣: ٩.

مساكن سدوم لتناسبه. لقد كان لوط إذاً على نحو ما في الوسط بين الكاملين والهاالكين؛ وإذ يعلم أنه لم يكن من القوة ما يجعله يتسلق الجبل، اعتذر باحترام وتواضع قائلاً: "وأنا لا أقدر أن أخلص في الجبل، ولكن هوذا مدينة صغيرة جداً، هناك أنجو. وهي ليست صغيرة تماماً<sup>٥</sup>." فدخل إلى مدينة صوغر الصغيرة جداً حيث نجا<sup>٦</sup>، وبعد ذلك صعد إلى الجبل مع ابنتيه<sup>٧</sup>.

هل من الممكن أن تسترد سدوم طهارتها؟

وعند الخروج من سدوم، لم يتمكن لوطاً من الصعود إلى الجبل، على الرغم من أن الكتاب قال عن سدوم قبل هلاكها، حينما اختار لوط أن يسكن فيها، إنها كانت "جنة الله وكأرض مصر<sup>٨</sup>." ولكن، لنخرج قليلاً عن الموضوع: أي تشابه من الممكن أن يكون بين جنة الله وأرض مصر حتى تقارن أيضاً سدوم بهما؟ هذا هو رأيي: قبلما أخطأت، كانت سدوم مثل "جنة الله" طالما كانت تحتفظ ببساطة الحياة التي بلا لوم، ولكن حين بدأت تذبل وتظلم في نجاسات الخطايا، صارت "مثل أرض مصر".

ولكننا نتساءل أيضاً، حيث إن النبي يقول: "أختك سدوم سترجع إلى حالتها القديمة"<sup>٩</sup>، إذا ما كان هذا الرجوع يستوجب أن تعود سدوم مثل جنة الله أم فقط مثل أرض مصر؟ إنني أشك من ناحيتي أنه يمكن لخطايا سدوم أن تزال ولجرائمها أن تطهر بشكل كامل بحيث نستطيع أن نقارنها، عقب رجوعها، ليس فقط بأرض مصر ولكن أيضاً بجنة الله، إلا أن هؤلاء الحريصين على تأكيد هذا

<sup>٥</sup> انظر: تك ١٩: ١٩ - ٢٠.

<sup>٦</sup> انظر: تك ١٩: ٢٣.

<sup>٧</sup> انظر: تك ١٩: ٣٠.

<sup>٨</sup> انظر: تك ١٣: ١٠.

<sup>٩</sup> انظر: حز ١٦: ٥٥.

الأمر سيرهقوننا جداً بإصرارهم على الكلمة التي أضيفت إلى الوعد، لأن الكتاب لم يقل أن "سدوم سترجع" بلا زيادة، ولكن أن "سدوم سترجع إلى حالتها القديمة"<sup>١٠</sup>، وسيؤكدون أن حالتها القديمة ليست أنها كانت مثل "أرض مصر" ولكن "كجنة الله"<sup>١١</sup>.

## امرأة لوط

٢ لكن لنعد إلى لوط، فقد هرب من خراب سدوم مع امرأته وابنتيه، وكان قد أخذ من الملاكين توصية بعدم النظر إلى الورا<sup>١٢</sup> وراء وتوجه إلى صوغر. ولكن ها هي امرأته تنسى الأمر وتتنظر إلى الورا<sup>١٣</sup> وتخالف الشريعة الموضوعية، وتحوّلت إلى تمثال ملح<sup>١٤</sup>. قولوا لي هل كان هناك، من جهة هذه المرأة وفي هذه النظرة إلى الورا، خطية كافية لتستحق الموت الذي كانت قد نجت منه بفضل الله؟ وبالنسبة لهذه المرأة ذات الروح المضطربة، ما الذي جعل فعل النظر إلى الورا، حيث زفير النيران العجيب والمرعب، بهذه الخطورة؟ ولكن بما أن "الناموس روحي"<sup>١٥</sup> وأن ما حدث للقديس "أصابهم مثلاً"<sup>١٥</sup>، نر إذا ما كان لوط الذي لم ينظر خلفه، يمثل العقل والإرادة الصلبة، في حين

<sup>١٠</sup> انظر: حز ١٦: ٥٥.

<sup>١١</sup> ترك الإتمام الحرفي لقول الكتاب المقدس أوريجينيس متحيراً، حيث يؤكد سفر التكوين ١٣: ١٠ أن أرض سدوم، عندما جاء لوط ليقيم فيها، كانت "مثل جنة الله ومثل أرض مصر" وقد قال حزقيال ١٦: ٥٥ إن سدوم سترجع إلى حالتها الأولى. إلا أنه بعد مضي ما يقرب من ٣٠٠٠ عام، لم ترجع سدوم إلى ما كانت عليه. والحقيقة أن طول الفترة المنقضية هو ما جعل أوريجينيس متحيراً وهو ما دفعه للتساؤل عما إذا كان هذا الرجوع سيحدث بالفعل، ولكنه كان يميل رغماً عن ذلك إلى فكرة رجوع سدوم نظراً للتطبيقات الروحية التي كان يستخلصها من هذه الفكرة. انظر عظاته في سفر حزقيال ١٢: ٣، حيث نلمس نفس نبيرة التردد الموجودة هنا.

<sup>١٢</sup> انظر: تك ١٩: ١٧.

<sup>١٣</sup> انظر: تك ١٩: ٢٦.

<sup>١٤</sup> انظر: رو ٧: ١٤.

<sup>١٥</sup> انظر: ١ كو ١٠: ١١.



تمثل زوجته هنا الجسد<sup>١٦</sup> ، لأن الجسد هو الذي ينظر باستمرار ناحية الرذائل، وفي حين تنزع الإرادة نحو الخلاص، ليظل هو الذي ينظر إلى الوراء ويبحث عن الملمات. لذلك قال الرب: "كل من يضع يده على المحرث وينظر إلى الوراء لا يصلح لملكوت الله"<sup>١٧</sup>، ويضيف "تذكروا امرأة لوط"<sup>١٨</sup>. يبدو إذن أن الكتاب ذكر أنها تحولت إلى تمثال ملح ليشير إلى عدم حكمتها، فالملاح يرمز إلى الحرص الذي انعدم لديها. وواصل لوط إذاً إلى صوغر، وهناك، بعد أن استعاد القوة التي لم يستطع أن يحوزها في سدوم، صعد إلى الجبل ومكث هناك، وفقاً لنص الكتاب، "هو وابنتاه معه"<sup>١٩</sup>.

### التفسير الحرفي لخطية لوط: الثمالة

٣ تأتي بعد ذلك هذه القصة الشهيرة، حيث نرى ابنتي لوط تستعدان للاتحاد خلسة مع أبيهما<sup>٢٠</sup>. ولست أدري هنا إن كانت الأعدار التي من الممكن أن نعطيها للوط كافية لإعفائه من أي خطأ، ولا أظن بالأكثر أننا ينبغي أن نحمله ذنباً لدرجة أن نحمله ذنب زنا بهذه الخطورة، لأنني أعلم أنه لم يعتد لا بالحيلة ولا بالعنف على عفة ابنتيه، ولكنه سقط بالأحرى في الشرك، وتم خداعه من خلال حيلة ماهرة، إلا أن ابنتيه ما كانتا قد خدعتاه لو لم يكن قد ترك نفسه يسكر. لذلك فهو يبدو لي مذنباً جزئياً ومعدوراً جزئياً، معدور لأنه لم يتورط في خطية شهوة وفجور، ولا يمكن أن نوبخه لا على أنه أرادها ولا على أنه جعل شريكاً فيها، ولكنه

<sup>١٦</sup> أشار فيلو إلى أن امرأة لوط التي صارت عمود ملح ترمز إلى الإحساس عند الإنسان، الذي يترك الفضيلة ويتوجه نحو المجد الباطل والغنى والقوة والجمال.

De fuga et inu. 122 ; Leg. Alleg. 3, 213.

<sup>١٧</sup> انظر: لو ٩ : ٦٢.

<sup>١٨</sup> انظر: لو ١٧ : ٣٢.

<sup>١٩</sup> انظر: تك ١٩ : ٣٠.

<sup>٢٠</sup> انظر: تك ١٩ : ٣١ - ٣٨.

مذنب لأنه ترك نفسه ليُخدع، و لأنه أحب الخمر كثيراً و ذلك لمرتين بدلاً من مرة واحدة<sup>٣١</sup>. ويبدو لي أن الكتاب المقدس نفسه يلتمس له العذر بشكل ما عندما يقول: "ولم يعلم متى اضطجع معها ومتى قام"<sup>٣٢</sup>، ولم يقل ذلك عن ابنتيه اللتين خدعتا أبيهما بعلم ومهارة. أما لوط، فقد استغرق في النوم تحت تأثير الخمر بحيث لم يتبين أنه قد اضطجع لا مع ابنته الكبرى ولا مع الابنة الصغرى.

اسمعوا عواقب السكر. اسمعوا أية جرائم يسببها السكر. اسمعوا واحترسوا، أنتم الذين لا يمثل هذا الشر لديكم خطية ولكن لتعتبروه مجردا عادة. لقد خدع السكر من لم تخدعه سدوم، وقامت نساء متقدات بحرق من لم تحرقه نيران الكبريت المدمرة. لقد خدع لوط إذن بالحيلة بلا قصد، لذلك فهو يشغل نوعاً من المكانة المتوسطة بين الخطاة والأبرار، هو الذي لكونه من أسرة إبراهيم لم يسكن في سدوم لعند خرابها. لأنه إن كان قد استطاع أن يهرب من سدوم كما يقول الكتاب، فهو يدين بذلك لحكمة إبراهيم أكثر بكثير مما لاستحقاقاته الشخصية. فالكتاب يقول في الواقع:

<sup>٣١</sup> حاول المفسرون المسيحيون في عصر أوريجينيس إيجاد الأعدار للوط وابنتيه. وكانت الأعدار التي قدموها هي نفسها لعدة قرون بعد ذلك. فوجد إيرينيوس (ضد الهرطقات ٤: ٣١) يعذر لوطاً "لأنه لم يرتكب هذا الزنا لا بإرادته ولا بشهوة جسدية منه ولم يكن لديه لا رؤية ولا فكر عن هذا الفعل." أما (ابنتا لوط) فقد تصورتا بسذاجة أن كل البشر قد هلكوا مثل أهل سدوم، و أن غضب الله قد احتدم على الأرض كلها. لذلك يمكن التماس العذر لهما إذ إنهما اعتقدتا أنه لم يبق سواهما مع أبيهما لحفظ الجنس البشري، وأنه لهذا السبب قد خدعتا والدهما. أما أوريجينيس فقد استشهد في (ضد كلسوس ٤: ٤٥) بالنظرية الرواقية التي تقول إن الحكيم الذي بقي وحيداً مع ابنته عقب الكارثة العامة، كان مسموحاً له بالاتحاد معها لاستمرار الجنس البشري. إلا أن البعض قد وجد في تصرف الفتاتين فعلاً مشيناً. فيضيف أوريجينيس: "إن الكتاب المقدس لم يؤيد بوضوح في واقع الأمر ما فعلته ابنتا لوط، ولكنه في نفس الوقت لم يدينهما ولم يلمهما." وبعد أوريجينيس جاء القديس يوحنا ذهبي الفم (عظات على سفر التكوين ٤٤: ٤ - ٥) ليعطي، مع الكثير من الاحتياطات الخطابية، نفس الأعدار للوط وابنتيه. ولم يختلف فيما بعد كل من تيودوريت وأمبروسيوس وأغسطينوس عن تلك الآراء كثيراً.

<sup>٣٢</sup> انظر: تك ١٩: ٣٥.

"وحدث أنه لما أخرج الله مدن سدوم أنه ذكر إبراهيم، وأخرج لوطاً من هذه الدائرة"<sup>٢٣</sup>.

### خطأ ابنتي لوط؛ خطايا الجسد

٤ أما بالنسبة إلى نية ابنتيه، فأعتقد أنه لا بد من فحصها عن كذب أكثر، حتى لا ننسب لهما ذنباً أكثر مما يمكن تصوره. يخبرنا الكتاب في الواقع أنهما قالتا الواحدة للأخرى: "أبونا قد شاخ بالفعل، وليس في الأرض أحد ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقي أبانا خمراً ولنضطجع معه، ولنحیی من أبينا نسلاً"<sup>٢٤</sup>. وبالرجوع إلى ما قاله الكتاب عنهما، يبدو أنه يعذرهما أيضاً بشكل ما. لأننا نرى أن ابنتي لوط كانت لديهما بعض المعرفة عن نهاية العالم التي ستأتي بالنار، ولكن كمعرفة الفتيات، كانت معرفتهما غير كاملة وناقصة. فهما لم تعرفا أنه إلى جانب بلدة سدوم التي دمرتها النيران، كان هناك أيضاً الكثير من المساحات السليمة في العالم وقد سمعتا أنه في نهاية الدهر سوف تُدمر الأرض وكل العناصر من شدة النار<sup>٢٥</sup>. لقد رأتا النار وشاهدتا حريق الكبريت ونظرتا دمار كل شيء، ورأتا أيضاً أن والدتهما لم تنج، فتصورتا أن هناك شيئاً ما يحدث شبيهاً بما تعرفاه عن زمن نوح، وأنهما قد بقيتا وحيدتين مع أبيهما لضمان ذرية البشر. لذلك أتهما الرغبة في تجديد الجنس البشري، واعتقدتا أن العالم الجديد لا بد وأن يأتي منهما. ولذلك، وهما يعلمان جيداً أن خداع أبيهما والاتحاد معه هما خطية كبيرة، فقد بدا لهما على الرغم من ذلك أنه إثم أعظم، كما اعتقدتا، أن تبددا الأمل في نسل بشري من خلال الحفاظ على عفتهما. لذلك فقد

<sup>٢٣</sup> انظر: تك ١٩ : ٢٩.

<sup>٢٤</sup> انظر: تك ١٩ : ٣١ - ٣٢.

<sup>٢٥</sup> انظر: ٢ بط ٣ : ١٢.

نفذتا تدبيرهما بذنب هو في رأيي أقل، خاصة وأن الأمل والدوافع هما أكبر. لقد بددتا حزن والدهما وتغلبتا على عناده بواسطة الخمر. وإذا دخلتا كل منهما ليلية واحدة إلى أبيهما، حملتا منه دون علمه. ولم تكررا ذلك ولم ترغبا في ذلك مرة أخرى، فهل يمكننا في كل ذلك أن نبرهن لهما عن ذنب فجور أثيم أو عن ارتكاب إجرامي للمحارم؟ هل يمكننا وصف ما لم يحدث سوى مرة واحدة بأنه رذيلة؟ إنني أخشى أن أقول رأيي بصراحة. نعم فأنا أخشى أن يكون ارتكابهما المحارم أكثر عفة من عفة الكثير من النساء.

فلتفحص النساء المتزوجات أنفسهن ولتتساءلن إن كانت لا تلمسن أزواجهن إلا من أجل إنجاب الأطفال، وإن كانت تتوقف عن ذلك عندما تحمل<sup>٢٦</sup>. إن ابنتي لوط اللتين نعتقد أنهما مذنبتان بارتكاب المحارم، لم تطلبا الاتحاد الزوجي بمجرد أن حملتا. فهناك نساء - ونحن لا نوبخ كل النساء دون تمييز ولكن البعض منهن - اللاتي لا يتوقفن عن المواظبة على الشهوة بإفراط مثل الحيوانات، ولن أشبههن أيضاً حتى بالبهاائم؛ إذ إن أنثى البهاائم تعرف على الأقل كيف تمتنع عن الذكور أثناء حملها. هذه الأنواع من الذكور يستكرها أيضاً الكتاب عندما يقول: "لا تكونوا كالفرس والبغل الذين بلا فهم<sup>٢٧</sup>"، وأيضاً: "صاروا حصناً معلوفة<sup>٢٨</sup>". أما أنتم يا شعب الله، "الذين يحبون المسيح في عدم فساد<sup>٢٩</sup>"، فافهموا كلام الرسول عندما يقول: "سواء كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون أي شيء آخر، فافعلوا كل شيء لمجد الله<sup>٣٠</sup>". من خلال هذا الجزء من الآية:

٢٦ انظر: العظة ٣: ٦.

٢٧ انظر: مز ٣١: ٩ (بحسب السبعينية).

٢٨ انظر: إر ٥: ٨.

٢٩ انظر: أف ٦: ٢٤.

٣٠ انظر: ١ كو ١٠: ٣١.

"أو تفعلون أي شيء آخر" الذي يلي الشرب والأكل، أشار الرسول في أسلوب مملوء احتشاماً إلى الأفعال غير اللائقة التي للزواج، مظهراً أنها أيضاً تتم لمجد الله، بشرط ألا يتم السعي إليها إلا بقصد النسل.

## التفسير الرمزي

إلى هنا نكون قد عرضنا قدر ما استطعنا سواء أخطاء لوط وابنتيه أو ما يجعلهما في المقابل معذورين.

٥ ولكن من جهة الرمز، فأعرف بعضاً قد أرادوا أن يعطوا لوط دور الرب، وأن يجعلوا من ابنتيه لرمزاً للعهديين. وأنا أشك في أن يتمسك أحد ممن يعرف أقوال الكتاب حول الموآبيين والعمونيين، الذين بالنسب هم من نسل لوط، بطيب خاطر بهذا التفسير، لأنه كيف نطبق على المسيح أن الذين من نسله حتى "الجيل الثالث والرابع"<sup>٣١</sup> "لن يدخلوا في جماعة الرب"<sup>٣٢</sup>؟

## لوط: رمز للشرية

أما بالنسبة لنا، ويقدر ما نستطيع أن نرتئي، فنحن نجعل لوط رمزاً للناموس، ولا يجب أن نري ذلك غريباً لأنه إذا كانت كلمة "ناموس" مؤنثة عندنا، إلا أنها مذكرة في اللغة اليونانية<sup>٣٣</sup>. أما فيما يخص زوجته، فنجعلها رمزاً للشعب الذي خرج من مصر وعبر البحر الأحمر وهرب من ملاحقات فرعون كما لو كانت حرائق سدوم. ولكن هذا الشعب - إذ تحسر على اللحم وعلى "ثوم ويصل وخيار مصر"<sup>٣٤</sup> - نظر إلى الوراثة وسقط في الصحراء، صائراً هو أيضاً تذكاراً

<sup>٣١</sup> انظر: خر ٣٤: ٧.

<sup>٣٢</sup> انظر: تث ٢٣: ٣.

<sup>٣٣</sup> من الواضح أن هذه الملاحظة ترجع إلى روفينوس. وكان لأوغسطينوس نفس هذا الفكر بعد قرن ونصف من أوريجينيس في كون لوط هو رمز الشرية.

<sup>٣٤</sup> انظر: عد ١١: ٥.

للشهوة في قلب الصحراء<sup>٣٥</sup>. ويكون الناموس هنا إذا بالنسبة إلى هذا الشعب الأول، مثل لوط الذي فقد زوجته وتركها لأنها نظرت إلى الوراء.

ومنطلقاً من هناك، جاء لوط ليسكن في صوغر والتي يقول عنها: "هذه المدينة صغيرة جداً، فتنجو نفسي فيها، وهي ليست صغيرة للغاية"<sup>٣٦</sup>. فلنر طبقاً للشريعة ما تعنيه "مدينة صغيرة جداً" وليست صغيرة للغاية. إن كلمة "مدينة" تطلق من جهة "نمط الحياة" التي يعيشها عدد كبير لمن البشر، بسبب أن المدينة توحد وتضم حياة كثيرين<sup>٣٧</sup>. وعليه، فإن الذين يحيون في الناموس لهم حياة حقيرة وضعيفة طالما يفهمون الناموس حسب الحرف. لأنه لا يوجد شيء عظيم في حفظ الأهله والسبت والختان وتمييز الأطعمة جسدياً. ولكن إن فهمناها روحياً، فإن هذه الشعائر نفسها التي كانت بحسب الحرف ضعيفة وقاصرة، لا تكون بعد ضعيفة بل عظيمة.

### ابنتا لوط: رمز الشعب المنساق وراء شهوات الجسد

بعد ذلك يصعد لوط إذاً إلى الجبل ويسكن في المغارة، كما يقول الكتاب "هو وابنتاه"<sup>٣٨</sup>. ويمكننا أن نتصور أن الناموس أيضاً قد صعد، لأن الهيكل الذي بناه سليمان قد أضاف له زينة، فقد أصبح [الناموس] هو "بيت الله، بيت صلاة"<sup>٣٩</sup>، ولكن الأشرار الذين كانوا ساكنين فيه قد جعلوا منه "مغارة لصوص"<sup>٤٠</sup>.

<sup>٣٥</sup> انظر: مز ١٠٥: ١٤ (حسب السبعينية).

<sup>٣٦</sup> انظر: تك ١٩: ٢٠.

<sup>٣٧</sup> هذا التعريف مستوحى من أفلاطون (الجمهورية ٢: ١١): "تجمع كثرة الاحتياجات العديد من البشر في نفس المكان، فيتحدوا ليساعدوا بعضهم البعض: ولقد أعطينا هذا المجتمع اسم مدينة".

<sup>٣٨</sup> انظر: تك ١٩: ٣٠.

<sup>٣٩</sup> انظر: إش ٥٦: ٧؛ لو ١٩: ٤٦.

<sup>٤٠</sup> انظر: إر ٧: ١١؛ مت ٢١: ١٣.

سكن لوط إذاً في المغارة مع ابنتيه، ومما لا شك فيه أنهما لأي الابنتين] هما من يشير إليهما النبي عندما يقول أن أهولة وأهولبية هما أختان. أهولة هي أورشليم وأهولبية هي السامرة<sup>٤١</sup>، وإذا انقسم الشعب إلى إثنين، صار كابنتين للناموس. وإذا أردتا أن يتكاثر النسل الأرضي وأن تتوطد قوات المملكة الأرضية من خلال نسل وافر، فقد أنعسا وأناما أبيهما، أي أنهما أخفتا وأظلمتا حسه الروحي، ولم تحتفظا سوى بالحس الجسدي. لذلك حملتا وأنجبتا بنيناً بحيث يكون ذلك دون علم الأب ودون أن يعرفهما. لم يكن لا روح الناموس ولا إرادته أن يلد نسلاً جسدياً ولكن ينام الناموس حتى يمكن لمثل هذا النسل الذي "لن يدخل في جماعة الرب" أن يولد. وفي الواقع يقول الكتاب: "لا يدخل العمونيون ولا الموآبيون في جماعة الرب حتى الجيل الثالث والرابع وإلى الأبد"<sup>٤٢</sup>، مما يعني أن نسل الناموس الجسدي لا يدخل إلى كنيسة المسيح لا إلى الجيل الثالث بسبب الثالوث، ولا إلى الجيل الرابع بسبب الأناجيل الأربعة، ولا إلى آخر الدهر ولكن ربما فقط عقب هذا الدهر الحاضر حين "تكون جموع الأمم قد دخلت وهكذا سيخلص جميع إسرائيل"<sup>٤٣</sup>.

هذا هو ما وجدناه، عند تعمقنا بقدر استطاعتنا في المعنى الرمزي، حول لوط وامراته وابنتيه. ولكننا لا ننوي أن نمنع من يستطيعون من أن يجدوا تفسيراً أكثر عمقاً لهذا السر.

## عظة أخلاقية

٦ أما بالنسبة لشرحنا الذي قمنا به منذ قليل في عرض أخلاقي،

<sup>٤١</sup> انظر: حز ٢٣: ٤. لينتبه القارئ إلى أن الكتاب المقدس يجعل أهولة رمزاً للسامرة وأهولبية لأورشليم.

<sup>٤٢</sup> انظر: تث ٢٣: ٣، خر ٣٤: ٧.

<sup>٤٣</sup> انظر: رو ١١: ٢٥ - ٢٦.

والذي فيه جعلنا من لوط لرمزاً للعقل والإرادة الصلبة، ومن زوجته التي نظرت للوراء لرمزاً للجسد المنكب على الشهوات ومتع الحواس، فأنت يا من تستمع إليّ، لا تأخذه [أي الشرح] بتهاون، لأنك يجب أن تكون محترساً: فحين تهرب بعيداً عن نيران الدهر وتنجو من حريق الجسد، حتى حين تتجاوز "مدينة صوغر الصغيرة جداً وهي ليست صغيرة تماماً"<sup>٤٤</sup> مما يمثل مكانة متوسطة وتقدماً بالنسبة لمدينة، وحين تصل إلى ارتفاع العلم<sup>٤٥</sup> كما على بعض قمم الجبال، فحذار عندئذ من إشراك هاتين الفتاتين اللتين لا تتركانك واللتين تصاحبانك حتى عندما تكون قد تسلقت الجبل، أقصد المجد الباطل و أخته الكبرى، الكبيرياء. حذار من أن توثقانك بحبائلهما في حين تظن أنك لا تشعر أو تلاحظ شيئاً؛ إذ تكون غافلاً ونائماً. وإذا كان الكتاب قد دعاهما "ابنتين" فذلك لأنهما لا تأتياننا من الخارج ولكنهما تتولدان من داخلنا وتشكلان بطريقة ما جزءاً مكملًا لأفعالنا. فلتسهر إذا بأقصى جهدك، ولتتحاش أن توجد لهما أبناء، لأن الذين سيولدون منهما "لن يدخلون إلى كنيسة الرب"<sup>٤٦</sup>. وبالنسبة لك، إن كنت تريد نسلًا، فأقمه في الروح لأن "من يزرع في الروح فمِن الروح يحصد الحياة الأبدية"<sup>٤٧</sup>. وإن ابتغيت من تصاحبه، فلتصاحب الحكمة و"قل إن الحكمة هي أختك"<sup>٤٨</sup>، حتى تقول الحكمة عنك: "من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي"<sup>٤٩</sup>، فهذه الحكمة هي ربنا يسوع المسيح "الذي له المجد والقوة إلى أبد الأبدين. آمين."

<sup>٤٤</sup> انظر: تك ١٩ : ٢٠.

<sup>٤٥</sup> المقصود بالعلم هنا هو الكمال الأخلاقي، علم الحياة الروحية المطبقة، وليس العلم النظري.

<sup>٤٦</sup> انظر: خر ٣٤ : ٧؛ تث ٢٣ : ٣.

<sup>٤٧</sup> انظر: غل ٦ : ٨.

<sup>٤٨</sup> انظر: أم ٧ : ٤.

<sup>٤٩</sup> انظر: مت ١٢ : ٥٠.





العظة السادسة

# أَيْمَالِكُ وَسَارَةُ

كيف أراد أيمالك ملك الفلسطينيين أن يتخذ سارة زوجة له



## رواية الحادثة

١ تروي قصة سفر التكوين، التي قرأت لنا توًّا، بعد ظهور ثلاثة الرجال، وعقب تدمير سدوم وصور لوط - سواء بسبب حسن استضافته للملاكين أو بفضل قرابته لإبراهيم - أن "إبراهيم رحل من هناك إلى أرض الجنوب"، وجاء عند ملك الفلسطينيين. ووفقًا للقصة، فقد اتفق إبراهيم مع سارة امرأته على ألا تقول إنها زوجته بل أخته<sup>٢</sup>، حتى أخذها أبيمالك الملك ليتزوجها. ولكن الله دخل إلى أبيمالك ليلاً وقال له: "أنت لم تمس هذه المرأة، وأنا لم أسمح لك بأن تمسها"<sup>٣</sup> إلى آخره. وبعد ذلك ردها أبيمالك إلى زوجها وعاتب في نفس الوقت إبراهيم على أنه لم يخبره بالحقيقة. ووفقًا للقصة أيضًا، فقد صلى إبراهيم لأبيمالك، بصفته نبي، "فشفى الرب أبيمالك وامرأته وجواريه"<sup>٤</sup>. وقد اهتم الله القدير بشفاء جوارى أبيمالك أيضًا لأنه، كما يقول الكتاب "قد صيرهن عواقر حتى لا تلدن"<sup>٥</sup>. وبسبب صلاة إبراهيم استطعن أن يلدن.

## وجوب تفسير هذا النص روحياً

إن كل من لا يريد أن يدرك ويفهم هذه الرواية إلا بحسب الحرف، فمن الأفضل له أن يجتمع مع اليهود من أن يجتمع مع المسيحيين. ولكن إن أراد أن يكون مسيحياً وأن يكون تلميذاً لبولس الرسول، فليسمعه يقول إن "الناموس روحي"<sup>٦</sup>، ويعلن أنه حين كان [الناموس]

١ انظر: تك ٢٠: ١.

٢ انظر: تك ٢٠: ٢ وما بعده.

٣ انظر: تك ٢٠: ٦، ٩.

٤ انظر: تك ٢٠: ١٧.

٥ انظر: تك ٢٠: ١٨.

٦ انظر: رو ٧: ١٤.

يتحدث عن إبراهيم وزوجته وبنيه، فهذه كانت "أشياء مجازية"<sup>٧</sup>. ولكن بالطبع ليس من السهل على أي منا أن يتمكن من إيجاد أي أنواع من المجاز تحتوي هذه النصوص عليها، إلا أننا يجب أن نصلي حتى "يرفع البرقع" عن قلبنا، نحن الذين نجتهد كي "نتوجه إلى الرب"<sup>٨</sup> لأن "الرب هو الروح"<sup>٩</sup>، وحتى يرفع بنفسه برقع الحرف ويطلق نور الروح، وهكذا نستطيع أن نقول "ونحن ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، نتغير إلى الصورة عينها المشعة أكثر فأكثر، كما من روح الرب"<sup>١٠</sup>.

### سارة رمز الفضيلة

أعتقد إذاً أن سارة التي يعني اسمها "متقدم" أو "مبدأ مسيطر" تمثل (ἀρετή) أي الفضيلة الأخلاقية<sup>١١</sup>. وقد اقترنت إذاً هذه الفضيلة وارتبطت بالرجل الحكيم الوفي، مثل الحكيم الذي قال من جانبه عن الحكمة: "التمست أن أتخذها لي عروساً"<sup>١٢</sup>. لذلك قال الله لإبراهيم: "كل ما تقوله لك سارة تممه"<sup>١٣</sup>، وهذا القول لا يختص بالعلاقة الجسدية، لأن الله قد قال للمرأة هذه العبارة بخصوص زوجها: "وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك"<sup>١٤</sup>. فإذا كان الكتاب المقدس قد جعل الرجل سيد المرأة، فكيف أمكنه أن يقول

<sup>٧</sup> انظر: غل ٤: ٢٤.

<sup>٨</sup> انظر: ٢ كو ٣: ١٦.

<sup>٩</sup> انظر: ٢ كو ٣: ١٧.

<sup>١٠</sup> انظر: ٢ كو ٣: ١٨.

<sup>١١</sup> لقد كان هذا هو التفسير الشائع، فنجد فيلو يقول في (PHILON, De Abraham, 99):

"لقد سمعت أن الرجل هو رمزاً الروح المثابرة على عملها... وأن المرأة كانت الفضيلة - إذ إن اسمها بالكلدانية سارة وبال يونانية "ملكة" - بما أنه لا يوجد شيء اسمي أو مختص بالقيادة أكثر من الفضيلة." كما نجد ديديموس يعتبر المرأة رمزاً للوصية.

<sup>١٢</sup> انظر: حك ٨: ٢.

<sup>١٣</sup> انظر: تك ٢١: ١٢.

<sup>١٤</sup> انظر: تك ٣: ١٦.

هذه المرة للرجل: "كل ما تقوله لك سارة تممه<sup>١٥</sup>" ذلك أنه حين نتخذ الفضيلة زوجة لنا، فيجب أن نتمم كل ما توحى به.

### الفضيلة من الممكن نقلها للآخرين

لا يريد إبراهيم إذن أن تُدعى الفضيلة زوجته، فطالما دعونا الفضيلة زوجة فهي تكون شخصية ولا يمكن نقلها لأحد. وطالما كنا نسير نحو الكمال، فمن الطبيعي أن تكون الفضيلة الأخلاقية فينا وتكون ملكنا الخاص، ولكن حين نصير كاملين بما يكفي بحيث نكون قادرين على تعليم الآخرين أيضاً<sup>١٦</sup>، فيجب ألا نحفظ بعد بالفضيلة كزوجة في أحضاننا ولكن نقدمها كأخت للزوج بآخرين يشتهونها. وهكذا ستقول الكلمة الإلهية لهؤلاء الكاملين: "قل عن الحكمة أنها أختك<sup>١٧</sup>". لهذا السبب قال إبراهيم أيضاً عن سارة إنها أخته، فإنه إذ وصل بالفعل إلى الكمال، ترك إذاً الفضيلة لمن يشتهيها.

### نقاء القلب هو شرط الوصول إلى الفضيلة الروحية

٢ ومع ذلك، لقد أراد فرعون هو أيضاً قديماً أن يأخذ سارة، لكنه لم يطلبها "بقلب نقي<sup>١٨</sup>"، فإن الفضيلة لا يمكن أن تُعطى إلا بنقاوة قلب. لذا يخبرنا الكتاب أن "الرب ضرب فرعون بضربات مخيفة وعظيمة<sup>١٩</sup>". ولا يمكن في الواقع أن تسكن الفضيلة مع المدمر (فرعون) لأنه هكذا يُفسر اسمه في لغتنا. ولكن لتأمل في كلام أبيمالك للرب: "أنت تعلم، يا سيد، أني بقلب نقي فعلت هذا<sup>٢٠</sup>"،

١٥ انظر: تك ٢١: ١٢.

١٦ انظر: تي ٢: ٢.

١٧ انظر: أم ٧: ٤.

١٨ انظر: تك ٢٠: ٥.

١٩ انظر: تك ١٢: ١٧.

٢٠ انظر: تك ٢٠: ٤ - ٥.

فأبيمالك هذا يتصرف بشكل مختلف تماماً عن فرعون، فهو ليس جاهلاً ولا فظاً، ويعلم أنه لا بد من قلب نقي<sup>٢١</sup> للاستعداد للفضيلة. لذلك فالأنه أراد أن يأخذ الفضيلة بقلب نقي، شفاه الله بصلاة إبراهيم، وليس هو فقط بل وجواريه أيضاً.

### الفضيلة الطبيعية هي استعداد للفضيلة الإلهية

لكن ماذا يعني ما أضافه الكتاب "ولم يدعه الرب يمسه؟" فإذا كانت سارة تمثل الفضيلة الروحية وإذا كان أبيمالك "بقلب نقي" قد أراد أن يتخذ من الفضيلة زوجة له، فلماذا يقول الكتاب إن "الرب لم يدعه يمسه؟" إن اسم أبيمالك يعني (أبي ملك). ويبدو لي إذاً أن أبيمالك يمثل مجتهدى وحكماء هذا الدهر المنكبين على الفلسفة، دون أن يصلوا بعد لا بشكل كامل ولا تام إلى مثال التقوى ولكنهم يعرفون أن الله هو أب وملك كل الأشياء، أو بعبارة أخرى أنه خلق هذا الكون وأنه يديره. وعلى هذا الصعيد الأخلاقي، أي على صعيد الفلسفة الأخلاقية، يجب الاعتراف بأن هؤلاء الأشخاص قد نموا لدرجة معينة من نقاوة القلب وبأنهم بحثوا بكل قدرتهم وبكل حماسهم عن إلهام الفضيلة الإلهية، ولكن "الله لم يسمح لهم أن يمسه"، لأنه لم يكن إبراهيم - الذي بالرغم من عظمته ليس سوى خادم - بل المسيح هو المعين لإعطاء هذه النعمة للأمم. لذلك فبالرغم من تعجل إبراهيم في أن يتم فيه وبه ما قيل له "ويتبارك في نسلك جميع الأمم"<sup>٢٢</sup>، فإن الوعد قد تحقق في إسحق، أي في المسيح وفقاً لما يقوله الرسول: "لم يقل: وفي أنساله كأنه عن كثيرين، بل كأنه عن واحد: وفي نسلك الذي هو المسيح"<sup>٢٣</sup>.

<sup>٢١</sup> انظر: تك ٢٠: ٥.

<sup>٢٢</sup> انظر: تك ٢٢: ١٨.

<sup>٢٣</sup> انظر: غل ٣: ١٦.

## امرأة أبيمالك رمز الفلسفة

٣ ومع ذلك، "شفى الله أبيمالك وامراته وجواريه"<sup>٢٤</sup>. وفي رأبي أنه ليس دون سبب أن الكتاب، إذ لم يكتفِ بالإشارة إلى امرأة أبيمالك، قد ذكر أيضاً جواريه، ولا سيما في هذا المقطع "شفاهم الله فولدن لأنه كان قد صيرهن عواقر حتى لا يلدن"<sup>٢٥</sup>. وعلى قدر ما نستطيع أن يكون لنا رأي حول مثل هذه المقاطع الصعبة، أعتقد أنه بإمكاننا أن نجعل من امرأة أبيمالك لرمزاً للفلسفة الطبيعية ومن جواريتها لرمزاً للنظريات الجدلية المتنوعة التي تختلف بحسب المدارس<sup>٢٦</sup>.

### موت الناموس ومجيء المسيح سمح للأمم باقتناء الفضيلة

ويود إبراهيم مع ذلك أن ينقل أيضاً للأمم هبة الفضيلة الإلهية، ولكن لم يحن الوقت بعد لنعمة الله أن تنتقل من الشعب الأول إلى الأمم. لأن الرسول يقول، من وجهة نظر أخرى وبشكل آخر: "فإن المرأة مرتبطة بالناموس ما دام زوجها حياً. ولكن إن مات الزوج فهي حرة من الناموس، بحيث إنها لا تكون زانية إن صارت لزوج آخر"<sup>٢٧</sup>. فيجب إذن أن يموت حرف الناموس أولاً حتى تتزوج النفس بالروح؛ إذ قد صارت حرة إذاً، وتفوز بزواج العهد الجديد. ولكن الزمن الذي نعيش فيه هو زمن دعوة الأمم وموت الناموس، حتى تستطيع النفوس الحرة التي حررت من ناموس الزوج أن تتحد بعريس جديد، وهو المسيح. وإذا أردت أن أظهر لك كيف أن الناموس قد مات، فتأمل وانظر: أين هي الذبائح الآن؟ أين هو المذبح وأين الهيكل؟ أين التطهيرات؟ أين إجلال

<sup>٢٤</sup> انظر: تك ٢٠: ١٧.

<sup>٢٥</sup> انظر: تك ٢٠: ١٧ - ١٨.

<sup>٢٦</sup> حول دور الفلسفة الطبيعية بالنسبة لناموس الله، انظر العظة ١٤: ٣.

<sup>٢٧</sup> انظر: رو ٧: ٢ - ٣.



الفصح؟ ألم يموت الناموس إذاً في كل هذه الأشياء؟<sup>٢٨</sup> أو فليحتفظ إذاً أصدقاء ومؤيدي الحرف، إن استطاعوا، بحرف الناموس<sup>٢٩</sup>.  
ووفقاً لأسلوبنا المجازي إذاً، فإن فرعون، أي الانسان النجس المهلك، لم يكن يستطيع على الإطلاق أن يتخذ سارة، أي الفضيلة، زوجة له. أما أبيمالك، أي الانسان ذي الحياة النقية والفلسفية، فكان بإمكانه أن يفعل ذلك لأنه سعى في طلبها "بقلب نقي"<sup>٣٠</sup> ولكن "الوقت لم يكن قد أتى بعد"<sup>٣١</sup>، لذلك تبقى الفضيلة عند إبراهيم، وتبقى في الختان، إلى أن يأتي الوقت الذي تنتقل فيه الفضيلة الكلية والكاملة إلى كنيسة الأمم في المسيح يسوع ربنا الذي فيه يسكن جسدياً كل ملء اللاهوت<sup>٣٢</sup>.

### ولادة أبناء الكنيسة

والآن يلد بيت أبيمالك وجواريه؛ إذ قد شفاهم الرب، أبناءً للكنيسة. فهذا في الواقع هو الوقت الذي فيه "العاقرة تلد" ويكون فيه "أولاد المهجورة أكثر من التي لها زوج"<sup>٣٣</sup>، لأن الرب قد فتح رحم العاقرة وقد أصبحت ولوذاً لدرجة أن تلد "أمة دفعة واحدة"<sup>٣٤</sup>. ولكن القديسين أيضاً ينادون ويقولون: "يا رب، في مخافتك حبنا وولدنا

<sup>٢٨</sup> انظر عظات أوريجينيس على يشوع ٢: ١ "إذا رأيت اورشليم خربة، والمذبح خال، ولم تر في أي مكان لا ذبائح ولا تقدمات ولا كهنة ولا رؤساء كهنة ولا طقوس اللاويين: حين ترى توقف كل ذلك، قل: أن موسى خادم الرب قد مات."

<sup>٢٩</sup> هؤلاء المدافعين عن الحرف سيتم توبيخهم بنفس الكلمات في نهاية هذه العظة وفي العظة ١٣: ٣. ويشعر القاريء أنهم دائماً حاضرون في فكر أوريجينيس وهو يوجه كلامه إليهم حتى لو لم يقل ذلك صراحة. وكان أوريجينيس حريصاً على فصل المسيحية، الدين الروحي، عن التفسير الحرفي للكتاب المقدس الذي يعد بالنسبة له رجوعاً لدين ميت.

<sup>٣٠</sup> انظر: تك ٢٠: ٥.

<sup>٣١</sup> انظر: يو ٧: ٦.

<sup>٣٢</sup> انظر: كو ٢: ٩.

<sup>٣٣</sup> انظر: غل ٤: ٢٧؛ إش ٥٤: ١.

<sup>٣٤</sup> انظر: إش ٦٦: ٨.

ووضعنا روح خلاصك على الأرض<sup>٣٥</sup>، وهذا هو ما جعل بولس الرسول بطريقة شبيهة يقول: "يا أولادي الذين ألدتهم من جديد إلى أن يتصور المسيح فيكم<sup>٣٦</sup>". هؤلاء إذا هم البنون الذين تلدهم، هؤلاء هم الأبناء الذين تلدهم كل كنيسة الله، لأن "من يزرع في الجسد فمن الجسد يحصد الفساد"<sup>٣٧</sup>، لكن هؤلاء هم بنو الروح، من يقول عنهم بولس الرسول: "المرأة ستخلص بالولادة، شرط أن يثبت أولادها في الإيمان والعفة"<sup>٣٨</sup>.

فلتفهم إذاً كنيسة الله هكذا قصص النسل والولادة! ولتبين هكذا أفعال البطارقة بتفسيرات لائقة وجديرة بالاحترام! ولا تفسد أقوال الروح القدس بخرافات حمقاء ويهودية<sup>٣٩</sup>، ولكن تنسب لها معنى شريفاً تماماً، أخلاقياً تماماً ونافعاً وإلا، فأني بناء لنا من أن نقرأ أن إبراهيم، هذا البطريرك العظيم، لم يكذب فقط على أبيمالك الملك ولكن أيضاً سلمه حرمة زوجته؟ هل يوجد تنويراً في الاعتقاد بأن زوجة بطريرك بهذه العظمة، كادت تتدنس بموافقة زوجها؟ ليعتقد اليهود ذلك ومعهم محبي الحرف<sup>٤٠</sup> وليس الروح! أما نحن "فلنقرن الروحيات بالروحيات"<sup>٤١</sup>، ولنصر روحيين في كل من أعمالنا وفكرنا في المسيح يسوع ربنا "الذي له المجد والقوة إلى أبد الآبدين. آمين"<sup>٤٢</sup>.

<sup>٣٥</sup> انظر: إش ٢٦: ١٨.

<sup>٣٦</sup> انظر: غل ٤: ١٩.

<sup>٣٧</sup> انظر: غل ٦: ٨.

<sup>٣٨</sup> انظر: ١ تي ٢: ١٥.

<sup>٣٩</sup> انظر: ١ تي ٤: ٧، ١ تي ١: ١٤.

<sup>٤٠</sup> انظر: ٢ كو ٣: ٦.

<sup>٤١</sup> انظر: ١ كو ٢: ١٣.

<sup>٤٢</sup> انظر: ١ بط ٤: ١١.



العظة السابعة

مِيلَادُ إِسْحَاقَ وَفَطَامَةَ



## الروح القدس لا يسعى إلى "سرد القصص"

١ يقرأون لنا موسى في الكنيسة. فلنطلب إلى الرب، وفقاً لقول بولس الرسول، حتى لا يكون عندنا أيضاً "حين يقرأ موسى، برقعاً يغطي قلبنا".<sup>١</sup>

لقد قرأنا توماً أن إبراهيم ولد ابنه إسحق حين كان يبلغ من العمر مائة عام.<sup>٢</sup> "وقالت سارة: من يعلن لإبراهيم أن سارة ترضع ابناً؟" ثم يقول الكتاب "وإبراهيم ختن إسحق الولد في اليوم الثامن"، ثم يحتفل إبراهيم بميلاد هذا الولد ولكنه احتفل بيوم الفطام "وصنع وليمة عظيمة".<sup>٣</sup> وماذا بعد؟ هل نعتقد أن الروح القدس قد قصد أن يكتب قصصاً ويروي كيف تم فطام الولد وأنه كانت هناك وليمة عظيمة وكيف لعب الولد وكيف كان يعمل الأشياء الطفولية الأخرى؟ أم بالأحرى يجب أن نعتقد أن الروح القدس قد أراد أن يعطينا من هنا تعليماً إلهياً خليق بالجنس البشري أن يعرفه من فم الله؟

### الفطام الروحي

اسم إسحق يعني الضحك أو الفرح، فمن ذا يلد ابناً كهذا؟ هو بالتأكيد من قال عن هؤلاء الذين ولدتهم بالإنجيل: "لأنكم أنتم فرحي وإكليل مجدي"<sup>٤</sup>، وحين يُفطم مثل هؤلاء البنين نصنع وليمة وتكون هناك فرحة عظيمة، بسبب هؤلاء الذين "لا يحتاجون بعد إلى لبن بل إلى طعام قوي، الذين بحسب قدرتهم على تناول، لديهم

١ انظر: ٢ كو ٣: ١٥.

٢ انظر: تك ٢١: ٥.

٣ انظر: تك ٢١: ٧.

٤ انظر: تك ٢١: ٤.

٥ انظر: تك ٢١: ٨.

٦ انظر: ١ تس ٢: ٢٠، ١٩.

الحواس مدرية على تمييز الخير والشر.<sup>٧</sup> تُقام وليمة عظيمة لمثل هؤلاء عند الفطام. لكن لا يمكن أن تُقام وليمة ولا أن تكون هناك بهجة بالنسبة للذين يقول عنهم الرسول: "أعطيتكم لبنًا للشرب لا طعامًا قويًا لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون والآن أيضًا لا تستطيعون. ولم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين، كأطفال في المسيح".<sup>٨</sup> وعلى من يريدون أن تفسر الكتابات الإلهية بالتفسير الحريف أن يقولوا لنا ماذا يعني: "أعطيتكم لبنًا للشرب لا طعامًا قويًا لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون والآن أيضًا لا تستطيعون. ولم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين، كأطفال في المسيح".<sup>٩</sup> هل يمكننا أن نأخذ هذه الآية حرفيًا؟

### تفسير القديس بولس الرسول

٢ لكن لنعد الآن إلى الموضوع الأساسي الذي ابتعدنا عنه. لقد فرح إبراهيم و"صنع وليمة عظيمة يوم فطام ابنه إسحق". ثم يلعب إسحق، وهو يلعب مع إسماعيل، فاغتازت سارة من أن ابن الجارية يلعب مع ابن المرأة الحرة، وتصورت أن هذا اللعب هو لهلاكها، وقدمت هذه المشورة لإبراهيم: "اطرد الجارية وابنها، لأن ابن الجارية لا يرث مع ابني إسحق".<sup>١٠</sup> وليس أنا الذي سيشرح كيف ينبغي فهم كل ذلك ولكن قد سبق الرسول وشرحه قائلاً: "قولوا لي، أنتم الذين تقرؤون الناموس: أ لستم تسمعون الناموس؟ لأنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان، واحد من الجارية والآخر من الحرة، لكن الذي من الجارية ولد حسب الجسد، والذي من الحرة فبالوعد. وكل ذلك رمز".<sup>١١</sup> فماذا إذا؟

<sup>٧</sup> انظر: عب ٥: ١٢، ١٤

<sup>٨</sup> انظر: ١ كو ٣: ١ - ٢.

<sup>٩</sup> انظر: ١ كو ٣: ١ - ٢.

<sup>١٠</sup> انظر: تك ٢١: ١٠.

<sup>١١</sup> انظر: غل ٤: ٢١ - ٢٤.

أ لم يولد إسحق إذن بحسب الجسد؟ أ لم تلده سارة؟ أ لم يتم ختانه؟ أ لم يلعب مع إسماعيل بالجسد؟ هذا هو تحديداً ما يدعش في تفسير الرسول: أن ما حدث بلا شك في الجسد يعتبره رمزياً. ومن هنا نتعلم كيف نتعامل مع باقي المقاطع، ولا سيما التي لا تقدم فيها القصة التاريخية شيئاً جديراً بالناموس الإلهي<sup>١٢</sup>.

### الفرق بين سارة وهاجر

إذاً إسماعيل، ابن الجارية، وُلد "حسب الجسد"، في حين أن إسحق، ابن المرأة الحرة، لم يولد بحسب الجسد ولكن "بحسب الموعد". ويقول الرسول بصددهم إن "هاجر ولدت للعبودية"<sup>١٣</sup> شعباً جسدياً، في حين أن سارة، المرأة الحرة، ولدت شعباً غير جسدي ولكن شعباً دُعي في الحرية<sup>١٤</sup>، "الحرية التي حرره المسيح بها"<sup>١٥</sup>. لقد قال المسيح نفسه في الواقع: "إن حرركم الابن فبالحقيقة تصيرون أحراراً"<sup>١٦</sup>. ولنر ما يضيفه الرسول في عرضه: "ولكن كما كان حينئذ ابن الجسد يضطهد ابن الروح، هكذا الآن أيضاً"<sup>١٧</sup>. انظر كيف يعلمنا الرسول أنه في كل شيء الجسد يقاوم الروح سواء كان الشعب الجسدي (اليهود) الذي يقاوم الشعب الروحي (المسيحيين)، أو الذين بيننا لا يزالون جسديين ويقاومون الروحانيين. لأنك أنت أيضاً إن عشت "حسب الجسد" وإن سلكت "حسب الجسد"

<sup>١٢</sup> يريد أوريجينيس أن يوضح أن القصة التاريخية والرمز متكاملان. وهو يرى أن التفسير الحرفي لا يقدم دائماً المعنى السامي الذي يسعى للوصول إليه. ومنذ ظهور أول ترجمة لتلك العظات باللغة الفرنسية، تم تناول مفهوم أوريجينيس لمعاني الكتاب المقدس العديد من المرات.

<sup>١٣</sup> انظر: غل ٤ : ٢٤.

<sup>١٤</sup> انظر: غل ٥ : ١.

<sup>١٥</sup> انظر: غل ٥ : ١٣.

<sup>١٦</sup> انظر: يو ٨ : ٣٦.

<sup>١٧</sup> انظر: غل ٤ : ٢٩.



تكون ابناً لهاجر، وبالتالي أنت تقاوم من يعيشون "حسب الروح". لكن إذا بحثنا أيضاً داخل أنفسنا لوجدنا أن "الجسد له شهوات مضادة للتي للروح والروح ضد شهوات للجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر"<sup>١٨</sup>، ولوجدنا أن "هناك ناموساً في أعضائنا يقاوم ناموس ذهننا، ويسببنا إلى ناموس الخطية"<sup>١٩</sup>. فهل ترى كيف أن حروب الجسد ضد الروح خطيرة؟ وهناك أيضاً حرب أخرى قد تكون أشد من كل ذلك، وهي التي تأتي من أن الذين يفهمون الناموس جسدياً يقاومون الذين يفهمونه روحياً ويضطهدونهم. لماذا؟ لأن "الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله، هي عنده جهالة، ولا يقدر أن يفهم أنه إنما يحكم فيه بالروح"<sup>٢٠</sup>.

ولكن إذا كنت تحمل داخلك "ثمر الروح الذي هو: الفرح، المحبة، السلام، طول الأناة"<sup>٢١</sup>، فأنت تريد - إذ لا تكون مولوداً بحسب الجسد ولكن بحسب الوعد - أن تكون إسحق، وأنت ابن المرأة الحرة"<sup>٢٢</sup>، شرط أن تستطيع القول مثل بولس الرسول "إن كنا نسلك في الجسد، فلسنا حسب الجسد نحارب - لأن أسلحة محاربتنا ليست جسدية، بل قدرة أمام الله على هدم حصون - ونهدم ظنوناً وكل علو يرتفع ضد معرفة الله"<sup>٢٣</sup>. وإن تمكنت من أن تكون مستأهلاً لأن ينطبق عليك أيضاً باستحقاق قول الرسول "وأما أنتم فلستم في الجسد تعيشون بل في الروح إن كان روح الله يسكن فيكم"<sup>٢٤</sup>، وإن كنت تحيا إذاً بهذا الشكل، فلا تكون مولوداً حسب الجسد بل

<sup>١٨</sup> انظر: غل ٥ : ١٧ .

<sup>١٩</sup> انظر: رو ٧ : ٢٣ .

<sup>٢٠</sup> انظر: ١ كو ٢ : ١٤ .

<sup>٢١</sup> انظر: غل ٥ : ٢٢ .

<sup>٢٢</sup> انظر: غل ٤ : ٢٣ ، ٣٠ .

<sup>٢٣</sup> انظر: ٢ كو ١٠ : ٣ - ٥ .

<sup>٢٤</sup> انظر: رو ٨ : ٩ .

بحسب الروح بمقتضى الموعد، وتصير وارث المواعيد كما قيل "ورثة الله ووارثون مع المسيح"<sup>٢٥</sup>، ولن تكون وارثاً مع الذي "وُلد حسب الجسد" ولكن وارثاً مع المسيح، لأننا "إن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد، فالآن لا نعرفه بعد هكذا"<sup>٢٦</sup>.

### إسحق يلهو مع إسماعيل

٣ غير أننا إذا توقفنا عند المكتوب، فلا أدرك ما الذي دفع سارة أن تأمر بطرد ابن الجارية. فقد كان يلعب مع ابنها إسحق، فأى ضرر أو أذى كان من الممكن أن يسببه له أثناء اللعب؟ وكما لو لم يكن مقبولاً، في هذه السن، أن يلعب ابن الجارية مع ابن المرأة الحرة. ثم أنني أندعش أيضاً من أن الرسول قد أكد أن هذا اللعب كان اضطهاداً حين يقول: "ولكن كما كان حينئذ الذي ولد حسب الجسد يضطهد الذي حسب الروح، هكذا الآن أيضاً"<sup>٢٧</sup>؛ إذ إنه لا توجد إشارة إلى أي اضطهاد لإسماعيل ضد إسحق سوى لعب الأطفال الوحيد هذا. ولكن لنرى المعنى الذي أعطاه بولس الرسول لهذا اللعب وما أعاظ سارة.

لقد سبق أن قلنا في أثناء تفسير روحي إن سارة كانت تمثل الفضيلة<sup>٢٨</sup>، وعليه، إذا خادع الجسد، الذي شغل دوره إسماعيل الذي وُلد حسب الجسد، الروح التي هي إسحق، وجذبه بخدع مغرية، وإذا استماله بالملذات، وأضعفه بالشهوة، فإن مثل هذا اللعب بين الجسد والروح ينال على الأخص من سارة التي هي "الفضيلة"، ويرى بولس الرسول أن مثل هذه المخادعات تعد اضطهاداً مضمناً جداً.

<sup>٢٥</sup> انظر: رو ٨: ١٧.

<sup>٢٦</sup> انظر: ٢ كو ٥: ١٦.

<sup>٢٧</sup> انظر: غل ٤: ٢٩.

<sup>٢٨</sup> ارجع إلى العظة ٦: ١.

فلا تظن إذن، أنت يا من تسمع، أنه لا يوجد اضطهاد إلا حين يرغمك عنف الوثنيين على أن تذبح للأوثان<sup>٢٩</sup>، ولكن إذا حدث وجذبتك شهوة الجسد، إذا أغواك جمال المتعة الحسية، فاهرب منها، أنت يا من هو ابن الفضيلة، كما من اضطهاد شديد جداً. لذلك يقول الرسول أيضاً "اهربوا من الزنا"<sup>٣٠</sup>، وبالمثل إن خدعك الظلم ليجعلك تحكم حكماً جائراً اعتباراً لشخص قوي<sup>٣١</sup> تؤثر فيك مكانته، فيجب عليك أن تفهم أنك تحت ستار اللعب ضحية اضطهاد الظلم المخادع. وبالمثل، بالنسبة لكل أنواع الشرور، مهما بدت حلوة ولطيفة وأشبهت اللعب، فاعتبرها بمثابة اضطهاد للروح بما أن الفضيلة هي التي أُضيرت في كل هذا.

### ابن الجارية وابن المرأة الحرة

٤ هناك إذاً ابنان لإبراهيم: "واحد من الجارية والآخر من الحرة"<sup>٣٢</sup>، الاثنان ابنان لإبراهيم وإن لم يكن كلاهما ابني المرأة الحرة، لذلك وإن لم يصر من وُلد من الجارية وارثاً مع ابن المرأة الحرة، فإنه قد حصل مع ذلك هو أيضاً على خيرات ولم يُصرف خالياً، فهو أيضاً قد حصل على بركة، ولكن ابن المرأة الحرة قد نال الموعد. لقد صار هو أيضاً "أمة كبيرة"<sup>٣٣</sup> ولكن الآخر قد صار الشعب المختار.

ومن الناحية الروحية إذاً، كل من يقبلون بالإيمان إلى معرفة الله

<sup>٢٩</sup> يجب الإشارة إلى هذا التلميح الواضح جداً للاضطهادات الوثنية، فقد كان المجتمع المسيحي في هذا الوقت يعيش تحت وطأة هذا التهديد، وهو ليس اضطهاداً وهمياً؛ إذ إن أوريجينيس نفسه قد تعرض لآثاره عقب سنة ٢٥٠م. وقد كتب أوريجينيس كتاب "الحث على الاستشهاد" في بداية اضطهاد الإمبراطور مكسيميان (٢٣٥م - ٢٣٨م). وتأتي العظوات على سفر التكوين في عصر الإمبراطور داكوس. وسيقول أوريجينيس لاحقاً في العظة ٨: ٨ على سبيل المثال: "عندي شهوة الاستشهاد".

<sup>٣٠</sup> انظر: ١ كو ٦: ١٨.

<sup>٣١</sup> انظر: لا ١٩: ١٥.

<sup>٣٢</sup> انظر: غل ٤: ٢٢.

<sup>٣٣</sup> انظر: تك ٢١: ١٣.

يمكنهم أن يدعوا أبناء إبراهيم، ولكن هناك بينهم من يلتصقون بالله حباً، وآخرون خوفاً ورعباً من الدينونة القادمة. لذلك يقول يوحنا الرسول: "من خاف فهو ليس كاملاً في المحبة، بل المحبة الكاملة تطرد الخوف"<sup>٣٤</sup>، إذاً من "كان كاملاً في المحبة" فهو يولد من إبراهيم وهو ابن المرأة الحرة، أما من يحفظ الوصايا خوفاً من الدينونة العتيدة وخشية من العذاب القادم وليس عن محبة كاملة، فهذا يكون هو أيضاً ابناً لإبراهيم وينال أيضاً خيرات أي جزاء أعماله - لأن "كل من أعطى فقط أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد باسم تلميذ، فإنه لا يضيع أجره"<sup>٣٥</sup> - ولكنه مع ذلك أدنى من الكامل الذي يخدم لا في عبودية الخوف بل في حرية المحبة. وقد أسمعنا الرسول أمراً مشابهاً حين قال: "ما دام الوارث قاصراً، لا يفرق شيئاً عن العبد، مع كونه صاحب الجميع، بل هو تحت أوصياء أو وكلاء إلى الوقت المحدد من الأب"<sup>٣٦</sup>. "يكون إذاً طفلاً من "يتناول اللبن" ولا يقدر أن يتذوق كلام البر" ولا أن يتناول "الطعام القوي"<sup>٣٧</sup> الذي للحكمة الإلهية وعلم الناموس، ومن لا يستطيع أن "يقارن الروحيات بالروحيات"<sup>٣٨</sup>، ومن لا يقدر أيضاً أن يقول "لما صرت رجلاً تركت ما للطفل"<sup>٣٩</sup>، فهذا إذاً "لا يفرق شيئاً عن العبد"<sup>٤٠</sup>. "ولكن إن اتجه نحو الكمال" تاركاً التعليم الأولي عن المسيح"<sup>٤١</sup>، وطلب ما فوق، حيث المسيح جالس عن يمين الله، ويهتم بما فوق لا ما على الأرض"<sup>٤٢</sup>، إن لم "تتعلق أنظاره بالأشياء

<sup>٣٤</sup> انظر: ١ يو ٤: ١٨.

<sup>٣٥</sup> انظر: مت ١٠: ٤٢.

<sup>٣٦</sup> انظر: غل ٤: ١ - ٢.

<sup>٣٧</sup> انظر: عب ٥: ١٣، ١٤.

<sup>٣٨</sup> انظر: ١ كو ٢: ١٣.

<sup>٣٩</sup> انظر: ١ كو ١٣: ١١.

<sup>٤٠</sup> انظر: غل ٤: ١.

<sup>٤١</sup> انظر: عب ٦: ١.

<sup>٤٢</sup> انظر: كو ٣: ١ - ٢.

التي ترى، بل بالتي لا ترى"<sup>٤٣</sup>، إن لم يتبع في الكتابات الإلهية "الحرف الذي يقتل" ولكن "الروح الذي يحيي"<sup>٤٤</sup>، فحينئذ يكون دون أدنى شك من بين هؤلاء الذين "لم يأخذوا روح عبودية ليكونوا بعد في الخوف، بل روح تبني فيه يصرخون: يا أبا الأب"<sup>٤٥</sup>.

### قرية اماء التي كانت بحوزة هاجر في الصحراء

٥ لنرى الآن ما فعله إبراهيم بعد أن عبّرت سارة عن سخطها. لقد طرد الجارية وابنها ولكنه أعطاها مع ذلك قرية ماء<sup>٤٦</sup>، فالأم في الواقع لا تملك بئر ماء حي ولم يكن الابن قادراً على أن يسحب الماء من بئر<sup>٤٧</sup>. أما إسحق، فلديه آبار مياه والتي من أجلها خاض حروباً مع الفلسطينيين<sup>٤٨</sup>. لكن إسماعيل كان يشرب من قرية وهذه القرية تنفذ بطبيعة الحال، ولذلك عطش ولم يجد آباراً.

أما أنت "نظير إسحق، ابن الموعد"<sup>٤٩</sup>، "اشرب مياه يبابيعك، لا تفض مياهك خارج آبارك، لتجري مياهك على ساحاتك"<sup>٥٠</sup>. غير أن "الذي ولد حسب الجسد"<sup>٥١</sup>، يشرب الماء من القرية، والماء نفسه ينقصه كما ينقص في الكثير من المناسبات. القرية هي حرف الناموس التي يشرب منها هذا الشعب الجسدي ويستخرج منها معناه لأي معنى الحرف، وكثيراً ما يغيب عنه هذا الحرف ولا يمكن أن يكون له تفسيراً؛ ويبدو التفسير التاريخي في الكثير من الموضوعات

<sup>٤٣</sup> انظر: ٢ كو ٤ : ١٨ .

<sup>٤٤</sup> انظر: ٢ كو ٣ : ٦ .

<sup>٤٥</sup> انظر: رو ٨ : ١٥ .

<sup>٤٦</sup> انظر: تك ٢١ : ١٤ .

<sup>٤٧</sup> انظر: تك ٢١ : ١٩ .

<sup>٤٨</sup> انظر: تك ٢٦ : ١٥ وما بعده وانظر لاحقاً العظة (١٣ : ١) .

<sup>٤٩</sup> انظر: غل ٤ : ٢٨ .

<sup>٥٠</sup> انظر: أم ٥ : ١٥ - ١٦ .

<sup>٥١</sup> انظر: غل ٤ : ٢٩ .

قاصراً<sup>٥٢</sup>. أما الكنيسة فهي تشرب من المنابع الإنجيلية والرسولية التي لا تنضب أبداً والتي "تندفق على ساحاتها" لأنها تفيض دائماً وتسيل في مساحات التفسير الروحي الواسعة. وهي تشرب أيضاً من الآبار حين تنقل وتنقب عن معنى أكثر عمقاً في الناموس. وأعتقد أيضاً أن ربنا ومخلصنا، إكراماً لهذا السر، كان يتكلم مع السامرية، حين كان يقول لها كما لو كان يتحدث مع هاجر نفسها: "كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً، ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد"<sup>٥٣</sup>. فقالت هذه للمخلص: "يا سيد أعطني من هذا الماء، لكي لا أعطش ولا آتي إلى هنا لأستقي"<sup>٥٤</sup>، فقال لها الرب: "من يؤمن بي يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى الحياة الأبدية"<sup>٥٥</sup>.

### الله يفتح أعين هاجر

٦ إذاً "كانت هاجر هائمة على وجهها في الصحراء" مع ولدها وكان الولد يبكي، فطرحته هاجر على الأرض قائلة: "لا أريد أن أنظر موت ابني"<sup>٥٦</sup>، ثم، حين ترك الولد وكأنه قد أوشك على الموت بالفعل وحين بكى، اقترب منها ملاك الرب وفتح أعين هاجر فأبصرت بئر ماء حي<sup>٥٧</sup>. فكيف نوفق هذا مع القصة؟ أين نجد أن أعين هاجر كانت مغلقة وانفتحت بعد ذلك؟ أليس التفسير الروحي والسري هنا أوضح من النهار؟ ها هو [التفسير الروحي والسري]: إن الشعب الذي يحيا بحسب الجسد قد رُفض ويرقد في الجوع

<sup>٥٢</sup> انظر بعض الأمثلة للقرات التي يبدو فيها التفسير التاريخي قاصراً في العظة ٢: ٦.

<sup>٥٣</sup> انظر: يو ٤: ١٣ - ١٤.

<sup>٥٤</sup> انظر: يو ٤: ١٥.

<sup>٥٥</sup> انظر: يو ٤: ٤٧؛ يو ٤: ١٤.

<sup>٥٦</sup> انظر: تك ٢١: ١٤، ١٦.

<sup>٥٧</sup> انظر: تك ٢١: ١٩.

والعطش، وهو يعاني ليس من جوع إلى الخبز ولا من عطش إلى الماء ولكن من عطش إلى كلمة الله<sup>٥٨</sup>، إلى أن تفتتح عيون المجمع، السبب الذي لأجله يقول الرسول أن هناك "سراً" هو أن "العمى قد أصاب جزءاً من إسرائيل إلى أن تدخل جموع الأمم، وحينئذ سيخلص جميع إسرائيل<sup>٥٩</sup>". هذا هو إذاً العمى عند هاجر التي ولدت حسب الجسد، والذي يبقى فيها إلى أن يرفع ملاك الله "برقع الحرف<sup>٦٠</sup>" وترى الماء "الحي". واليوم يرقد اليهود حول البئر نفسه لكن أعينهم مغلقة ولا يستطيعون الشرب من آبار الناموس والأنبياء.

ولنحترس نحن أيضاً لأننا كثيراً ما نرقد حول بئر الماء الحي، أي الكتابات الإلهية، ونتوه في وسطها. نحن لدينا الأسفار ونقرأ فيها، ولكننا لا نذهب حتى نصل إلى المعنى الروحي. وإذا كان لا بد من الدموع ومن الصلاة المستمرة حتى يفتح لنا الرب أعيننا، فذلك لأن الأعميين الجالسين عند أريحا لما تكن أعينهما لتفتحان لو لم يكونا قد دَعَوَا الرب بصراخهما<sup>٦١</sup>. ولكن ماذا أقول حتى يفتح أعيننا وهي مفتوحة بالفعل؟ لأن يسوع قد جاء ليفتح عيون العمى<sup>٦٢</sup>. لقد فُتحت أعيننا إذن ورفُع البرقع الذي كان يغطي حرف الناموس، لكنني أخشى أن نغلقها نحن بأنفسنا من جديد بنوم أعمق، حين نتوقف عن السهر في الفهم الروحي، ولا ننشغل بنزع النوم عن أعيننا ولا بتأمل الروحيات فنصبح في خطر التوهان مع الشعب الجسداني على الرغم من موقفنا الذي يجعلنا قريباً جداً من الماء نفسه. ولكن لنسهر بالحري إذن مع النبي قائلين: "لن أعطي نعاساً لعيني ولا غفوة

<sup>٥٨</sup> انظر: عا ٨: ١١.

<sup>٥٩</sup> انظر: رو ١١: ٢٥. لاحظ اختلاف كلمة "العمى" التي استخدمها أوريجينيس عن كلمة "القساوة" الواردة في نص الكتاب المقدس.

<sup>٦٠</sup> انظر: ٢ كو ٣: ١٦.

<sup>٦١</sup> انظر: مت ٢٠: ٣٠.

<sup>٦٢</sup> انظر: إش ٤٢: ٧.

لأجفاني ولا راحة لرأسي، إلا حين أجد موضعاً للرب، ومسكناً لإله  
يعقوب<sup>٦٣</sup>، "له المجد والقوة إلى أبد الأبد. آمين<sup>٦٤</sup>".

---

<sup>٦٣</sup> انظر: مز ١٣١: ٤ - ٥ (حسب السبعينية).

<sup>٦٤</sup> انظر: ١ بط ٤: ١١؛ رؤ ١: ٦.





العظة الثامنة

ذِيحْتَا اِبْرَاهِيْمَ

إبراهيم يقدم ابنه إسحق



## اختبار إيمان المؤمنین

١ افتحوا آذانكم هنا، أنتم يا من اقتربتم من الله، ويا من تفتخرون بكونكم مؤمنين، وتأملوا بعناية أكبر كيف يتم، في القصة التي قرأت لنا تواء، اختبار إيمان المؤمنین. و يقول الكتاب: "وحدث بعد هذا الكلام أن الله امتحن إبراهيم وقال له: إبراهيم، إبراهيم. فقال: هاأنذا<sup>١</sup>". لاحظوا كل تفصيل من الكتاب، ففي كل تفصيل هناك كنز وذلك لمن يعرف أن يحفر عميقاً، وربما أيضاً في الأماكن التي لا نظن أن جواهر الأسرار النفيسة تختبئ فيها<sup>٢</sup>.

## اسم إبراهيم ووعده الله له

الرجل الذي نتحدث عنه كان يدعى أولاً أبرام، ولا نقرأ في أي

<sup>١</sup> انظر: تك ٢٢: ١.

<sup>٢</sup> هذه العظة الرائعة تنبض بالمشاعر العميقة وتقدم لنا بأسلوب بسيط، بدون مغالاة أدبية، الصراع المأسوي الذي دار في نفس إبراهيم بين مشاعر الأبوة من جهة وواجب طاعة الله من جهة أخرى. وتعتبر هذه العظة مستنداً قيماً يمكننا من خلاله التعرف على شخصية أوريجينيس، فهو لم يكن فقط إخصائياً في الجدل أو معلماً لا يكل للدين أو رجلاً متلهفاً لرؤية الله، ولكنه له أيضاً قلب حساس ورحيم، وروح تكشف أصدائها الرقيقة والمتحفظة في ذات الوقت عن الغنى والكرم. وقد تأثرت بهذه العظة أجيال كثيرة من المفسرين والرجال الروحيين، ويكفي ان نذكر هنا بعض الكتاب الذين اقتبسوا منه. فقد استلهم القديس غريغوريوس النيصي في *GRÉGOIRE DE NYSSÉ, Orat. De detaite Fili et Spiritus Sancti, PG 46, 568-573* من أوريجينيس وصف المخاوف الأبوية، ولكن أسلوبه كان أكثر تعقيداً من أسلوب أوريجينيس فانصرف، إذا صح القول، إلى تضخيم المشاعر؛ انظر على الأخص الوصف التمثيلي للحظات الأخيرة حين كان السيف معلقاً على رأس إسحق. أما القديس يوحنا ذهبي الفم في *CHRYSOStOME, Sur la Prov. De Dieu X, 8-18, SC 79, p. 154-163*، فقد عبر بنفس النبوة المنفطة عما أطلق عليه "طغيان الطبيعة" عند إبراهيم. وأكد القديس كيرلس السكندري في *CYRILLE D'ALEXANDRIE, Hom. Pasch. V, 6-7, PG 77, 489-* 497 على طاعة إبراهيم التي سميت على محبة الجسد، وقدم ثانياً العديد من أجزاء عظنتا هذه (أرسل الله الامتحان لإبراهيم وهو يعلم منفذه، وكان إبراهيم يؤمن بالقيامة). ويسجل القديس أمبروس في *AMBROISE, De Abrah. I, 66-79, CSEL 32, 1, 545-553*، التفاصيل التي تجعل الامتحان أكثر إيلاماً. أما القديس أغسطينوس في *AUGUSTIN, Enarr. In Ps. 30, serm. 2, 9, PL 36, 244-245 ; Ciu. Dei, 16, 32, PL 41, 510-511* فلم يعلق على تقديم إسحق ذبيحة بنفس طريقة أوريجينيس ولكنه ركز على إسحق بالأخص كرمز للمسيح.

موضع أن الله قد دعاه بهذا الاسم أو أنه قال له: أبرآم، أبرآم. فلم يكن من الممكن أن يدعوه الله بالاسم الذي كان سوف ينتزعه منه، ولكنه دعاه بالاسم الذي أعطاه له بنفسه. ولم يكتفِ بدعوته مرة واحدة بهذا الاسم بل قام بتكراره. وحين أجاب إبراهيم: "هأنذا"، قال له: "خذ ابنك العزيز، الذي تحبه، إسحق، وقدمه لي. واذهب إلى المنطقة المرتفعة وقربه هناك محرقة على أحد الجبال الذي أريك".<sup>٢</sup> وقد فسر الله لماذا أعطاه إسمًا ودعاه إبراهيم، فيقول الكتاب: "لأني أجعلك أبًا لجمهور من الشعوب".<sup>٤</sup> وقد أعطاه الله هذا الوعد في الوقت الذي كان لديه فيه إسماعيل ابنًا، ولكنه أكد له أن الوعد سيتحقق في ابن سيولد من سارة. لقد أيقظ في قلبه إذاً محبة ابنه ليس فقط بدافع النسل ولكن أيضًا برجاء الوجود.

### إيمان إبراهيم

وها أن هذا الابن الذي بالنسبة له (أي لإبراهيم) تستند عليه هذه المواعيد العظيمة والعجيبة، هذا الابن الذي بسببه أخذ اسم إبراهيم، أن "الرب يأمر بأن يقدمه له محرقة على أحد الجبال". فماذا تقول عن هذا، يا إبراهيم؟ أي نوع من الأفكار يختلج في قلبك؟ لقد تكلم صوت الله ليزرع إيمانك ويختبره. فماذا تقول عن هذا الأمر؟ وما رأيك فيه؟ هل تقاوم؟ هل تجتر أفكارك وتحسب في قلبك هكذا: إذا كان الوعد قد أُعطي لي في إسحق، وإذا قدمته محرقة، فلن يكون لي بعد وعد لأنتظره؟ أ لن تقف بالحري على هذا الاستدلال الآخر وتقول إن من أعطاك الوعد لا يمكن أن يكذب<sup>٥</sup> وإنه مهما حدث سيبقى الوعد؟

<sup>٢</sup> انظر: تك ٢٢: ٢.

<sup>٤</sup> انظر: تك ١٧: ٥.

<sup>٥</sup> انظر: عب ٦: ١٨.

في الحقيقة ولأنني "الأصغر"، فأنا لا أستطيع استبطان أفكار بطريك بهذه العظمة، ولا أن أعرف ما هي الأفكار التي تولدت بداخله وأية مشاعر أثارها صوت الله الذي جاء ليجره بأمره أن يذبح ابنه الوحيد. ولكن بما أن "أرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء"<sup>٧</sup>، فأعتقد أن بولس الرسول الذي كان قد عرف بالروح مشاعر إبراهيم وأفكاره قد أعلمنا بها قائلاً: "لم يتعثر إبراهيم في إيمانه حين قدم ابنه الوحيد الذي تستند عليه المواعيد، وحسب أن الله قادر بما يكفي حتى يقيمه من الأموات"<sup>٨</sup>. لقد سلمنا الرسول إذاً أفكار رجل أمين، حاسباً أن الإيمان بالقيامة قد بدأ يظهر حينئذ بالفعل من جهة إسحق. فقد كان إبراهيم إذاً يتوقع أن يقوم إسحق وكان يعتقد أن ما لم يكن قد حدث أبداً من قبل سوف يتحقق. فكيف إذن يمكن أن يكونوا "أبناء إبراهيم"<sup>٩</sup>، من لا يؤمنون بأن ما قد آمن إبراهيم بتحقيقه المستقبلي في إسحق قد حدث بالفعل في المسيح؟ بل لنتحدث بوضوح أكثر، كان إبراهيم يعلم أنه كان رمزاً للحقيقة الآتية، وكان يعلم أن السيد المسيح سيولد من نسله ليقدم ذبيحة، أكثر حقيقة، عن العالم كله ويقوم من الأموات.

## "خذ ابنك"

٢ يقول الكتاب "كان الله يمتحن إبراهيم وقال له: خذ ابنك العزيز، الذي تحبه"<sup>١٠</sup>، كما لو كان لم يكتفِ بقول "ابنك" فأضاف قائلاً: "العزيز". فليكن! ولكن لماذا أضاف أيضاً: "الذي تحبه؟ أنت ترى أن الامتحان صعب: فتعبيرات الحنان والمحبة التي تكررت عدة

٦ انظر: ١ كو ١٥: ٩.

٧ انظر: ١ كو ١٤: ٣٢.

٨ انظر: عب ١١: ١٧، ١٩.

٩ انظر: يو ٨: ٣٧.

١٠ انظر: تك ٢٢: ١ - ٢.

مرات إنما تُوَجَّح المشاعر الأبوية، حتى عند تذكر حبه الحي تتردد يد الأب في ذبح الابن وتثور كل جيوش الجسد ضد إيمان الروح. يقول: "خذ إذن ابنك العزيز، الذي تحبه، إسحق<sup>١١</sup>". لا بأس، يا رب، أن تُذكَرَ أبًا بابنه، ولكن أن تضيف "العزيز" لذلك الذي تأمر بذبحه، فهذا وحده ما يكفي لعذاب الأب! ولكنك تضيف من جديد: "الذي تحبه"، وها هي ثلاثة أمثال أكثر من العذابات للأب! فلماذا ينبغي أيضًا أن تذكر باسم إسحق؟ ألم يكن إبراهيم يعلم إذاً أن ابنه، ابنه العزيز، ابنه الذي يحبه، كان يدعى إسحق؟ ولكن لماذا يضيف ذلك في هذا الوقت؟ ذلك حتى يتذكر إبراهيم أنك سبق وقلت له: "في إسحق يكون النسل الذي سيحمل اسمك، وفي إسحق تتحقق لك المواعيد<sup>١٢</sup>". إذا كان الاسم مذكوراً فهذا ليوحي له بالارتياح في الوعود التي أعطيت له في هذا الاسم. ولكن كل ذلك لأنه كان يمتحن إبراهيم.

### "أذهب للمكان الذي أريك إياه"

٣ وماذا حدث بعد ذلك؟ يقول الكتاب: "أذهب إلى المنطقة المرتفعة، على أحد الجبال الذي أريك، وقدمه هناك محرقة<sup>١٣</sup>". لاحظوا في هذا التفصيل كيف تزداد التجربة. "أذهب إلى المرتفعة"، ألم يكن ممكناً أن يقاد إبراهيم مع ابنه أولاً إلى هذه المرتفعة، ويؤتى به أولاً على الجبل الذي كان الرب قد اختاره ثم يسمع هناك القول بتقديم ابنه؟ فقد قال له أولاً إنه يجب أن يقدم ابنه ثم أخذ بعد ذلك الأمر بالذهاب إلى المرتفعة وأن يصعد الجبل. فبأي قصد كان ذلك؟ ذلك حتى يتمزق إبراهيم بأفكاره وهو متقدم على الطريق وطوال المسير،

<sup>١١</sup> انظر: تك ٢٢: ٢.

<sup>١٢</sup> انظر: تك ٢١: ١٢؛ رو ٩: ٧، ٨؛ عب ١١: ١١؛ غل ٣: ١٦، ١٨؛ غل ٤: ٢٣.

<sup>١٣</sup> انظر: تك ٢٢: ٢.

وحتى يتعذب بالتناوب بالوصية التي تحصره وبحب ابنه الوحيد الذي يثور<sup>١٤</sup>. فمن أجل هذا إذا ألزمه أيضاً بالطريق وبصعود الجبل أيضاً حتى يفسح الوقت، أثناء كل هذه الأفعال، للمواجهة بين مشاعر الحنان الأبوي والإيمان، بين محبة الله ومحبة الجسد، بين إغراء الخيرات الحاضرة وانتظار الخيرات الآتية. لقد أرسل إبراهيم إذا إلى "المرتفعة"، إلا أن "المرتفعة" لا تكفي بالنسبة لبطريك سيتمم من أجل الرب عملاً عظيماً بهذا المقدار، فأمره بالصعود إلى الجبل أيضاً، أي أن يترك الأمور الأرضية؛ إذ يرتفع بالإيمان، ويصعد نحو الأمور العلوية.

### إبراهيم في الطريق

٤ "فقام إبراهيم إذا باكراً وشد على حماره وشقق حطباً للمحرقة، وأخذ ابنه إسحق واثنين من غلمانته، ووصل في اليوم الثالث إلى الموضع الذي حدده له الله<sup>١٥</sup>". قام إبراهيم باكراً - وربما أراد الكتاب بإضافة كلمة "باكراً" أن يظهر أنه كان هناك نور أولي يبرق بالفعل في قلبه - وشد على حماره وأعد الحطب وأخذ ابنه. فهو لم يتمهل ولم يتردد ولم يتحدث مع أي شخص عن نيته ولكنه انطلق على الفور في الطريق.

ويقول الكتاب "ووصل في اليوم الثالث إلى الموضع الذي حدده له الرب<sup>١٦</sup>". أترك الآن المعنى المستيكي الذي يحتوي عليه هذا اليوم الثالث جانباً وأتطلع إلى حكمة وقصد من يمتحنه. وهكذا، ففي الوقت الذي كان يجب أن يتم فيه كل شيء على الجبال، لم تكن هناك أية جبال في المنطقة المحيطة، وامتد السفر لمدة ثلاثة أيام، مزق القلق المزعج خلالها أحشاء الأب. وفي أثناء مهلة امتدت بهذا المقدار

<sup>١٤</sup> المقصود هنا هو الحب وليس الابن الوحيد.

<sup>١٥</sup> انظر: تك ٢٢: ٣.

<sup>١٦</sup> انظر: تك ٢٢: ٣.



لا بد وأن كان إبراهيم يتأمل ابنه، ويتناول الطعام معه، ولا بد وأن كان الصبي يحتضنه أثناء هذه الليالي كلها ويقترّب إلى صدره ويرتاح على قلبه. أنت ترى أن التجربة في أوجها، ومع ذلك يتناسب اليوم الثالث دائماً وبشكل خاص مع الأسرار: فعندما أُخرج الشعب من أرض مصر، فإنه في اليوم الثالث قدم ذبيحة لله وفي اليوم الثالث تطهر<sup>١٧</sup>، وحدثت قيامة الرب في اليوم الثالث<sup>١٨</sup>، وكثير من الأسرار الأخرى محتواة في هذا اليوم الثالث.

### الحوار مع الخدم

٥ يقول الكتاب "أبصر إبراهيم الموضع؛ إذ نظر من بعيد وقال لغلاميه: اجلسا أنتما ههنا مع الحمار، وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك، وبعدما نسجد نرجع إليكما"<sup>١٩</sup>. "صرف إبراهيم خادميه فلم يكن باستطاعتهما الصعود معه إلى المكان الذي عينه الله للمحرقة. ويقول: "اجلسا أنتما ههنا مع الحمار، وأما أنا والغلام فنذهب إلى هناك، وعندما نسجد نرجع إليكما"<sup>٢٠</sup>. قل لي، يا إبراهيم، هل تقول الحقيقة للغلامين بتأكيدك أنك ستسجد وبأنك سترجع مع الصبي، أم أنك تخذعهما؟ فإن كنت تقول الحقيقة، فإنك لن تقدم إذاً ابنك محرقة، ولكن إن كنت تخذعهما، فهذا لا يليق ببطيريك عظيم. فما هي إذن المشاعر التي تكشفها تلك الأقوال؟ يرد إبراهيم: أنا أقول الحقيقة وأقدم ابني محرقة، لذلك أنا أحمل من جهة الحطب معي وسأرجع إليكما من جهة أخرى مع الصبي لأنني أوّمن وهذا هو إيماني "أن الله قادر بما يكفي ليقيمه من الأموات"<sup>٢١</sup>.

<sup>١٧</sup> انظر: خر ١٩: ١١، ١٥، ١٦؛ ٢٤: ٥.

<sup>١٨</sup> انظر: مت ٢٧: ٦٣؛ مر ٨: ٣١.

<sup>١٩</sup> انظر: تك ٢٢: ٤ - ٥.

<sup>٢٠</sup> انظر: تك ٢٢: ٥.

<sup>٢١</sup> انظر: عب ١١: ١٩.

## الإعداد للمحرقة

٦ ويقول الكتاب بعد ذلك "فأخذ إبراهيم حطباً للمحرقة ووضع على ابنه إسحق، وأخذ بيده النار والسيف. فذهبا كلاهما معا<sup>٢٢</sup>". أن يحمل إسحق بنفسه الخشب للمحرقة فهذا رمز للمسيح الذي "حمل بنفسه صليبه"<sup>٢٣</sup>، غير أن حمل الحطب للمحرقة هو عمل الكاهن، فقد صار إذاً هو نفسه الذبيحة والكاهن في ذات الوقت، والقول الذي يلي ذلك يتعلق بهذا السر: "ذهبا كلاهما معاً"، ففي الوقت الذي كان إبراهيم يحمل فيه النار والسكين ليذبح، لم يكن إسحق يسير خلفه ولكن معه، مظهرًا بذلك أنه يقوم معه بالمثل بالوظيفة الكهنوتية.

وماذا بعد؟ يكمل الكتاب "قال إسحق لأبيه إبراهيم: يا أبي<sup>٢٤</sup>". ها هو فعلاً في تلك اللحظة وفي كلام الابن صوت التجربة. أتتصور إلى أي درجة يستطيع صوت الابن هذا الذي سيذبح أن يقلب الأحشاء الأبوية؟ لذلك فبالرغم من صلابة إيمانه، فقد رد لابنه كلمة محبة وأجاب: "ماذا يا ابني؟" فقال إسحق "هوذا النار والحطب، ولكن أين الشاة للمحرقة؟" فأجاب "سيتعهد الله بالشاة للمحرقة، يا ابني<sup>٢٥</sup>". يذهلني هذا الرد السديد والحكيم بما يكفي الذي لإبراهيم. لست أعلم ما كان يراه إبراهيم بالروح لأنه لا يتحدث عن الحاضر بل عن المستقبل قائلاً "سيتعهد الله بالشاة"<sup>٢٦</sup>. يرد على ابنه الذي كان يستعلم عن الحاضر بالمستقبل، ذلك أن الرب نفسه كان لا بد وأن

٢٢ انظر: تك ٢٢: ٦.

٢٣ انظر: يو ١٩: ١٧.

٢٤ انظر: تك ٢٢: ٧.

٢٥ انظر: تك ٢٢: ٧ - ٨.

٢٦ انظر: تك ٢٢: ٨.

يتعهد بالشاة في شخص المسيح، لأن "الحكمة نفسها بنت لها بيتاً<sup>٢٧</sup>" وهو ذاته "قد وضع نفسه حتى الموت<sup>٢٨</sup>". وكل ما ستقرأه عن المسيح ستكتشف أنه قد قام به طوعاً وليس إجباراً.

## في مكان تقديم الذبيحة

٧ "فواصل كلاهما طريقيهما، وأتيا إلى الموضع الذي حدده له الله<sup>٢٩</sup>". حين أتى موسى إلى الموضع الذي أراه الله إياه لم يكن لديه إذن بالصعود لكن قيل له أولاً: "حل سيور نعلي قدميك<sup>٣٠</sup>". أما بالنسبة لإبراهيم وإسحق فلا شيء من مثل هذا، لقد صعدا دون أن يتركا أحذيتيها. والسبب في ذلك هو على الأرجح أن موسى وعلى الرغم من أنه كان "عظيماً<sup>٣١</sup>" إلا أنه كان قادمًا من مصر وكانت لديه رباطات مائة معقودة عند رجله. أما عند إبراهيم وإسحق، فليس هناك مثل هذه الرباطات، ولكنهما "أتيا إلى الموضع المحدد".

وقد بنى إبراهيم المذبح ووضع عليه الحطب وربط الصبي واستعد ليدبحه<sup>٣٢</sup>. أنتم هنا في كنيسة الله عدد كبير من الآباء الذين يسمعونني. لنر! هل حصل أحد منكم، عند رواية القصة وحدها، ما يكفي من الحزم ومن قوة النفس ليتخذ - في حالة إذا ما أفقده الموت العام والذي لا يفلت منه أحد ابناً وحيداً ومحبوياً بحنو - إبراهيم كمثال ويضع عظمة النفس هذه نصب عينيه؟ فهو لا يلزمك بهذه الحركة البطولية بأن تقيد ابنك بنفسك وتقهره وتعد السيف وتذبح بنفسك ابنك الوحيد، فهو لا يطلب منك كل هذه الفروض،

٢٧ انظر: أم ٩: ١.

٢٨ انظر: في ٢: ٨.

٢٩ انظر: تك ٢٢: ٨ - ٩.

٣٠ انظر: خر ٣: ٥.

٣١ انظر: خر ١١: ٣.

٣٢ انظر: تك ٢٢: ٩، ١٠.

ولكن على الأقل كن موطد العزم بالروح؛ وإذ تكون ثابتاً بالإيمان قدم بفرح ابنك لله. لتكن كاهن حياة ابنك: لا يجب على الكاهن الذي يقوم بالذبح لله أن يبكي. فهل تريد أن ترى أن هذا مطلوب منك؟ يقول الرب في الإنجيل "لو كنتم أولاد إبراهيم، لكنتم تعملون أعمال إبراهيم<sup>٣٣</sup>". وإذن! ها هو عمل لإبراهيم. اعملوا الأعمال التي عملها إبراهيم ولكن دون حزن "لأن الله يحب من يعطي بسرور<sup>٣٤</sup>". وإن كنتم مهئين مثله لله، فسيقال لكم أنتم أيضاً "اصعد إلى المرتفعة وتسلق الجبل الذي أريك وهناك قدم لي ابنك<sup>٣٥</sup>". "قدم ابنك" لا في أعماق الأرض ولا في "وادي الدموع<sup>٣٦</sup>"، ولكن على قمم الجبال المرتفعة. أثبت أن إيمانك بالله أقوى من تعلقاتك الجسدية، لأن الكتاب يقول إن إبراهيم كان يحب ابنه إسحق، ولكنه جعل محبة الله قبل محبة الجسد، ووجد نفسه لا في أحشاء جسدية ولكن "في أحشاء المسيح<sup>٣٧</sup>"، أي في أحشاء الكلمة الإلهي والحقيقة والحكمة.

### ذبيحة الطاعة

٨ ويقول الكتاب "مد إبراهيم يده لياخذ السيف ويذبح ابنه، وناداه ملاك الرب من السماء وقال: إبراهيم، إبراهيم. فأجاب: هأنذا، فقال له الملاك: لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً، لأنني الآن علمت أنك تخاف الله<sup>٣٨</sup>". يؤاخذنا البعض عادةً فيما يتعلق بهذه العبارة<sup>٣٩</sup> على أن الله يقول إنه يعلم الآن أن إبراهيم يخاف الله، كما لو كان يجهله من قبل. كان الله يعلم هذا ولم يفته ذلك لأنه "يعرف كل الأشياء

<sup>٣٣</sup> انظر: يو ٨: ٣٩.

<sup>٣٤</sup> انظر: ٢ كو ٩: ٧.

<sup>٣٥</sup> انظر: تك ٢٢: ٢.

<sup>٣٦</sup> انظر: مز ٨٣: ٧ (حسب السبعينية).

<sup>٣٧</sup> انظر: في ١: ٨.

<sup>٣٨</sup> انظر: تك ٢٢: ١٠ - ١٢.

<sup>٣٩</sup> المقصود هنا هو مركبان. ارجع إلى العظة ٤: ٦.

قبل كونها<sup>٤٢</sup>، ولكن قد كُتبت هذه الأشياء من أجلك أنت لأنك أنت أيضًا تؤمن بالله ولكن إذا لم تتمم "أعمال الإيمان"<sup>٤٣</sup>، إذا لم تطع جميع الوصايا حتى وإن كانت أصعب، إذا لم تقدم ذبيحة وتُثبت أنك لا تفضل "أبًا أو أمًّا أو ابنًا"<sup>٤٤</sup> على الله، فلن يعترف بك كخائف الله ولن يقال عنك: "لأنني الآن علمت أنك تخاف الله"<sup>٤٥</sup>.

غير أنه لا بد أن نأخذ بالاعتبار أن الكتاب قد وضع هذا القول إلى إبراهيم في فم ملاك وأن ما يتبع يُظهر بوضوح أن هذا الملاك هو الرب<sup>٤٦</sup>. ونستنتج من ذلك أنه إذا كان قد عُرف كإنسان من خلال ما بدا منه<sup>٤٧</sup> بيننا نحن البشر، فهو بالمثل بين الملائكة قد عُرف من خلال ما بدا منه كملاك، وتفرح الملائكة في السماء اقتداءً به "لخاطئ واحد يتوب"<sup>٤٨</sup>، ويفتخرون بتقدم البشر، لأنهم بمثابة مديري أنفسنا، هم الذين، "ما دنا أولادًا"<sup>٤٩</sup>، وُكلنا إليهم "كما إلى أوصياء ووكلاء إلى الوقت المحدد من الأب"<sup>٥٠</sup>. هم أنفسهم أيضًا إذا؛ إذ يرون تقدم كل واحد منا يقولون "الآن علمت أنك تخاف الله"<sup>٥١</sup>. فلدي على سبيل المثال رغبة الاستشهاد<sup>٥٢</sup>، لن يستطيع ملاك أن يقول لي من أجل ذلك: "إنني الآن علمت أنك تخاف الله" لأن شهوة الروح لا يعلمها إلا الله وحده. ولكن إذا خضت الحروب واعترفت الاعتراف الحسن<sup>٥٣</sup>،

<sup>٤٢</sup> انظر: دا ١٣: ٤٢.

<sup>٤٣</sup> انظر: ٢ تس ١: ١١.

<sup>٤٤</sup> انظر: مت ١٠: ٣٧.

<sup>٤٥</sup> انظر: تك ٢٢: ١٢.

<sup>٤٦</sup> هذه الفكرة ستتكرر لاحقًا في العظة ١٤: ١.

<sup>٤٧</sup> انظر: في ٢: ٧.

<sup>٤٨</sup> انظر: لو ١٥: ١٠.

<sup>٤٩</sup> انظر: غل ٤: ٣.

<sup>٥٠</sup> انظر: غل ٤: ٢.

<sup>٥١</sup> انظر: تك ٢٢: ١٢.

<sup>٥٢</sup> في هذا الوقت كانت فكرة الاستشهاد تسيطر على المجتمع المسيحي، انظر ما ورد سابقًا

في العظة ٧: ٣.

<sup>٥٣</sup> انظر: ١ تي ٦: ١٢.

واحتملت بقوة كل ما يصيبني، فحينئذ يستطيع ملاك أن يقول لي ليثبتي ويقويني: "إني الآن علمت أنك تخاف الله."

لكن لنعتبر أن هذه الأقوال قد قيلت لإبراهيم وأنه قد أعلن أنه يخاف الله. لماذا؟ لأنه لم يمسك ابنه. أما نحن، فلنقارن هذا بكلمات الرسول "الذي لم يمسك ابنه، بل أسلمه لأجمعين"<sup>٥٢</sup>. انظر كيف أن الله يتعامل مع البشر بكرم عظيم: لقد قدم إبراهيم لله ابناً فانياً دون أن يموت، أما الله فقد سلم من أجل البشر ابناً أبدياً للموت. فماذا نقول نحن عن هذا؟ "ماذا نرد للرب من أجل كل حسناته"<sup>٥٣</sup>؟ الله الآب بسببنا "لم يمسك ابنه"<sup>٥٤</sup>، فقولوا لي من منكم سيسمع يوماً صوت الملاك يقول له: "أنا الآن علمت أنك خائف لله، لأنك لم تمسك ابنك"<sup>٥٥</sup> أو ابنتك أو زوجتك، ولم تمسك مالك أو أمجاد هذا الدهر وطموحات هذا العالم، ولكنك احتقرت كل ذلك<sup>٥٦</sup> وحسبت كل الأشياء نفاية حتى تريح المسيح"<sup>٥٦</sup>، و"بعت كل شيء وأعطيته الفقراء وتبعت كلمة الله"<sup>٥٧</sup>؟ نعم قولوا لي من منكم سيسمع من فم ملائكة قولاً مثل هذا؟ لقد سمع إبراهيم هذا القول وقيل له: "من أجلي لم تمسك ابنك الحبيب"<sup>٥٨</sup>.

### الكبش: رمز المسيح الكاهن والذبيحة

٩ يقول الكتاب "وإذ التفت إلى الوراء، نظر إبراهيم وإذا كبش ممسكاً في الغابة بقرنيه"<sup>٥٩</sup>. أعتقد أننا قلنا سابقاً إن إسحق كان

<sup>٥٢</sup> انظر: رو ٨: ٣٢.

<sup>٥٣</sup> انظر: مز ١١٥: ٣ (بحسب السبعينية).

<sup>٥٤</sup> انظر: رو ٨: ٣٢.

<sup>٥٥</sup> انظر: تك ٢٢: ١٢.

<sup>٥٦</sup> انظر: في ٣: ٨.

<sup>٥٧</sup> انظر: مت ١٩: ٢١.

<sup>٥٨</sup> انظر: تك ٢٢: ١٢.

<sup>٥٩</sup> انظر: تك ٢٢: ١٣.

يرمز للمسيح<sup>٦١</sup> ، ولكن هنا يبدو الكبش أيضًا أنه يرمز للمسيح. ومن المثير للاهتمام أن نعرف كيف أن هذين الرمزتين، إسحق الذي لم يُذبح قط والكبش المذبح يتطابقان مع المسيح.

المسيح هو "كلمة الله"، ولكن "الكلمة صار جسداً"<sup>٦٢</sup>، وبالتالي هناك في المسيح شيء يأتي من فوق وآخر أخذ من الطبيعة البشرية ومن الأحشاء البتولية. لقد تألم المسيح إذًا ولكن كان هذا في الجسد، لقد تحمل الموت ولكنه تحمله في الجسد<sup>٦٣</sup> والذي الكبش هنا هو رمز له. وقد قال القديس يوحنا بالمثل أيضًا "هوذا حمل الله، هوذا من يرفع خطية العالم"<sup>٦٤</sup>. أما "الكلمة" على العكس، والذي هو المسيح بحسب الروح<sup>٦٥</sup>، والذي إسحق هو صورة له، فقد ظل "في عدم الفساد"<sup>٦٥</sup>. لذلك هو ذبيحة ورئيس كهنة في ذات الوقت. فهو حسب الروح يقدم الذبيحة لأبيه، وحسب الجسد هو نفسه مُقدم على مذبح الصليب، لأنه كما قيل عنه "هوذا حمل الله، هوذا من يرفع خطية العالم"<sup>٦٦</sup>، فقد قيل عنه أيضًا "أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق"<sup>٦٧</sup>. وهكذا إذًا كان "الكبش ممسكًا في الغابة بقرنيه"<sup>٦٨</sup>.

## بركة تقديم الذبيحة

١٠ يقول الكتاب "فأخذ الكبش وقدمه محرقة عوضًا عن

<sup>٦١</sup> تلميحات سريعة إلى هذا الرمز وردت في نهاية رقم ١، وبداية رقم ٦.

<sup>٦٢</sup> انظر: يو ١: ١٤.

<sup>٦٣</sup> يؤكد أوريجينيس أن السيد المسيح إله وإنسان في نفس الوقت. والتعبير عن هذا التعليم، مهما كان بسيطًا، إلا أنه لا يقود لا إلى الأريوسية ولا إلى الدوسيتية.

<sup>٦٤</sup> انظر: يو ١: ٢٩.

<sup>٦٥</sup> المقصود هنا هو اللاهوت، لأن أوريجينيس كان يريد أن يميز في المسيح الواحد بين اللاهوت الذي لا يموت (والذي يرمز له إسحق) والناسوت الذي مات (والذي يرمز له الكبش).

<sup>٦٥</sup> انظر: ١ كو ١٥: ٤٢.

<sup>٦٦</sup> انظر: يو ١: ٢٩.

<sup>٦٧</sup> انظر: مز ١٠٩: ٤ (حسب السبعينية).

<sup>٦٨</sup> انظر: تك ٢٢: ١٢.

إسحق ابنه، فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع: الرب يرى<sup>٦٩</sup>. إن درب الفهم الروحي مفتوح علناً لمن يعرف أن يسمع، لأن كل هذه الأعمال تؤول إلى الرؤية. وقد قيل في الواقع إن "الرب يرى"، ولكن الرؤية التي يراها الله هي رؤية روحية، حتى تتأمل أنت أيضاً في أمور الكتاب بشكل روحي. وكما أنه لا يوجد في الله أي شيء مادي، هكذا لا ينبغي أن تجد أي شيء مادي في كل هذا. ولكنك تستطيع أن تلد روحياً أنت أيضاً إسحق كابن حين تحمل كثر الروح "الفرح والسلام"<sup>٧٠</sup>. هذا الابن لن تله في النهاية - على غرار سارة، المكتوب عنها أنها ولدت إسحق بينما كانت عادة النساء قد انقطعت لديها<sup>٧١</sup> - إلا إذا انقطعت أيضاً في نفسك الإمكانات النسائية<sup>٧٢</sup> لدرجة ألا يكون لديك بعد الآن أي شيء نسائي ولا متأنث في نفسك، ولكن تسلك برجولة وبرجولة "تنطق حقويك"، وإلا إذا كان صدرك محمياً "بدرع البر"، وإذا كنت مزوداً "بخوذة الخلاص" و"بسيف الروح"<sup>٧٣</sup>. فإذا انقطعت إذاً في نفسك الإمكانات النسائية، فإنك تلد، مع امرأتك التي هي الفضيلة والحكمة، الفرح والتهليل. لكنك تلد الفرح حين "تعتقد أن كل شيء يقع عليك في التجارب المتنوعة، هو فرح"<sup>٧٤</sup>، وهذا الفرح تقدمه ذبيحة للرب. وعندما تتقرب من الله في الفرح، يرد لك من جديد ما قدمته له ويقول لك: "ستروني من جديد ويفرح قلبكم، ولن يسلب أحد فرحكم منكم"<sup>٧٥</sup>. وهكذا إذاً ما تقدمه للرب يُرد لك مرات عديدة<sup>٧٦</sup>. هذا هو ما تشير إليه الأنجيل، وإن اختلف التشبيه،

<sup>٦٩</sup> انظر: تك ٢٢: ١٣ - ١٤.

<sup>٧٠</sup> انظر: غل ٥: ٢٢.

<sup>٧١</sup> انظر: تك ١٨: ١١.

<sup>٧٢</sup> انظر: تث ٣١: ٦.

<sup>٧٣</sup> انظر: أف ٦: ١٤، ١٧.

<sup>٧٤</sup> انظر: يع ١: ٢.

<sup>٧٥</sup> انظر: يو ١٦: ٢٢، ١٧.

<sup>٧٦</sup> ارجع إلى عظات أوريجينيس على سفر العدد ١٢: ٣.



في المثل الذي تقول فيه أن رجلاً أخذ وزنة ليستثمرها ويعود لرب الأسرة بالمال. فإذا أتيت بعشر وزنات للخمسة التي تاجرت بها فيعطيك إياها ويتركها لك. اسمع ما يقوله الكتاب، "خذوا منه هذه الوزنة وأعطوها لمن له العشر وزنات"<sup>٧٧</sup>. وهكذا يبدو إذاً أننا نتاجر من أجل الرب ولكن الأرباح تعود إلينا، ويبدو أننا نقدم ذبائح للرب ولكن نحن الذين سنحصل بالمقابل على ما نقدمه. فالله في الواقع لا يحتاج إلى شيء ولكنه يريد أن نكون نحن أغنياء، كما يريد أن يكون تقدمنا في كل شيء.

ويبرز لنا ذلك أيضاً بشكل مجازي في ما حدث لأيوب. فهو، بينما كان غنياً، قد فقد هو أيضاً كل ممتلكاته من أجل الرب. ولكن من أجل أنه صمد ببسالة في معارك الصبر وأبدي خلقاً كريماً في كل آلامه وقال: "الرب أعطى، الرب أخذ، لقد حدث كما أراد الرب، فليكن اسم الرب مباركا"<sup>٧٨</sup>، فانظر ما كتب عنه في النهاية: يقول الكتاب "وأخذ ضعف ما كان قد فقده"<sup>٧٩</sup>. وهكذا أنت ترى أن فقدان شيء من أجل الله، هو استعادته مرات عديدة. وتضمن لك الأناجيل أكثر من ذلك أيضاً بما أنها تعديك "بمئة مثل" وفوق ذلك "بالحياة الأبدية"<sup>٨٠</sup> في المسيح يسوع ربنا "الذي له المجد والقوة إلى أبد الأبدين. آمين"<sup>٨١</sup>.

<sup>٧٧</sup> انظر: مت ٢٥: ١٦ إلى باقي الإصحاح؛ لو ١٩: ٢٤.

<sup>٧٨</sup> انظر: أي ١: ٢١.

<sup>٧٩</sup> انظر: أي ٤٢: ١٠.

<sup>٨٠</sup> انظر: مت ١٩: ٢٩.

<sup>٨١</sup> انظر: ١ بط ٤: ١١؛ رؤ ١: ٦.

العظة التاسعة

جَدِّكَ  
وَعُودَ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ



## الكتاب المقدس بحر من الأسرار

١ كلما تقدمنا في قراءتنا، تجمعت الأسرار أمامنا. فمن يبحر على مركب صغير لا يخشى الكثير طالما بقى بالقرب من الشاطئ، ولكن حين يتجه تدريجياً إلى عرض البحر، فإذا حدث وأن رفعت الأمواج المتعاضمة في أعالي البحار، أو طُرح في الأعماق حين تنفلق لتلك الأمواج، فحينئذ يستولى على روجه رعب شديد ويرتعش خوفاً لكونه عهد هذا المركب الصغير للأمواج العارمة. هذا هو موقفنا تقريباً، نحن الذين نجرؤ ونتقدم، ونحن أدنياء بالاستحقاقات وضعفاء بالروح، في محيط واسع من الأسرار. ولكن إذا تفضل الرب بصلواتكم بمنحنا النسيم المواتي الذي لروحه القدوس بعد رحلة موافقة للكلمة<sup>١</sup> فسوف نصل إلى ميناء الخلاص.

### إبراهيم يتلقى وعوداً جديدة

لنرى الآن إذاً مضمون القراءة التي قاموا لنا بها. "ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانيةً من السماء قائلاً: بذاتي أقسمت، يقول الرب، أني من أجل أنك تمت هذا القول، ولم تمسك ابنك حبيبك من أجلي، أباركك وأكثرك. ويكون نسلك كثيراً كنجوم السماء وكرمل البحر الذي لا يمكن إحصاؤه<sup>٢</sup>". تتطلب هذه الأقوال مستمعاً مجتهداً ومنتهباً، فهذا الكلام جديد: "ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانيةً من السماء"<sup>٣</sup>، إلا أن ما يلي ليس بجديد، لأنه قد سبق وأن قيل

<sup>١</sup> هي في اللاتينية (uerbum)، وقد قمنا في هذا المقطع كما في العديد من المقاطع الأخرى، بترجمتها إلى "كلمة"، محتفظين بذلك بالإمكانية الدائمة للإشارة إلى "كلمة الله". فإذا تبينا في هذه العبارة أن الرب هنا مقصود به "الأب" كما نجده أيضاً يذكر صراحة "الروح القدس"، فسنفهم بلا صعوبة أن (uerbum) يمكن ان تأخذ معنى "كلمة الله"، وستكون إذاً "الرحلة المناسبة للكلمة" هي التدبير الإلهي للتجسد.

<sup>٢</sup> انظر: تك ٢٢: ١٥ - ١٧.

<sup>٣</sup> انظر: تك ٢٢: ١٥.

"أباركك"، وسبق وأن وُعد "وأكثرك<sup>٤</sup>" كما سبق أيضًا وأن أُعلن أن "نسلك يكون كثيرًا كنجوم السماء وكرمل البحر"<sup>٥</sup> فما هي الزيادة في هذه الدعوة الثانية الآتية من السماء؟ ما هو الشيء الجديد الذي يضاف إلى الوعود القديمة؟ أية مكافأة إضافية تمنحها هذه الكلمات "من أجل أنك تمت هذا القول"<sup>٦</sup>، وبعبارة أخرى: لأنك قدمت ابنك ولأنك لم تمسك ابنك الوحيد؟ فإنني لا أرى أي شيء مضاف، فقد تكررت نفس الوعود السابقة. ولكن أليس من العيب إذن . كما يُعتقد . أن يكرر نفس الأشياء عدة مرات؟ ولكن على العكس، فهذا ضروري لأن كل ما يحدث إنما يحدث بشكل سري.

### المعنى الذي حملته الوعود الجديدة

إن كان إبراهيم لم يعيش إلا في الجسد<sup>٧</sup>، وإن لم يكن أبًا سوى للشعب الذي ولده في الجسد، لكان يكفي وعد واحد فقط. ولكن ليثبت أنه كان لا بد أن يكون أولاً أبًا للذين اختتنوا في الجسد، تلقى عند ختانه وعدًا لا بد وأنه كان يخص أهل الختان. ثم، حيث كان يجب أيضًا أن يكون أبًا للذين هم "من الإيمان"<sup>٨</sup> والذين أتوا إلى الميراث من خلال آلام المسيح، فقد تلقى من جديد في وقت آلام إسحق وعدًا لا بد وأنه يخص الشعب الذي خلص بآلام المسيح وقيامته.

ويبدو أن الكتاب يكرر نفس الأشياء ولكنها مختلفة. فقد قدمت الوعود الأولى التي تخص الشعب الأول على الأرض، فيقول الكتاب في الواقع "ثم أخرجه إلى خارج . أي خارج الخيمة . وقال له

<sup>٤</sup> انظر: تك ٢٢: ١٧؛ تك ١٢: ٢.

<sup>٥</sup> انظر: تك ٢٢: ١٧.

<sup>٦</sup> انظر: تك ٢٢: ١٧؛ تك ١٣: ١٦.

<sup>٧</sup> انظر: تك ٢٢: ١٦.

<sup>٨</sup> انظر: غل ٤: ٢٩.

<sup>٩</sup> انظر: غل ٣: ٩.

انظر إلى نجوم السماء. أ يمكنك عد كثرتها؟ وأضاف: هكذا يكون نسلك<sup>١٠</sup>، لكن عندما تكرر الوعد في المرة الثانية، يشير أن الصوت قد جاءه "من السماء"<sup>١١</sup>. هكذا قدم الوعد الأول من الأرض والثاني من السماء. ألا تبدو في ذلك إشارة واضحة لقول الرسول هذا: "الإنسان الأول، المأخوذ من الأرض ترابي، والإنسان الثاني، الآتي من السماء سماوي"<sup>١٢</sup>؟ الوعد الذي يخص شعب الإيمان يأتي إذا من السماء والآخر من الأرض.

### لماذا أضاف الله قسمًا إلى وعدة؟

ولا يوجد في الوعد الأول سوى القول لفظيًا، أما في الوعد الآخر فقد كان هناك قسم. لقد شرح الرسول القديس ذلك، كاتبًا إلى العبرانيين، في هذه الكلمات: "إذ أراد الله أن يظهر لورثة الموعد ثبات تدابير الذي لا يتغير، أدخل القسم"<sup>١٣</sup>، وأيضًا "الناس يقسمون بأعظم منهم"<sup>١٤</sup>، "ولكن الله إذ لم يكن له أعظم يقسم به"<sup>١٥</sup>، "أقسم بذاتي، قال الرب"<sup>١٦</sup>. ليس هذا أن الله كان مجبرًا على أن يقسم، فمن يستطيع أن يطلب منه قسمًا<sup>١٧</sup>؟ ولكن كما شرح بولس الرسول، فهذا لكي يظهر لمؤمنيه من هنا "ثبات تدابير الذي لا يتغير"<sup>١٨</sup>. وبالمثل يقول النبي أيضًا في موضع آخر "أقسم الرب ولن يندم: أنت كاهن إلى

١٠ انظر: تك ١٥ : ٥ .

١١ انظر: تك ٢٢ : ١٥ .

١٢ انظر: ١ كو ١٥ : ٤٧ .

١٣ انظر: عب ٦ : ١٧ .

١٤ انظر: عب ٦ : ١٦ .

١٥ انظر: عب ٦ : ١٣ .

١٦ انظر: تك ٢٢ : ١٦ .

١٧ ارجع إلى فيلو في (PHILON, Leg. Alleg. III, 203): "لقد كان حسنا أن يؤكد وعده

بقسم ويقسم بيلق بالله، أنت تدرك أن الله لا يقسم بأحد آخر لأنه لا يوجد شيء أعلى منه،

ولكنه يقسم بذاته، الأفضل في كل الكائنات."

١٨ انظر: عب ٦ : ١٧ .

الأبد على رتبة ملكي صادق<sup>١٩</sup>."

### ثبات الوعود الجديدة

وفي النهاية، وعند الوعد الأول، لم يعطِ سبب هذا الوعد، فيقول الكتاب فقط إن الله أخرج إبراهيم وأراه نجوم السماء وقال: هكذا يكون نسلك<sup>٢٠</sup>"، ولكنه الآن يضيف السبب الذي من أجله يؤكد الله بقسم ثبات وعده. فيقول الكتاب في الواقع "من أجل أنك تمت هذا القول، ولم تمسك ابنك<sup>٢١</sup>"، فهو يثبت إذن أنه بسبب التقدم أو آلام الابن فإن الوعد ثابت بشدة، مدلاً بذلك على أنه بسبب آلام المسيح يبقى الوعد مضموناً بشدة لجمهور الأمم الذي هو "ابن إبراهيم بالإيمان<sup>٢٢</sup>".

### حالات مشابهة في الكتاب المقدس

هل هذا هو المقطع الوحيد الذي يكون فيه ما يحدث في المرة الثانية أكثر ثباتاً من المرة الأولى؟ في كثير من مرات أخرى، ستجد صوراً أولية لأسرار شبيهة، فقد كسر موسى وطرح لوحى الشريعة الأولين بحسب الحرف<sup>٢٣</sup>، وأخذ شريعةً ثانيةً بحسب الروح، وكانت الشريعة الثانية أكثر تأكيداً من الأولى. كما أنه هو نفسه، بعد أن حوى كل الشريعة في أربعة أسفار، كتب من جديد سفر التثنية الذي يُدعى "الشريعة الثانية". وكان إسماعيل أولاً<sup>٢٤</sup> وإسحق ثانياً ويبقى في الثاني شكلاً مشابهاً من التفوق. وستجد أمثلة شبيهة في

<sup>١٩</sup> انظر: مز ١٠٩: ٤ (حسب السبعينية).

<sup>٢٠</sup> انظر: تك ١٥: ١٥.

<sup>٢١</sup> انظر: تك ٢٢: ١٦.

<sup>٢٢</sup> انظر: رو ٤: ١٦.

<sup>٢٣</sup> انظر: خر ٣٢: ١٩.

<sup>٢٤</sup> انظر: تك ١٧: ١٩ - ٢١.

عيسو ويعقوب<sup>٢٥</sup>، وفي منسى وأفرايم<sup>٢٦</sup>، وفي نماذج أخرى كثيرة.

## التفسير الأخلاقي

### التجديد الداخلي

٢ لنستعد الآن حواسنا ولنشرح الآن بالتفصيل المعنى الأخلاقي. يقول الرسول، كما سبق أن ذكرنا أعلاه: "الإنسان الأول المأخوذ من الأرض ترابي. الإنسان الثاني، الآتي من السماء، سماوي. كما هو الترابي هكذا الترابيون أيضاً، وكما هو السماوي هكذا السماويون أيضاً، وكما لبسنا صورة الترابي، لنلبس أيضاً صورة السماوي<sup>٢٧</sup>". أنت ترى منطقته: إذا بقيت في ما كان أولاً، في ما يأتي من الأرض، فستطرح إلا إذا تغيرت وتبت وأخذت صورة السماوي؛ إذ تصير سماوياً. ونفس القصد في موضع آخر حين يقول: "إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي خلق حسب الله<sup>٢٨</sup>"، ونفس الشيء أيضاً حين يقول في مقطع آخر: "هوذا الأشياء العتيقة قد مضت، الكل قد صار جديداً<sup>٢٩</sup>". فالله يجدد إذاً وعوده لكي يظهر لك أنه يجب عليك أنت أيضاً أن تتجدد. وهو لا يبقى في الأشياء العتيقة لكي لا تبقى أنت "إنساناً عتيقاً<sup>٣٠</sup>"، وهو ينطق بهذه الأقوال "من السماء" لكي تحصل أنت أيضاً على "صورة السماوي<sup>٣١</sup>".

لأنه ماذا يجديك أن يجدد الله وعوده إن لم تتجدد أنت؟ وأن يتكلم من السماء إن كنت تسمع من الأرض؟ وماذا يجديك أن يرتبط الله

<sup>٢٥</sup> انظر: تك ٢٥: ٢٥ وما بعده.

<sup>٢٦</sup> انظر: تك ٤١: ٥١ - ٥٢.

<sup>٢٧</sup> انظر: ١ كو ١٥: ٤٧ - ٤٩.

<sup>٢٨</sup> انظر: كو ٣: ٩ - ١٠.

<sup>٢٩</sup> انظر: ٢ كو ٥: ١٧.

<sup>٣٠</sup> انظر: رو ٦: ٦.

<sup>٣١</sup> انظر: ١ كو ١٥: ٤٩.



بقسم إذا كنت تعتبر هذا كما لو أنك تسمع قصة عادية؟ لماذا لا تلاحظ أن الله قد استخدم من أجلك طرقاً للتصرف لا تبدو على الإطلاق أنها تتناسب مع طبيعته الخاصة؟ فإذا كان الكتاب يقول إن الله قد قام بقسم، فذلك حتى تنصت بخوف ورعدة وتبحث في هذا الخوف عما هو ضروري لدرجة أن نقول إن الله قد أقسم لأجله. فهذا يحدث إذن حتى تكون منتبهاً ومحترساً، وحتى تكون؛ إذ تعرف أن هناك وعداً معداً لك في السموات، متيقظاً و تسأل نفسك إلى أي مدى أنت مستحق للوعد الإلهية.

## التفسير الروحي

### ارتباط الوعد بالمسيح...

على أية حال يشرح الرسول آيتنا قائلاً: "أعطى الله الوعد لإبراهيم ولنسله. لم يقل: ولأنساله كأنه عن كثيرين، بل كأنه عن واحد فقط: ولنسلك، الذي هو المسيح"<sup>٣٢</sup>. فالمسيح إذاً هو المكتوب عنه: "وأكثر نسلك ويصير كثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر"<sup>٣٣</sup>. فلمن إذاً نحتاج أن نشرح بعد كيف يكثر نسل المسيح ونحن نرى التبشير بالإنجيل يمتد "من أقصى الأرض إلى أقصاها"<sup>٣٤</sup>، وأنه لا يوجد تقريباً مكان بعد لم يحصل على بذار الكلمة؟ لقد صورت هذه الحقيقة مقدماً في بداية العالم حين قيل لآدم: "انموا واكثروا"<sup>٣٥</sup>، وهذا نفسه يوضح الرسول أنه "قد قيل نسبةً إلى المسيح والكنيسة"<sup>٣٦</sup>.

<sup>٣٢</sup> انظر: غل ٣: ١٦.

<sup>٣٣</sup> انظر: تك ٢٢: ١٧.

<sup>٣٤</sup> انظر: رو ١٠: ١٨.

<sup>٣٥</sup> انظر: تك ١: ٢٨.

<sup>٣٦</sup> انظر: أف ٥: ٣٢.

### ...وينسل المسيح

أما من جهة القول: "كثيراً كنجوم السماء" وما يلي "وكالرمل الذي على شاطئ البحر الذي لا يمكن عدّه"<sup>٣٧</sup>، فقد يقول البعض أن صورة العدد السماوي يتناسب مع جماعة المسيحيين وصورة رمل البحر مع الشعب اليهودي. وأعتقد بالأحرى أننا من الممكن أن نطبق على الشعبين كلا المثلين. فقد كان هناك في الشعب اليهودي الكثير من الأبرار والأنبياء الذين يمكن أن نقارنهم بحق بنجوم السماء<sup>٣٨</sup>. وبالمقابل، هناك في شعبنا الكثير "ممن ليس لديهم ميل إلا للأرضيات"<sup>٣٩</sup> والذين حماقتهم "أثقل من رمل البحر"<sup>٤٠</sup>، وأعتقد أنه يجب أن نحسب ضمنهم جموع الهرطقة. إلا أننا يجب ألا ننظر أننا في أمان لأن الأمثلة الأرضية تنطبق على أي واحد منا، طالما لم ينزع "صورة الترابي" ويلبس "صورة السماوي"<sup>٤١</sup>.

وقد تصور الرسول، على الأرجح في ثورة أفكاره، القيامة في الأجساد الترابية والسماوية: "مجد الأجساد السماوية شيء، ومجد الأجساد الترابية آخر. حتى أن نجماً يمتاز عن نجم في المجد، هكذا يكون أيضاً بالنسبة إلى قيامة الأموات"<sup>٤٢</sup>. "ولن يعرف أن يسمع، يقدم الرب نفس التتبيه حين يقول: "فليضئ نوركم قدام الناس؛ وإذ يروا أعمالكم الحسنة يمجّدوا أباكم الذي في السماوات"<sup>٤٣</sup>.

### كيفية إتمام المسيح للوعد الإلهي

٣ فالمسيح هو بعينه نسل إبراهيم وابن إبراهيم. هل تريدوا أن

<sup>٣٧</sup> انظر: تك ٢٢: ١٧.

<sup>٣٨</sup> انظر العظة ١: ٧.

<sup>٣٩</sup> انظر: في ٣: ١٩.

<sup>٤٠</sup> انظر: أي ٦: ٣.

<sup>٤١</sup> انظر: ١ كو ١٥: ٤٩.

<sup>٤٢</sup> انظر: ١ كو ١٥: ٤٠ - ٤٢.

<sup>٤٣</sup> انظر: مت ٥: ١٦.

تقتنعوا بذلك أكثر من خلال أقوال الكتاب؟ اسمعوا المكتوب في الإنجيل: "كتاب سلسلة نسب يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم"<sup>٤٤</sup>. ففيه يتم إذاً قول الكتاب هذا: "ويرث نسلك مدن الأعداء"<sup>٤٥</sup>. فكيف إذاً ورث المسيح مدن الأعداء؟ بلا أدنى شك لأن "صوت" الرسل "قد ذاع في جميع الأرض، وفي العالم كله أقوالهم"<sup>٤٦</sup>، ولذلك أثير غضب الملائكة الذين يحفظون تحت سلطانهم كل أمة. لأنه "حين فرّق العليّ الشعوب حسب عدد ملائكة الله، فحينئذ صار يعقوب نصيبه. وإسرائيل قسمة ميراثه"<sup>٤٧</sup>، وقد أثار المسيح - الذي قال له الأب "أسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك، وأقاصي الأرض ملكك"<sup>٤٨</sup> - غضب الملائكة بانتزاعه منهم القدرة والسيطرة التي كانت لهم على الأمم، لذلك مكتوب "قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء"<sup>٤٩</sup> على الرب وعلى مسيحه"<sup>٥٠</sup>. لذلك هم يقاوموننا نحن أيضاً ويثيرون علينا حروباً ومعارك، وهو ما جعل رسول المسيح يقول "ليس علينا أن نصارع لحمًا ودمًا، بل الرؤساء، السلاطين، وولاة هذا العالم"<sup>٥١</sup>. فيجب علينا إذن أن نسهر ونتصرف بحذر "لأن خصمنا كأسد زائر، يجول حولنا ملتمسًا من يبتلعه"<sup>٥٢</sup> وإن لم نقاومه "راسخين في الإيمان"<sup>٥٣</sup> فإنه يسببنا، وإذا حدث لنا ذلك نكون قد أنكرنا عمل

<sup>٤٤</sup> انظر: مت ١: ١.

<sup>٤٥</sup> انظر: تك ٢٢: ١٧.

<sup>٤٦</sup> انظر: مز ١٨: ٥ (حسب السبعينية)؛ رو ١٠: ١٨.

<sup>٤٧</sup> انظر: تث ٣٢: ٨ - ٩. لاحظ أن تكليف الملائكة بقيادة شعوب الأرض باستثناء بني إسرائيل قد ورد في الترجمة السبعينية فقط. وكان هذا هو الاعتقاد السائد في التقليد اليهودي وفي بداية المسيحية. فالعالم بعد السقوط كان تحت قبضة الشرير ولكن في المسيح انتزع منه هذا السلطان.

<sup>٤٨</sup> انظر: مز ٢: ٨.

<sup>٤٩</sup> الترجمة الحرفية: أمراء.

<sup>٥٠</sup> انظر: مز ٢: ٢.

<sup>٥١</sup> انظر: أف ٦: ١٢.

<sup>٥٢</sup> انظر: ١ بط ٥: ٨.

<sup>٥٣</sup> انظر: ١ بط ٥: ٩.

الذي "سمر الرياسات والسلاطين على الصليب، ظافراً بهم بجسارة فيه"<sup>٥٤</sup>، والذي "جاء ليخلص المأسورين"<sup>٥٥</sup>. "فلنتبع بالحري إيمان المسيح، الذي ظفر بهم، ولنحطم القيود التي أخضعونا بها لسلطانهم. وهذه القيود التي يمسكونا بها هي شهواتنا ونقائصنا: فهي تربطنا إلى أن نصلب جسدنا مع نقائصه وشهواته"<sup>٥٦</sup>، ونكون بذلك قد "قطعنا قيودهم، وطرحنا بعيداً عنا نيرهم"<sup>٥٧</sup>. وهكذا إذن احتل "نسل إبراهيم" "مدن الأعداء"<sup>٥٨</sup>، نسل إبراهيم أي ذرية الكلمة وبعبارة أخرى التبشير بالإنجيل والإيمان بالمسيح.

ولكنني أسألكم: هل قام الرب بعمل جائر منتزعاً الأمم من سلطان الأعداء ومعيداً إياهم تحت سلطانه إلى الإيمان به؟ كلا ألبتة، لأنه قديماً كان "إسرائيل قسم الرب"<sup>٥٩</sup>، إلا أن الأعداء اجتذبوا إسرائيل إلى الخطية بعيداً عن الله، وقال الله لهم بسبب خطاياهم: "ها أنتم قد تمزقتم بخطاياكم، وتفرقتم تحت السماء بسبب خطاياكم"<sup>٦٠</sup>. ولكنه قال لهم بعد ذلك مرة ثانية: "حتى وإن كنتم قد تفرقتم من أقصى السماء إلى أقصاها، فمن هناك أجمعكم، يقول الرب"<sup>٦١</sup>. "ولأن رؤساء هذا العالم"<sup>٦٢</sup> كانوا الأوائل في اجتياح "تصيب الرب"، فقد لزم أن ينزل "الراعي الصالح"<sup>٦٣</sup> "إلى الأرض، تاركاً في الأعالي التسع والتسعين خروفاً، ويبعث عن الخروف الوحيد الذي

<sup>٥٤</sup> انظر: كو ٢: ١٤ - ١٥.

<sup>٥٥</sup> انظر: لو ٤: ١٨.

<sup>٥٦</sup> انظر: غل ٥: ٢٤.

<sup>٥٧</sup> انظر: مز ٢: ٣.

<sup>٥٨</sup> انظر: تك ٢٢: ١٧.

<sup>٥٩</sup> انظر: سي ١٧: ١٧؛ تث ٣٢: ٩.

<sup>٦٠</sup> انظر: ٢ عز ١١: ٨ (حسب السبعينية).

<sup>٦١</sup> انظر: نح ١: ٩؛ تث ٣٠: ٤.

<sup>٦٢</sup> انظر: يو ١٦: ١١.

<sup>٦٣</sup> انظر: يو ١٠: ١١.

ضل، وكان لا بد، إذا وجدته ووضعه على منكبيه، أن يقوده إلى أعلى، إلى حظيرة الكمال<sup>٦٤</sup>.

### غلبة المسيح بداخلنا

ولكن ما الفائدة بالنسبة لي إذا ورث نسل إبراهيم "الذي هو المسيح"<sup>٦٥</sup> "مدن الأعداء"<sup>٦٦</sup> ولم يملك مدينتي الخاصة، إن كانت في مدينتي الخاصة، أي في نفسي التي هي "مدينة الملك العظيم"<sup>٦٧</sup>، لا تحفظ شرائع هذا الملك ولا قوانينه؟ ماذا يجديني أن يكون الملك العظيم قد أخضع العالم كله وملك "مدن الأعداء" إن لم يكن منتصراً على أعدائه فيّ، وإن لم يدمر "الناموس الذي يحارب في أعضائي ناموس ذهني، ويسبيني إلى ناموس الخطية"<sup>٦٨</sup>؟

ليجتهد كل واحد منا لكي يكون المسيح في نفسنا كما في جسدنا، منتصراً على الأعداء ويمتلك فضلاً عن ذلك مدينة نفسنا. بهذا الشكل ننتمي إلى نصيبه، إلى نصيبه المختار المشابه "في المجد لنجوم السماء"<sup>٦٩</sup>، ونقدر أن نحصل نحن أيضاً على بركة إبراهيم بالمسيح ربنا "الذي له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين. آمين"<sup>٧٠</sup>.

<sup>٦٤</sup> انظر: مت ١٨: ١٢؛ لو ١٥: ٤ - ٥.

<sup>٦٥</sup> انظر: غل ٣: ١٦.

<sup>٦٦</sup> انظر: تك ٢٢: ١٧.

<sup>٦٧</sup> انظر: مز ٤٧: ٣ (حسب السبعينية)؛ مت ٥: ٣٥.

<sup>٦٨</sup> انظر: رو ٧: ٢٣.

<sup>٦٩</sup> انظر: ١ كو ١٥: ٤١.

<sup>٧٠</sup> انظر: ١ بط ٤: ١١؛ رؤ ١: ٦.

## العظة العاشرة

أرِفِقْتِ

خرجت لتسقي ماءً والتقت خادماً إبراهيم



## عتاب للمستمعين غير المواظبين على الحضور

١ يقول الكتاب "كان الولد يكبراً" ويتقوى، أي أن "الفرح" كان يكبر بالنسبة لإبراهيم الذي كان لا يهتم "بالأشياء التي ترى، بل بالتي لا ترى".<sup>٢</sup> ولم يكن إبراهيم في الواقع يستمد سعادته من الأشياء الحاضرة ولا من ثروات العالم ولا من أحداث الدهر. هل تريد أن تعرف من أين كان إبراهيم يستمد سعادته؟ أنصت إلى الرب الذي يقول لليهود: "أبوكم إبراهيم انتهى بأن يرى يومي فرأى وفرح".<sup>٣</sup> وهكذا إذا ما كان يجعل إسحق يكبراً هو ما كان يزيد الفرح عند إبراهيم وهو هذه الرؤية ليوم المسيح والرجاء الموضوع فيه. فلتصيروا أنتم أيضاً مثل إسحق وتكونوا فرح أمكم الكنيسة!

ولكنني أخشى أن تلد الكنيسة أبناءها بعد في الحزن والتنهيدات. فهل تظنون أنها لا تحزن ولا تنتهد عندما لا تأتون لتسمعوا كلمة الله وتذهبون بالكاد إلى الكنيسة في أيام الأعياد؟ وتأتون إليها أيضاً للتمتع بالاحتفال والاستفادة من الغفران العام أكثر مما تأتون رغبةً في سماع الكلمة.<sup>٤</sup> فماذا عليّ أن أفعل إذن، أنا الذي وكلت إليّ خدمة الكلمة؟<sup>٥</sup> أنا الذي أخذت من الرب، على الرغم من أنني "عبد بطل"<sup>٦</sup>، "العلوفة لأوزعها على آل السيد".<sup>٧</sup> لكن اسمع نهاية ما

١ انظر: تك ٢١: ٨.

٢ وفقاً لأصل كلمة إسحق كما فسرها أوريجينيس سابقاً. ارجع إلى العظة ٧: ١.

٣ انظر: ٢ كو ٤: ١٨.

٤ انظر: يو ٨: ٥٦.

٥ انظر: تك ٢١: ٨.

٦ هل يمكن أن يكون هذا النص هو إشارة إلى وجود أيام محددة لمنح الغفران العام. وماذا كانت طبيعة هذا الغفران في قيصرية؟ هل كان يتمثل في رفع التأديبات؟ أو هل كان غفراناً للخطايا المعتادة؟ الحقيقة أننا لا نعلم على وجه الدقة.

٧ انظر: ١ كو ٩: ١٧.

٨ انظر: لو ١٧: ١٠.

٩ انظر: لو ١٢: ٤٢.



قاله الرب "ليوزع العلوقة في حينها"<sup>١٠</sup>، فماذا عليّ أن أفعل إذن؟ أين ومتى سأجد الوقت المناسب لكم؟ فأنتم تضيعون الجزء الأكبر من وقتكم، إن لم يكن وقتكم كله، في اهتمامات علمية، وتقضون جزءاً منه في الساحة والآخر في الأعمال. الواحد لديه وقت لحقله، والآخر لقضاياها، ولا يوجد أحدٌ، ما خلا عدد قليل جداً، لديه الوقت لسماع كلمة الله.

ولكن لماذا أعاتبكم على مشاغلكم؟ ولماذا أشكو من الغائبين؟ حتى حين تكونون هناك وتجلسون في الكنيسة، فإنكم لا تكونون منتبهين وتثرثرون في ترهات مألوفة وتديرون القضا لكلمة الله أو للقراءات المقدسة. أخشى أن يوجه الرب لكم أنتم أيضاً هذا الكلام الذي قيل بالنبي: "أداروا لي القضا لا الوجه"<sup>١١</sup>. فماذا يجب أن أفعل، أنا الذي وكلت إليّ خدمة الكلمة؟

### الإهمال يعيق استقبال كلمة الله

إن ما نقرأه لكم مليء بالأسرار، ويجب تفسيره من خلال أسرار الرمز. هل أستطيع أن أدخل "درر"<sup>١٢</sup> كلمة الله في آذان صماء ولا تصغي؟ ليست هذه هي طريقة الرسول، اسمع ما يقوله: "أنتم الذين تقرأون الناموس لا تسمعون الناموس، لأنه كان لإبراهيم ابنان"<sup>١٣</sup>، ثم يضيف "هذه الأشياء لها معنى رمزي"<sup>١٤</sup>. فهل كشف عن أسرار الناموس للذين لا يقرأون ولا يسمعون؟ كلا، فقد كان يكتفي بأن يقول لمن كانوا يقرأون الناموس: "لستم تسمعون"<sup>١٥</sup>. فكيف إذن

<sup>١٠</sup> انظر: لو ١٢: ٤٢.

<sup>١١</sup> انظر: إر ٣٩: ٣٣.

<sup>١٢</sup> انظر: مت ٧: ٦.

<sup>١٣</sup> انظر: غل ٤: ٢١ - ٢٢.

<sup>١٤</sup> انظر: غل ٤: ٢٤.

<sup>١٥</sup> انظر: غل ٤: ٢١.

أستطيع أن أكشف وأفشي أسرار الناموس والرموز التي علمنا إياها الرسول لأشخاص لا يعرفون لا أن يسمعو ولا أن يقرأوا الناموس؟  
 قد أبدو لكم صارمًا للغاية، غير أنني لا أستطيع أن أمלט بالجبس حائطًا<sup>١٦</sup> ينهار، لأنني أخشى كلمة الكتاب هذه: "يا شعبي، مطوبوك مضلون، ويقلبون طرق مسالكك"<sup>١٧</sup>، "وأندركم كأولادي الأحباء"<sup>١٨</sup>. "إني أتعجب من كونكم غير متعلمين بعد طريق المسيح وأنكم حتى لم تسمعو "أن الطريق الذي يؤدي إلى الحياة ضيق ومنحصر وليس واسعًا ورحبًا". إذا "ادخلوا من الباب الضيق"<sup>١٩</sup>، واتركوا السعة للذين يهلكون. لقد "تناهى الليل وتقارب النهار"<sup>٢٠</sup>، "فاسلكوا كأولاد نور"<sup>٢١</sup>. "الوقت قصير، ولا يوجد غير شيء واحد ينبغي عمله، ليكن الذين لهم<sup>٢٢</sup> كأن ليس لهم، والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه"<sup>٢٣</sup>. ويوصي الرسول بالصلاة "بلا انقطاع"<sup>٢٤</sup>، فكيف يمكنكم، أنتم الذين لا تحضرون الصلوات، أن تتمموا "بلا انقطاع" ما تهملونه باستمرار؟ لكن الرب يوصي أيضًا: "أسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة"<sup>٢٥</sup>، فإذا كان الذين يسهرون ويصلون ولا يكفون عن المثابرة في كلمة الله لا يفلتون مع ذلك من التجربة، فماذا عمن لا يأتون إلى الكنيسة إلا في الأعياد؟ "إذا كان الصديق بالجهد يخلص، فالخاطئ والأثيم أين يظهران؟"<sup>٢٦</sup>

١٦ انظر: حز ١٣: ١٠.

١٧ انظر: إش ٣: ١٢.

١٨ انظر: ١ كو ٤: ١٤.

١٩ انظر: مت ٧: ١٣ - ١٤.

٢٠ انظر: رو ١٣: ١٢.

٢١ انظر: أف ٥: ٨.

٢٢ لم يقل بولس الرسول في ١ كو ٧: ٢٩: "الذين لهم"، ولكنه قال "الذين لهم نساء."

٢٣ انظر: ١ كو ٧: ٢٩، ٣١.

٢٤ انظر: ١ تس ٥: ١٧.

٢٥ انظر: مر ١٤: ٣٨؛ مت ٢٦: ٤١.

٢٦ انظر: أم ١١: ٣١؛ ١ بط ٤: ١٨.

وليس لدي الميل في الحديث عما قد قرأناه تَوًّا، فالرسول يقول فيما يتعلق بالآيات الشبيهة إننا "لا يمكن أن نشرحها بالكلام؛ إذ قد صرتم ضعفاء حتى تفهموا"<sup>٢٧</sup>.

### رفقة: النفس الجالسة عند ينبوع الكتاب المقدس

٢ فلنحصر مع ذلك ما قرئ لنا منذ قليل. يقول الكتاب "كانت رفقة تأتي لتستقي ماء مع بنات المدينة"<sup>٢٨</sup>. ففي كل يوم كانت رفقة تذهب إلى الآبار، وكل يوم كانت تستقي ماء، ولأنها كانت تقضي وقتاً كل يوم عند الآبار، فقد أمكن بسبب ذلك أن يجدها خادم إبراهيم وأن تتحد بالزواج مع إسحق. فهل تعتقد أن هذه مجرد أساطير وأن الروح القدس يروي قصصاً في الكتاب المقدس<sup>٢٩</sup>؟ إن هذا يعد تعليمًا للنفوس وعقيدة روحية تثقفك وتعلمك أن تأتي كل يوم إلى آبار الكتاب المقدس<sup>٣٠</sup> وإلى مياه الروح القدس وأن تستقي منها على الدوام وتحمل لنفسك منها إناءً ممتلئاً. هكذا فعلت القديسة رفقة التي لما استطاعت أن تتزوج بطبريكاً بهذا المقدار من العظمة كإسحق، "المولود من الموعد"<sup>٣١</sup>، لو لم تكن تستقي هذه المياه ولو لم تستقي منها كميةً بحيث أمكنها أن تعطي ليس فقط أهل بيتها ليشربوا ولكن أيضاً خادم إبراهيم، وليس فقط أن تعطي الخادم ليشرب ولكن أن تفيض المياه التي سحبتها من الآبار لدرجة أنه أمكنها أن تسقي الجمال أيضاً "حتى فرغت من الشرب"<sup>٣٢</sup>، كما

<sup>٢٧</sup> انظر: عب ٥: ١١.

<sup>٢٨</sup> انظر: تك ٢٤: ١٥ - ١٦.

<sup>٢٩</sup> هذا هو نفس اعتراض ابيليس. ارجع إلى العظة ٢: ٢.

<sup>٣٠</sup> يقول أوريجينيس في عظاته على سفر العدد ١٢: ٢ "هذا السفر الذي بين أيدينا وهذا التعليم الذي قرئ لنا هما نفسيهما آبار، وفي نفس الوقت معهما أيضاً كل الكتاب المقدس والناموس والأنبياء والكتابات الإنجيلية والرسولية يكونون معا بنراً واحدة.

<sup>٣١</sup> انظر: غل ٤: ٢٣.

<sup>٣٢</sup> انظر: تك ٢٤: ٢٢.

يقول الكتاب.

### زواج رفقة من إسحق يمثل اتحاد الروح بالمسيح

إن كل شيء في الكتاب المقدس هو سر. المسيح يريد أن يخطبك لنفسه أنت أيضاً. وإليك يوجه كلامه بالنبي حين يقول: "وأخطبك لنفسي إلى الأبد. وأخطبك لنفسي في الأمانة والرحمة فتعرفين الرب".<sup>٣٣</sup> فإذا يريد إذاً أن يخطبك لنفسه، يرسل لك الرب هذا الخادم، وهذا الخادم هو الكلمة النبوية التي بدون أن تقبلها أولاً لن تستطيع الاقتران بالمسيح.

لتدرك مع ذلك أنه بدون تمرن وبدون معرفة لا يقدر أحد أن يقبل كلمة الأنبياء. ويقبلها بالمقابل من يعرف أن يسحب الماء من أعماق البئر ومن يعرف أن يسحب كمية بحيث تكفي حتى للذين يبدو أنهم بلا عقل وضالين والذين ترمز لهم الجمال، ويمكن لهذا أن يقول إذاً "إني مديون للحكماء والجهلاء".<sup>٣٤</sup> باختصار، لقد قال الخادم في نفسه: "الفتاة التي تقول من بين هذه البنات اللاتي تأتين لتستقين ماءً: اشرب وأنا أسقي جمالك، هي تكون زوجة سيدي".<sup>٣٥</sup> هكذا إذن، إذ أبصرت رفقة - وهذا الاسم يعني الصبر - الخادم إبراهيم وتأملت عن كذب الكلمة النبوية "أنزلت الجرة"<sup>٣٦</sup> التي كانت تحملها على كتفها. وهي تُنزل في الواقع الغرور المتعالي الذي للخطابة اليونانية وتتحني إلى انضاع وبساطة الكلام النبوي وتقول: "اشرب وأنا أسقي جمالك".<sup>٣٧</sup>

<sup>٣٣</sup> انظر: هو ٢: ١٩ - ٢٠.

<sup>٣٤</sup> انظر: رو ١: ١٤.

<sup>٣٥</sup> انظر: تك ٢٤: ١٤.

<sup>٣٦</sup> انظر: تك ٢٤: ١٨.

<sup>٣٧</sup> انظر: تك ٢٤: ١٤.

## المسيح الذي هو الماء الحي يطلب أن يشرب

٣ قد تقول: إذا كان الخادم يمثل الكلمة النبوية فمن أين لرفقة أن تعطيه ليشرب في حين أنه هو الذي يجب أن يفعل ذلك؟ انتبه، فهو يفعل على الأرجح مثل الرب يسوع. فيسوع هو "خبز الحياة"<sup>٣٨</sup> وهو يطعم النفوس الجائعة، إلا أنه يعلن أنه جائع هو أيضًا حين يقول: "أني جعت فأطعمتموني"<sup>٣٩</sup>، وبالمثل أيضًا، هو "الماء الحي"<sup>٤٠</sup> ويعطي جميع العطاش ليشربوا، إلا أنه يقول بنفسه للسامرية: "أعطيني لأشرب"<sup>٤١</sup>. وهكذا يكون بالنسبة إلى الكلمة النبوية، فهي تروي العطاش غير أن الكتاب يقول إنها هي التي ترتوي بإزائهم حين تكون موضوع التدريبات والرعاية الساهرة من جانب مسيحين غيورين.

إذًا، النفس التي من هذا النوع والتي تعمل كل شيء بصبر، وتكون أيضًا متحمسة وتستند إلى تعليم بهذا القدر من العظمة، والتي تعودت أن تسحب مياه العلم من الأعماق، فهذه النفس يمكن أن تتزوج في عرس المسيح. وعليه، فإذا لم تذهب [أنت] كل يوم بالقرب من الآبار، وإذا لم تستق من المياه كل يوم، فلن تعجز فقط عن أن تسقي الآخرين، ولكنك أنت أيضًا سوف تعاني من "العطش لكلمة الله"<sup>٤٢</sup>. أنصت لما يقوله الرب في الأناجيل: "من عطش فليقبل ويشرب"<sup>٤٣</sup>، ولكن أنت، وفقًا لما أراه "لست جائعًا ولا عطشان إلى البر"<sup>٤٤</sup>، فكيف سيمكنك أن تقول "كما يشتاق الإيل إلى جداول المياه، هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله، عطشت نفسي إلى الإله

<sup>٣٨</sup> انظر: يو ٦: ٣٥، ٤٨.

<sup>٣٩</sup> انظر: مت ٢٥: ٣٥.

<sup>٤٠</sup> انظر: يو ٧: ٣٨.

<sup>٤١</sup> انظر: يو ٤: ٧.

<sup>٤٢</sup> انظر: عا ٨: ١١.

<sup>٤٣</sup> انظر: يو ٧: ٣٧.

<sup>٤٤</sup> انظر: مت ٥: ٦.

الحي. متى أجيء وأترأى قدام وجهه<sup>٤٥</sup>؟

## عتاب جديد للمهملين

أرجوكم، يا من تواظبون على الحضور إلى هذا المكان الذي يسمعون فيه الكلمة، تحلوا بالصبر حتى نوبخ قليلاً المهملين والكسالى. تحلوا بالصبر؛ إذ إننا نتحدث عن رفقة، أي عن الصبر. يجب علينا أن نهذب بالصبر من يهملون المحفل ويتحاشون سماع كلمة الله، وهم لا يشتهون لا "خبز الحياة"<sup>٤٦</sup> ولا "الماء الحي"<sup>٤٧</sup> ولا يخرجون من المحلة ولا يتقدمون من "بيتهم الذي من طين"<sup>٤٨</sup> ليجمعوا المن<sup>٤٩</sup> ولا يأتون إلى الصخرة ليشربوا من "الصخرة الروحية، والصخرة هي المسيح"<sup>٥٠</sup> كما يقول الرسول. تحلوا إذن بالقليل من الصبر لأننا نتحدث إلى المهملين و"المرضى". "فلا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى"<sup>٥١</sup>.

قولوا لي أنتم، يا من لا تأتون إلى الكنيسة إلا في أيام العيد، أليست الأيام الأخرى هي أيام أعياد<sup>٥٢</sup>؟ أ ليست كلها أيام الرب؟ فهذا خاص باليهود أن تكون لهم أيام محددة وقليلة للاحتفال بالأعياد، لذلك يقول الله لهم: "لست أطيق رؤوس شهوركم وسبوتكم ويوم كفارتكم. صيامكم واعتكافكم وأعيادكم بغضتها نفسي"<sup>٥٣</sup>. يبغض الله إذن من يعتقدون أنه لا يوجد سوى يوم واحد ليكون يوم

<sup>٤٥</sup> انظر: مز ٤١: ٢ - ٣ (حسب السبعينية).

<sup>٤٦</sup> انظر: يو ٦: ٣٥، ٤٨.

<sup>٤٧</sup> انظر: يو ٧: ٣٨.

<sup>٤٨</sup> انظر: أي ٤: ١٩.

<sup>٤٩</sup> انظر: خر ١٦: ١٣ وما بعده.

<sup>٥٠</sup> انظر: ١ كو ١٠: ٤.

<sup>٥١</sup> انظر: لو ٥: ٣١.

<sup>٥٢</sup> ارجع إلى عظات أوريجينيس على سفر العدد ٢٣: ٣ حيث يقول إنه لا يوجد لمن يسعى إلى الكمال والقداسة أيام أعياد وأيام بلا عيد، لكن البار يجب أن يحتفل بعيد دائم.

<sup>٥٣</sup> انظر: إش ١: ١٣ - ١٤.

عيد للرب. أما المسيحيون فهم يأكلون كل يوم لحم الحمل أي أنهم يأخذون كل يوم جسد الكلمة لأن المسيح "فصحنا المسيح قد ذبح"<sup>٥٤</sup>. وبما أن شريعة الفصح تأمر بأن يؤكل في المساء<sup>٥٥</sup> فقد تألم المسيح في مساء العالم<sup>٥٦</sup> حتى تأكل أنت بلا انقطاع جسد الكلمة، لأنه المساء دائماً بالنسبة لك إلى أن يأتي النهار. وإن كنت منتبهاً أثناء هذه السهرة، وإن قضيت حياتك في "البكاء والأصوام"<sup>٥٧</sup> وفي إتمام كل عمل للبر، فستستطيع أن تقول أنت أيضاً: "في المساء يمتد النوح وفي الصباح التهليل"<sup>٥٨</sup>، "لأنك ستبتهج بالصباح، أي بالدهر الآتي إذا كنت قد جنيت في الدهر الحاضر" ثمر البر"<sup>٥٩</sup> في الدموع والألم. تعالوا إذن ولنشرب، في الوقت المناسب، من "بئر الرؤيا" التي يتجول إسحق عنده ويتقدم للتدريب<sup>٦٠</sup>.

لاحظ أهمية الأمور التي تقع بالقرب من المياه. لذلك يدعوك أن تأتي كل يوم إلى مياه كلمة الله وأن تمكث بالقرب من آباره كما كانت رفقة تفعل التي قيل عنها: "وكانت فتاة جميلة جداً، وعذراء لم يعرفها أي رجل"<sup>٦١</sup>. ويقول الكتاب "هوذا قد خرجت نحو المساء لتستقي ماء"<sup>٦٢</sup>.

<sup>٥٤</sup> انظر: ١ كو ٥ : ٧.

<sup>٥٥</sup> انظر: خر ١٦ : ٨.

<sup>٥٦</sup> ارجع إلى عظات أوريجينيس على سفر الخروج ٧ : ٨ "جاء الرب في مساء عالم وقت أوقله، وكان موشكاً على الانتهاء، لكنه قد صنع من جديد بمجيئه، من هو "شمس البر"، يوماً جديداً لمن يؤمنوا. وقد خلق، إذا صح القول، يومه صباحاً، إذ قد أثار للعالم نوراً جديداً للعلم. لقد قدم صباحه، باعتباره "شمس البر"، ويشبع بالخبز في هذا الصباح من يتسلمون وصاياه."

<sup>٥٧</sup> انظر: يو ٢ : ١٢.

<sup>٥٨</sup> انظر: مز ٢٩ : ٦ (حسب السبعينية).

<sup>٥٩</sup> انظر: يع ٣ : ١٨؛ في ١ : ١١؛ عب ١٢ : ١١.

<sup>٦٠</sup> انظر: تك ٢٤ : ٦٢ - ٦٣.

<sup>٦١</sup> انظر: تك ٢٤ : ١٦.

<sup>٦٢</sup> انظر: تك ٢٤ : ١٥، ١١.

## عذرية رفقة

٤ لم يقل الكتاب هذا عن رفقة دون سبب. ولكن هناك شيء يدهشني: ماذا يعني القول: "وكانت فتاة، عذراء، لم يعرفها أي رجل"<sup>٦٣</sup>؟ كما لو أن الفتاة العذراء يمكن أن تكون شيئاً آخر غير امرأة لم تعرف رجلاً وماذا يمكن أن تعني بالنسبة للفتاة العذراء، إضافة أنه "لم يعرفها رجل"؟ هل يمكن إذاً أن تكون هناك عذراء قد سبق لها أن عرفت رجلاً؟ كثيراً ما أوضحت سابقاً<sup>٦٤</sup> أنه لا يجب أن نرى في هذه المقاطع قصصاً تاريخية، ولكن سلسلة من الأسرار. أعتقد إذاً أن إشارة مثل هذه هي ذات قيمة هنا. فإذا كان المسيح يدعى عريس النفس الذي تقترن به النفس التي تأتي إلى الإيمان، فحين تتحول النفس على العكس إلى الجحود يُدعى العريس الذي تتزوجه "العدو" الذي "يزرع الزوان على الحنطة"<sup>٦٥</sup>. ومن ثم لا يكفي النفس أن تكون عفيفة بالجسد ولكن يجب أيضاً ألا يكون هذا الزوج الشرير قد عرفها، لأنه من الممكن أن نحافظ على عذرية الجسد، ولكن أن نعرف هذا الزوج الشرير الذي هو الشيطان وأن نستقبل في قلبنا سهام الشهوة، وأن نفقد بذلك طهارة النفس. ولأن رفقة إذاً كانت عذراء مقدسة جسداً وروحاً<sup>٦٦</sup>، فقد أكثر الكتاب من مدحها وقال: "كانت عذراء لم يعرفها أي رجل"<sup>٦٧</sup>.

## حلي رفقة

ذهبت رفقة إذاً إلى الماء في "وقت المساء"<sup>٦٨</sup>. لقد تحدثنا منذ قليل

<sup>٦٣</sup> انظر: تك ٢٤: ١٦.

<sup>٦٤</sup> ارجع إلى العظة ٨: ١، وفي نهاية هذه العظة ١٠.

<sup>٦٥</sup> انظر: مت ١٣: ٢٥.

<sup>٦٦</sup> انظر: ١ كو ٧: ٣٤.

<sup>٦٧</sup> انظر: تك ٢٤: ١٦.

<sup>٦٨</sup> انظر: تك ٢٤: ١١.



عن المساء، ولكن لاحظ حرص الخادم: فهو لا يريد أن يأخذ كزوجة لسيده إسحق سوى عذراء يكون قد وجدها فاضلة وحسنة المظهر. ولم يكفه أن تكون عذراء بل يجب أيضاً ألا يكون قد عرفها أي رجل، وكان يجب أن يجدها وهي تستقي ماءً، فهو لا يريد أن يخطب لسيده فتاة أخرى. ولم يكن الخادم ليعطيها الحلي دون ذلك، وهي كانت بلا "أقراط" ولا "أساور"<sup>٦٩</sup> بل باقية على طبيعتها، دون زينة. فهل ينبغي أن نعتقد أن والد رفقة، وهو رجل غني، لم يكن لديه أساور أو أقراط ليلبسها لابنته؟ هل كان يتصف بهذا القدر من اللامبالاة أو البخل حتى أنه لم يعطِ زينة لابنته؟ كلا، ولكن رفقة لا تريد أن تتزين بذهب بتوئيل، فزينة رجل ظالم وجاهل لا تتاسبها. ولكنها تطلب حليها من بيت إبراهيم لأن "الصبر" يجد زينته في بيت الحكيم. فلم تكن أذنا رفقة لتجد زينتها لو لم يأتِ خادم إبراهيم بنفسه ليزينها، ولا تحصل يداها على زينة أخرى غير ما بعثه إسحق. لأنها تريد أن تستقبل في أذنيها كلاماً ذهبياً وتمسك في يديها بأعمال كلها من ذهب. ولكنها ما كانت تستطيع لا أن تحصل ولا أن تستحق كل ذلك ما لم تكن قد أتت إلى الآبار لتستقي ماءً. وأنت، يا من لا تريد أن تأتي إلى المياه ولا أن تستقبل في أذنانك كلمات الأنبياء الذهبية، كيف تقدر أن تحمل زينة التعليم، وزينة الأعمال وزينة الأخلاق؟

### البئر هي المكان المختار لإقامة العرس الروحي

٥ يجب أن نمر من هنا لأن الوقت الآن ليس مناسباً للتعقيب، بل لبناء كنيسة الله ولتحريك المستمعين الكسالى والعاطلين من خلال نماذج القديسين والتفاسير المستيكية. وصلت إذا رفقة، التي تبعت

<sup>٦٩</sup> انظر: تك ٢٤ : ٢٢.

الخادم، إلى إسحق، وفي الواقع تصل الكنيسة التي تبعت الكلمة النبوية إلى المسيح، وأين تجده؟ يقول الكتاب: "عند بئر القسم، فيما هو يتجول"<sup>٧٠</sup>. وهكذا نحن لا نبتعد في أي حال من الأحوال عن الآبار ولا نستغني عن المياه، فنحن نجد رفقة بجانب بئر<sup>٧١</sup>، ورفقة قد وجدت بدورها إسحق عند البئر حيث أبصرته هناك للمرة الأولى وهناك "نزلت عن الجمل"<sup>٧٢</sup>، وهناك ترى إسحق الذي أشار إليه الخادم.

هل تعتقد أن الكتاب لم يذكر إشارات أخرى عن الآبار؟ يعقوب هو أيضاً قد جاء إلى بئر ووجد راحيل هناك، وهناك بدت له راحيل "حسنة الصورة وحسنة المنظر"<sup>٧٣</sup>، كما أنه عند البئر أيضاً وجد موسى صفورة ابنة رعوئيل<sup>٧٤</sup>. ألا تفهم بعد، أن كل ذلك قد قيل بمعنى روعي؟ وهل تظن أن مجيء البطارقة دائماً إلى الآبار وحدوث زيجاتهم عند المياه يعد مصادفة؟ من يفكر بهذه الطريقة هو "إنسان طبيعي ولا يدرك ما لروح الله"<sup>٧٥</sup>. فليبق هناك من يريد، وليبق "طبيعياً" من يريد، أما أنا فعلى أثر ما قاله بولس الرسول، أقول إن هذه الأشياء "رمزية"<sup>٧٦</sup> وأقول إن عرس القديسين هو اتحاد النفس مع "كلمة الله": "وأما من اتحد بالرب فهو روح واحد معه"<sup>٧٧</sup>. ولكن من المؤكد أن اتحاد النفس مع "الكلمة" لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تركنا أنفسنا لتتعلم من الأسفار الإلهية التي يدعوها الكتاب مجازياً آباراً. فأي واحد يأتي إلى هذه الآبار ويستقي ماء، أي يدرك - إذ يتأمل في الكتاب - معنى ومدلولاً أكثر عمقاً، فهذا سيجد عرساً يليق بالله

٧٠ انظر: تك ٢٤: ٦٢.

٧١ انظر: تك ٢٤: ١٦.

٧٢ انظر: تك ٢٤: ٦٤.

٧٣ انظر: تك ٢٩: ١٧.

٧٤ انظر: خر ٢: ١٥ وما بعده.

٧٥ انظر: ١ كو ٢: ١٤.

٧٦ انظر: غل ٤: ٢٤.

٧٧ انظر: ١ كو ٦: ١٧.

حيث تصير روحه متحدة بالله.

وهي (النفس التي ترمز لها رفقة) "تنزل عن الجمل"<sup>٧٨</sup>، أي أنها تبتعد عن الرذائل وترفض المشاعر الطائشة وتتحد بإسحق، لأنه يليق لإسحق أن ينتقل "من الفضيلة إلى الفضيلة." ابن "الفضيلة" التي هي سارة، قد اقترن الآن واتحد مع "الصبر" الذي هو رفقة. وهذا هو الانتقال "من الفضيلة إلى الفضيلة"<sup>٧٩</sup>، و"من الإيمان إلى الإيمان"<sup>٨٠</sup>.

ولكن، لنأت إلى الأنجيل ونرى حين تعب الرب نفسه من السير أين طلب أن يستريح؟ يقول الكتاب "لقد جاء إلى بئر وجلس على الحافة"<sup>٨١</sup>. وكما ترى فإن الأسرار تتقابل في كل مكان، كما أن هناك توافقاً في الرموز بين العهدين الجديد والقديم. هناك في العهد القديم [يذهب] الآباء إلى الآبار ومياهاها ليجدوا عرائس، [وفي الجديد] تتحد الكنيسة مع المسيح في حميم الماء أيضاً<sup>٨٢</sup>.

فأنت ترى كم الأسرار الذي يحصرنا! فيجب على الأقل أن تدفعك لتلك الأسرار إلى الإنصات والحضور إلى المحافل. وإذا كنا قد عبرنا سريعاً بشكل مختصر على بعض هذه الأسرار، فيجب عليك عندما تعيد القراءة وتبحث أن تتقب أنت أيضاً بنفسك وأن تجد ثابر على الأقل في البحث عن أسرار الكتاب حتى يأخذك "كلمة الله؛ إذ يجدهك أنت أيضاً عند الماء، ويتحد معك لكي تصير معه "روحاً واحداً"<sup>٨٣</sup>، في المسيح يسوع ربنا "الذي له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين. آمين"<sup>٨٤</sup>.

<sup>٧٨</sup> انظر: تك ٢٤: ٦٤.

<sup>٧٩</sup> انظر: مز ٨٣: ٨ (حسب السبعينية).

<sup>٨٠</sup> انظر: رو ١: ١٧.

<sup>٨١</sup> انظر: يو ٤: ٦.

<sup>٨٢</sup> هذه إشارة واضحة إلى المعمودية، التي تأخذ حقيقتها الروحية رونقاً وبريقاً جديدين بفعل هذه المقارنة الرائعة مع مياه العرس في العهد القديم.

<sup>٨٣</sup> انظر: ١ كو ٦: ١٧.

<sup>٨٤</sup> انظر: ١ بط ٤: ١١؛ رؤ ١: ٦.

العظة الحادية عشرة

زَوَّاجُ إِبْرَاهِيمَ مِنْ قَطُورَةَ  
وَإِقَامَةُ إِسْحَاقَ عِنْدَ بَيْتِ الرُّؤْيَا



## عمر إبراهيم وقت زواجه الثاني

١ يقدم لنا دائماً الرسول القديس فرصاً لاكتشاف المعنى الروحي ويعطي المسيحيين المتحمسين إرشادات - صحيح أنها قليلة ولكن لا غنى عنها - ليعرفهم أن "الناموس روحي" دائماً. ويقول، متحدثاً في مقطع عن إبراهيم وسارة: "دون أن يضعف في إيمانه، لم يعتبر أن جسده قد صار مماتاً؛ إذ كان ابن نحو مئة سنة، ولا مماتية مستودع سارة".<sup>٢</sup>

هذا الرجل الذي قال عنه الرسول إن جسده قد همد عند بلوغه مائة عام، وإنه أنجب إسحق بقوة الإيمان أكثر مما بسبب خصوية الجسد، هوذا الكتاب يخبرنا الآن إنه قد اتخذ امرأة تدعى قطورة وأنجب منها أبناء كثيرين فيما كان عمره يناهز مائة وسبع وثلاثون عاماً، لأن سارة إمرأته كانت تصغره، وفقاً للكتاب، بعشرة أعوام،<sup>٣</sup> وأنها ماتت حين كانت تبلغ مائة وسبعاً وعشرين<sup>٤</sup> عاماً، مما يعني أن إبراهيم كان قد تجاوز المائة والسيح والثلاثين عاماً حين تزوج قطورة.

## التفسير الروحي لهذا الزواج

### الحكمة

ماذا نستطيع أن نستنتج من ذلك؟ هل يجب إن نعتقد إن بطريركاً عظيماً مثل إبراهيم كان قد شعر بمثيرات الجسد؟ أ يجب أن نظن أن ما قيل عنه مماتاً من زمن بعيد من جهة الحركات الطبيعية،

١ انظر: رو ٧: ١٤.

٢ انظر: رو ٤: ١٩.

٣ انظر: تك ٢٥: ١ وما بعده.

٤ انظر: تك ١٧: ١٧.

٥ انظر: تك ٢٣: ١.

قد أحس الآن إغراء الجسد وقد انبعث فيه من جديد؟ أ ولا يكون بالأحرى لزيجات البطارقة، كما سبق وقلنا كثيراً، معنى سرّي ومقدس، كما يشير إلى ذلك أيضاً من قال عن الحكمة "إني عزمت أن أتخذها لي زوجة".<sup>٦</sup>

لقد فكر إبراهيم على الأرجح في شيء مثل هذا، فبالرغم من أنه كان حكيماً، إلا أنه كان يعلم أن الحكمة ليس لها حدود، وأن الشيخوخة لا تشير إلى الحد الذي يتم فيه التوقف عن التعلم.<sup>٧</sup> فمتى يستطيع من اعتاد أن يقيم زواجه بالطريقة التي أشرنا إليها أعلاه، أي أن يظل عادةً في اتحاد مع الفضيلة، أن يوقف اتحاداً من هذا النمط؟ ويجب اعتبار موت سارة أيضاً بمثابة إتمام الفضيلة. فمن يمتلك فضيلة متممة وكاملة يجب عليه دائماً أن يثابر في البحث والدراسة، فإن هذه الدراسة هي التي يدعوها التعبير الإلهي "زوجته".

### الذرية الروحية

أظن أن هناك بسبب ذلك لعنة في الناموس للأعزب والرجل العقيم. فقد قيل في الواقع: "ملعون من لا يترك نسلاً في إسرائيل".<sup>٨</sup> فإذا فهمنا هذا الكلام عن النسل الجسدي، فسيبدو كل متبلي الكنيسة وقد شملتهم اللعنة. وماذا أقول عن متبلي الكنيسة؟ فالقديس يوحنا نفسه "الأعظم بين المولودين من النساء"<sup>٩</sup>، والعديد من القديسين الآخرين لم يتركوا ذرية جسدية؛ إذ إنه لم يخبرنا بأنهم حتى قد تزوجوا، ولكن من المؤكد أنهم قد تركوا ذرية روحية وأبناء روحيين

<sup>٦</sup> انظر: حك ٨ : ٩.

<sup>٧</sup> المقصود أن إبراهيم كان قد وصل لدرجة عالية من الحكمة ولكن هذا الكمال النسبي كان هو دافعه في السعي للوصول لدرجة أعلى من الكمال لأن الحكمة التي اكتسبها كانت تتيح له رؤية أعمق، فالحكمة التي لا تنضب هي ما يجب عليه أن يتتبعها طوال حياته.

<sup>٨</sup> انظر: تث ٧ : ١٤، ٢٥ : ٥ - ١٠.

<sup>٩</sup> انظر: مت ١١ : ١١.

وأن الحكمة كانت زوجة لهم جميعاً، مثل بولس الرسول الذي "ولد أبناء بالإنجيل".<sup>١٠</sup>

إذاً تزوج إبراهيم من قطورة وهو شيخ وجسده كان قد صار مماتاً بالفعل. أما أنا فأعتقد أنه من الأفضل - من أجل السبب الذي ذكرناه سابقاً - الزواج عندما يكون الجسد مماتاً وعندما "تكون الأعضاء مماتة"<sup>١١</sup>، لأن حواسنا تكون قادرة بشكل أكبر على استقبال الحكمة عندما "نحمل موت الرب يسوع في جسدنا"<sup>١٢</sup> المائت.

### رائحة المسيح الذكية

إن اسم قطورة - التي اختارها إبراهيم زوجة له في شيخوخته - يعني البخور أو الرائحة الذكية. وهو نفسه كان يقول، وفقاً لقول بولس الرسول: "لأننا رائحة المسيح الذكية"<sup>١٣</sup>. فلنر كيف نصير رائحة المسيح: إن الخطية شيء رائحته كريهة، وقد تم تشبيهه الخطاة بالخنازير<sup>١٤</sup> وهم يتمرغون في خطاياهم كما في قمامة منتنة، ويقول داود النبي كخاطئ تائب: "حُبُرُ ضربي منتنة ومنتية ومنتية"<sup>١٥</sup>.

٢ أي واحد منكم لا يحمل إذاً رائحة الخطية ولكن يحمل على العكس رائحة البر وعذوبة الرحمة؟ كل من يقدم للرب بلا انقطاع بخور صلاة "غير منقطعة"<sup>١٦</sup>، ويقول: "لتصعد صلاتي إليك كالبخور قدامك. ليكن رفع يدي كذبيحة المساء"<sup>١٧</sup>، فذاك يكون قد اتخذ قطورة زوجة له.

١٠ انظر: ١ كو ٤: ١٥.

١١ انظر: ٣: ٥.

١٢ انظر: ٢ كو ٤: ١٠.

١٣ انظر: ٢ كو ٢: ١٥.

١٤ انظر: مت ٨: ٣٠.

١٥ انظر: مز ٣٧: ٦ (حسب السبعينية).

١٦ انظر: ١ تس ٥: ١٧.

١٧ انظر: مز ١٤٠: ٢ (حسب السبعينية).



## تعدد الزوجات عند الآباء البطارقة يرمز لتعدد الفضائل

هذه في رأبي هي أفضل طريقة لشرح عرس الشيوخ، فنحن بذلك نتفهم جيداً كون البطارقة قد أقاموا زيجات في نهاية حياتهم، في سن متأخرة، وهكذا يبدو لي من الضروري ذكر الأبناء الذين أنجبوهم. فبالنسبة إلى هذا النوع من الزيجات ومثل هذا النسل، يكون الشباب أقل قدرة من الشيوخ، لأنه كلما كان الجسد منهكاً كانت قوة الروح أكبر، و كنا جديرين بمعانقة الحكمة. هكذا يخبرنا الكتاب أن ألقانة البار كان لديه زوجتان في نفس الوقت<sup>١٨</sup>، الواحدة تدعى فننة، والأخرى حنة، أي الاهتداء والنعمة. وقد أنجب أولاً وأولاداً من فننة، أي الهداية، وبعد ذلك من حنة التي ترمز للنعمة.

ويشير الكتاب في الواقع رمزياً إلى تقدم القديسين من خلال الزيجات. لذلك تستطيع أنت أيضاً، إن أردت، أن تكون عريساً في زواج من هذا النوع (أي تتحد مع إحدى هذه الفضائل). فإذا مارست على سبيل المثال افضيلة الضيافة من قلب متسع فسيبدو أنك قد اتخذتها زوجة لك، وإذا أضفت إليها العناية بالفقراء فسيبدو أنك قد اقتنيت زوجة ثانية. وإن تعلقت بالصبر واللطف وبالفضائل الأخرى، فسيبدو أنك قد حصلت على زوجات بمقدار الفضائل التي تمتلكها. لذلك يشير الكتاب إلى أن بعض البطارقة كان لديهم أكثر من زوجة في نفس الوقت، وأن هناك آخرين قد اتخذوا لهم زوجات أخرى بعد وفاة الزوجة الأولى<sup>١٩</sup>: وهو يريد أن يشير من هنا بشكل رمزي إلى أن هناك أشخاصاً يمكنهم أن يمارسوا العديد من الفضائل في نفس الوقت، في حين أن هناك أشخاصاً آخرين يجب أن يصلوا [بالفضائل]

<sup>١٨</sup> انظر: ١ صم ١: ٢ وما بعده.

<sup>١٩</sup> انظر: تك ١٦: ٣، ٢٥: ١.

الأولى إلى الكمال قبل البدء في الفضائل التالية. وسليمان الملك الذي قال له الرب: "لم يكن حكيم مثلك قبلك، ولا يكون من بعدك"<sup>٢٠</sup>، كان لديه العديد من الزوجات في نفس الوقت، لأن الرب كان قد أعطاه حكمة غزيرة "مثل رمل البحر"<sup>٢١</sup> ليحكم شعبه بالحكمة<sup>٢٢</sup>، وكان يمكنه ممارسة أكثر من فضيلة في آن واحد.

### الزوجات الأجنبية رمز للعلوم الوثنية

وإن كنا نحن أيضًا - على هامش تعاليم ناموس الله بالطبع - قد اتصلنا أيضًا ببعض العلوم الدنيوية التي تبدو آتية من الخارج مثل الأدب على سبيل المثال أو النحو، ومثل الهندسة والحساب أو حتى الجدلية، وإذا جعلنا كل تلك العلوم المأخوذة من خارج تعاليمنا تتعاون واعتمدها من أجل الدفاع عن حقيقة شريعتنا، فسيبدو بذلك أننا قد اتخذنا لنا زوجات أجنبيات أو حتى سراري<sup>٢٣</sup>. وإذا كان النقاش وتقديم البراهين ودحض المناقضين يسمح، من جهة هذه الزوجات، باجتذاب بعض منهم للإيمان، وإن أقنعناهم - مستخدمين علومهم وأساليبهم الخاصة بشكل أفضل منهم<sup>٢٤</sup> - بتلقي فلسفة المسيح الحقنة وتقوى الله الحقيقية، فإننا نكون قد أنجبنا أبناء<sup>٢٥</sup> من الجدلية أو من البلاغة كما من أجنبيات أو سراري<sup>٢٦</sup>.

<sup>٢٠</sup> انظر: ٢ أخ ١: ١٢؛ ٣ مل ٣: ١٣ (حسب السبعينية).

<sup>٢١</sup> انظر: تك ٢٢: ١٧.

<sup>٢٢</sup> انظر: ٢ أخ ١: ١١.

<sup>٢٣</sup> انظر: نش ٦: ٧.

<sup>٢٤</sup> انظر العظة ٦: ٣ والعظة ١٤: ٣.

<sup>٢٥</sup> يشير هنا أوريغينيس إلى أن حكمة العالم التي اكتسبها، كانت طعامًا مفيدًا جدًا لجذب النفوس لحكمة الله. وهذه الأجنبيةات وهذه السراري هي التي كان ينال منهن الكثير من الأبناء الروحيين.

<sup>٢٦</sup> عن فائدة العلوم الدنيوية، ارجع إلى عظاته على سفر الخروج ١١: ٦ وعظاته على سفر العدد ٢٠: ٣. انظر أيضًا الكنيسة وثقافة العصر، دكتور سامح فاروق، مركز باناريون للتراث الأبائي، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠١٥.

وهكذا إذًا، فإن الشيخوخة لا تعيق أحدًا عن عقد مثل هذه الزيجات أو إنجاب أبناء بهذه الطريقة. يضاف إلى ذلك أن هذه الذرية الطاهرة تتناسب بصورة أكبر مع السن الناضجة. وهكذا اتخذ إبراهيم قطورة زوجة له، وهو مسن جدًا وكما يقول الكتاب "شيخ ومتقدم في الأيام"<sup>٢٧</sup>.

### ذرية إبراهيم

ولكن في المعطيات التاريخية، لا يجب أن يفوتنا ما هي وكيف تكون الذرية التي نشأت عن هذا الزواج. فإذا ما احتفظنا بهذه [المعطيات] في ذاكرتنا، نستطيع بصورة أسهل أن نفهم ما يقوله الكتاب عن الأمم المختلفة. فالكتاب يقول على سبيل المثال إن موسى قد اتخذ بنتًا من بنات يثرون كاهن مديان زوجة له<sup>٢٨</sup>، ومديان هذا هو أحد أبناء قطورة وإبراهيم<sup>٢٩</sup>. فنحن نعلم إذن أن زوجة موسى هي من نسل إبراهيم ولم تكن أجنبية. أو حين يذكر الكتاب "ملكة قيذار"<sup>٣٠</sup> فينبغي أن نعرف أن قيذار أيضًا هو من نسل قطورة وإبراهيم<sup>٣١</sup>. وستقوم في نسل إسماعيل باكتشافات مماثلة. فستستخرج عند البحث في هذه الأنساب الكثير من المعلومات التي فلتت من آخرين. ولكن بالنسبة لنا، فلنؤجل هذا الموضوع إلى مرة أخرى ولنسرع إلى متابعة القصة.

### موت إبراهيم

٣ يقول الكتاب "وحدث بعد موت إبراهيم أن الله بارك إسحق

<sup>٢٧</sup> انظر: تك ٢٤: ١.

<sup>٢٨</sup> انظر: خر ٢: ٢١.

<sup>٢٩</sup> انظر: تك ٢٥: ٢.

<sup>٣٠</sup> انظر: إر ٣٠: ٢٣.

<sup>٣١</sup> انظر: تك ٢٥: ١٣.

ابنه، وسكن عند بئر الرؤيا<sup>٣٢</sup>. فماذا يمكننا أن نضيف، حول موت إبراهيم، إلى ما يحتويه قول الرب في الأناجيل: "وأما من جهة قيامة الأموات، أ فما قرأتم كيف يتحدث الكتاب في أمر العليقة: إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب؟! الله ليس هو إله الأموات بل إله الأحياء، لأن الجميع أحياء أمامه<sup>٣٣</sup>" لنرجو إذن لأنفسنا موتاً من هذا النوع حتى "إذ نكون أمواتاً عن الخطية نحيا لله<sup>٣٤</sup>". لأننا يجب أن نفهم موت إبراهيم هكذا: لقد وسع أحضانه حتى أن كل القديسين الذين يأتون من جهات العالم الأربع، "تحملهم الملائكة إلى حضن إبراهيم<sup>٣٥</sup>".

### بئر الرؤيا

لكن لنرى الآن كيف بارك الرب، بعد موت إبراهيم، إسحق ابنه، وما هي تلك البركة. يقول الكتاب: "بارك الله إسحق، وسكن عند بئر الرؤيا<sup>٣٦</sup>". هذه هي كل البركة التي أعطها الرب لإسحق؛ أنه أسكنه عند بئر الرؤيا. وهي في الحقيقة بركة هامة لمن يستطيع أن يفهم! فليعطني الرب إياها أنا أيضاً حتى أستحق أن أسكن "عند بئر الرؤيا"!

من ذا الذي يمكنه أن يعرف ويفهم الرؤيا التي رآها إشعيا بن آموص<sup>٣٧</sup>؟ ومن يستطيع أن يعرف رؤيا ناحوم<sup>٣٨</sup>؟ ومن يقدر أن يفهم فحوى رؤيا يعقوب التي رآها في بيت إيل حين كان ذاهباً إلى ما بين

<sup>٣٢</sup> انظر: تك ٢٥: ١١.

<sup>٣٣</sup> انظر: مر ١٢: ٢٦ - ٢٧؛ لو ٢٠: ٣٧ - ٣٨.

<sup>٣٤</sup> انظر: رو ٦: ١٠.

<sup>٣٥</sup> انظر: لو ١٦: ٢٢.

<sup>٣٦</sup> انظر: تك ٢٥: ١١.

<sup>٣٧</sup> انظر: إش ١: ١ وما بعده.

<sup>٣٨</sup> انظر: نا ١: ١ وما بعده.

النهرين، حين قال "ها هو بيت الله، وباب السماء"<sup>٣٦</sup>؟ إن كان هناك أحد يستطيع أن يعرف ويفهم كل الرؤى التي في الناموس أو في الأنبياء، فهذا يسكن "عند بئر الرؤيا". ولكن تأمل بأكثر انتباه في أن البركة الكبيرة التي استحق إسحق أن ينالها من الرب كانت أنه "سكن قرب بئر الرؤيا". أما نحن، فمتى يمكننا أن نستحق ألا نفعل شيئاً سوى المرور عبر بئر الرؤيا؟ لقد استحق إسحق أن يظل في الرؤيا وأن يسكن هناك، ونحن بالكاد يمكننا، بفضل إنارة رحمة ربنا، أن ندرك أو أن يخطر فقط ببالنا مقطعات من كل رؤيا.

غير أنني إن استطعت أن أدرك معنى واحداً من رؤى الله، فسيبدو أنني قد قضيت يوماً بالقرب من بئر الرؤيا. وإن استطعت أن أصل إلى شيء منها ليس فقط بحسب الحرف ولكن أيضاً بحسب الروح، فسيبدو أنني قد قضيت يومين بالقرب من بئر الرؤيا. وإذا دخلت حتى إلى المعنى الأخلاقي، فأكون قد أقمت ثلاثة أيام هناك. وعلى كل حال، إن كنت مواظباً - حتى دون أن أفهم كل شيء - على سماع الكتاب المقدس، وكنت "أتأمل في ناموس الله نهاراً وليلاً"<sup>٣٧</sup>، وإن لم أتوقف أبداً عن البحث والتنقيب والفحص وعن أن أصلي إلى الله وأن أطلب الفهم ممن "يعلم الإنسان المعرفة"<sup>٣٨</sup>، وهو ما يحدث قبل كل شيء، فسأسكن أنا أيضاً بالقرب من بئر الرؤيا<sup>٣٩</sup>. أما، على العكس، إن تهاونت وإن لم أطبق كلمة الله في حياتي الخاصة والتي كثيراً ما أذهب إلى الكنيسة لسماعها، مثلما أرى البعض منكم يأتي فقط إلى الكنيسة في الأعياد، فمثل هؤلاء لا يسكنون

<sup>٣٦</sup> انظر: تك ٢٨: ١٧.

<sup>٤٠</sup> انظر: مز ١: ٢.

<sup>٤١</sup> انظر: مز ٩٣: ١٠ (بحسب السبعينية).

<sup>٤٢</sup> كلمة الرؤيا هذه، بعدما وسعها أوريجينيس لتشمل رؤى الأنبياء و"حالة رؤيا" إسحق، لا تعني بعد ذلك إلا إدراك الأسرار. وتصبح "الرؤيا" هي إدراك ما يحتويه الكتاب.

عند بئر الرؤيا. وأخشى من جانبي ألا يشرب المهملون هكذا، حتى عندما يذهبون إلى الكنيسة، من بئر الحياة وألا يستعيدون قواهم، بل ينشغلون بالأعمال التي تهمهم جداً وبالهموم التي يحملونها معهم وبيتعدون عن آبار الكتاب بالعطش<sup>٤٣</sup>.

لتسرعوا إذن ولتبدلوا الجهود المرجوة لكي تحل عليكم بركة الرب التي ستجعلكم قادرين على السكن بالقرب من بئر الرؤيا، ولكي يفتح الرب أعينكم وتبصروا بئر الرؤيا وتأخذوا منه "الماء الحي"<sup>٤٤</sup> الذي يصير فيكم "ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية"<sup>٤٥</sup>. ولكن ألا نذهب إلى الكنيسة إلا نادراً، وألا نستقي إلا نادراً من ينابيع الكتاب، وأن نغادر على الفور من هناك؛ وإذ نشغل بأمور أخرى وننسى ما قد سمعناه، فهذا ليس السكن عند بئر الرؤيا.

دعني أريك من هو الذي لا يبتعد أبداً عن بئر الرؤيا: هو بولس الرسول. لقد كان يقول: "نحن جميعاً نتأمل مجد الرب بوجه مكشوف"<sup>٤٦</sup>. "وأنت إذاً، إن فحصت على الدوام رؤى الأنبياء وإن رغبت باستمرار في التعلم، وتأملت هذه الرؤى وبقيت فيها، فتتال أنت أيضاً بركة الرب وتسكن عند بئر الرؤيا. وسيظهر لك أنت أيضاً الرب "على الطريق" ويعلن لك معنى الكتب وستقول حينئذ: "أ لم يكن قلبنا ملتهباً فينا حينما كان يكشف لنا الكتب"<sup>٤٧</sup>؟" ولكنه يظهر للذين تتجه أفكارهم نحوه و يكون هو موضوع تأملاتهم ويحيون في "ناموسه نهاراً وليلاً"<sup>٤٨</sup>، "له المجد والسلطان إلى أبد الأبدين. آمين"<sup>٤٩</sup>.

<sup>٤٣</sup> حول إهمال المسيحيين الذهاب للكنيسة وسماع كلمة الرب، ارجع إلى العظة ١٠: ١.

<sup>٤٤</sup> انظر: تك ٢٦: ١٩.

<sup>٤٥</sup> انظر: يو ٤: ١٤.

<sup>٤٦</sup> انظر: ٢ كو ٣: ١٨.

<sup>٤٧</sup> انظر: لو ٢٤: ٣٢.

<sup>٤٨</sup> انظر: مز ١: ٢.

<sup>٤٩</sup> انظر: ١ بط ٤: ١١؛ رو ١: ٦.



العظة الثانية عشرة

أَمْرِفَتِي حَمَكُ وَتَلِكُ





## الله هو الذي يفتح أعيننا لنعاين أسرار

١ أثناء كل قراءة "نقرأ فيها موسى<sup>١</sup>"، يجب علينا أن نطلب من آب الكلمة أن يتم فينا أيضاً قول المزمير هذا: "ارفع الحجاب عن عيني فأتأمل عجائب ناموسك<sup>٢</sup>". فإن لم يفتح هو بنفسه أعيننا فكيف يمكننا أن نعاين الأسرار العظيمة المصورة في البطاركة، والتي تمثلها تارة الآبار، وطوراً العرس، تارة الولادة وطوراً العقم؟

## النساء العاقرات في العهد القديم

تخبرنا القراءة الحاضرة أن "إسحق طلب طلبية لأجل رفقة امرأته لأنها كانت عاقراً، فاستجاب له الرب، وحببت. وكان الولدان يتزاحمان في بطنها<sup>٣</sup>". اسأل نفسك أولاً لماذا يخبرنا الكتاب أن الكثير من النساء القديسات كن عاقرات مثل سارة<sup>٤</sup>، ورفقة التي نتحدث عنها اليوم، وراحيل أيضاً المفضلة من إسرائيل كانت عاقراً<sup>٥</sup>، وأيضاً حنة أم صموئيل، وفقاً للكتاب<sup>٦</sup>. ويذكر في الأنجيل أيضاً عقم أليصابات<sup>٧</sup>. وقد ذكر وصف شريف واحد لكل هؤلاء النساء وهو أنهن قد أنجبن جميعاً أبناءً قديسين في نهاية عقمن. وهكذا إذا فإن رفقة، وفقاً لآيتنا، كانت عاقراً ولكن "صلى إسحق لأجل امرأته إلى الرب الذي استجاب له، وحببت رفقة. وكان الولدان يتزاحمان في بطنها<sup>٨</sup>". هل رأيت ما حبل به هذا العقم؟ يتحرك أبناء العاقر قبل أن يولدوا، وتحمل في بطنها من كانت قد صرفت النظر عن النسل أمماً

١ انظر: ٢ كو ٣: ١٥.

٢ انظر: مز ١١٨: ١٨ (حسب السبعينية).

٣ انظر: تك ٢٥: ٢١ - ٢٢.

٤ انظر: تك ١١: ٣٠.

٥ انظر: تك ٢٩: ٣١.

٦ انظر: ١ صم ١: ٢.

٧ انظر: لو ١: ٧.

٨ انظر: تك ٢٥: ٢١ - ٢٢.

وشعوبياً. وهكذا يقول الكتاب: "فمضت رفقة لتسأل الرب فقال لها الرب: في بطنك أمتان، ومن أحشائك يفترق شعبان". وسيكون من المطول جداً الآن أن نفحص بالتفصيل تفسير تزامم الولدين وهما لا يزالان بعد في رحم أمهما، كما أنه سيكون من المطول جداً شروح وأقوال الرسول المليئة بالألغاز في هذا الشأن: أي سر وأية دوافع تحتوي عليه، ولماذا قيل عن الولدين قبل أن يولدا أو أن يعملا في هذا العالم أي خير أو شر<sup>١٠</sup>: "شعب يتغلب على شعب، والأكبر يخدم الأصغر"<sup>١١</sup>، ولماذا قيل أن يولدا من بطن أمهما، نقرأ عند النبي "أحببت يعقوب وأبغضت عيسو"<sup>١٢</sup> كل ذلك يفوق قدرتي على التعبير ويفوق إدراككم.

## "فمضت لتسأل الرب"

٢ لنرى بالأحرى الآن معنى هذا القول: "فمضت رفقة لتسأل الرب"<sup>١٣</sup>. لقد مضت. فأين ذهبت؟ هل مضت من مكان لم يكن الرب فيه إلى مكان كان يوجد فيه؟ لأن هذا هو ما تشير إليه هذه الكلمات: "فمضت لتسأل الرب"، ألا يوجد الله في كل مكان؟ لا أ لم يقل بنفسه: "أنا أملأ السماء والأرض، يقول الرب"<sup>١٤</sup>؟ فإلى أين إذن مضت رفقة؟ أظن أنها لم تمض من مكان إلى آخر، لكنها انتقلت من حياة إلى حياة أخرى، ومن عمل إلى عمل آخر، من الجيد إلى الأفضل، وتقدمت من النافع إلى الأكثر نفعاً، وأسرعت مما هو مقدس إلى ما هو أكثر قداسة. لأنه من غير المعقول أن نعتقد أن رفقة - التي تثقت

٩ انظر: تك ٢٥: ٢٢ - ٢٣.

١٠ انظر: رو ٩: ١١.

١١ انظر: تك ٢٥: ٢٣.

١٢ انظر: ملا ١: ٢، ٣؛ رو ٩: ١٣.

١٣ انظر: تك ٢٥: ٢٢.

١٤ انظر: إر ٢٣: ٢٤.

في بيت إبراهيم الحكيم مع زوج يتمتع بأعظم تعليم وهو إسحق - كانت بهذه الدرجة من البساطة والجهل حتى تعتقد أن الرب كان مُحْتَجِزًا في مكان ما وتذهب لتسأله هناك عن معنى تراحم الولدين في بطنها. ولكن هل تريد أن تتأكد من أنها عادة عند القديسين حين يدركون أن الله يريد أمرًا ما، أن يقولوا أنهم "يمضون" أو أنهم "يعبرون"؟ فموسى؛ إذ رأى العليقة تشتعل دون أن تحترق، أبصر الرؤيا بتعجب وقال: "سأعبر وأرى تلك الرؤيا"<sup>١٥</sup>. وهو لم يكن يقصد بالطبع أن يقول أنه سيجتاز مسافة معينة أو يتسلق جبال أو يهرول وسط منحدرات الوديان الوعرة. لقد كانت الرؤيا قريبة جدًا، قدامه وأمام عينيه، ولكنه يقول: "سأعبر" ليظهر أنه مدعو من خلال الرؤيا السماوية إلى الارتفاع إلى حياة أسمى وإلى العبور من الوضع الذي كان فيه إلى وضع أفضل. وهكذا إذن، تقول آيتنا الآن عن رفقة إنها "مضت لتسأل الرب"<sup>١٦</sup>، وينبغي أن نفسر ذلك، كما قلنا، على أنها لم تمش بأرجلها لتمضي ولكن بتقدم الروح.

ومن ثم أنت أيضًا، إذا أخذت في تثبيت ناظريك لا على "الأشياء التي ترى، بل على التي لا ترى"<sup>١٧</sup>، أي لا على الأمور الجسدية بل الروحية، لا على الأمور الحاضرة ولكن على الآتية، فسنقول عنك إنك قد "مضيت لتسأل الرب". وإذا ابتعدت عن سلوكك القديم وعن معايشة من كنت تحيا معهم في الدناءة والعار واشتركت في أعمال شريفة وتقوية، وعندما نفتش عنك وسط رفقاء الخزي وزمرة الأشرار ولا نجدك هناك، فسنقول عنك أنت أيضًا: "لقد مضى ليسأل الرب"<sup>١٨</sup>. وهكذا إذن، لا يمضي القديسون من مكان إلى آخر ولكن من

<sup>١٥</sup> انظر: خر ٣: ٣.

<sup>١٦</sup> انظر: تك ٢٥: ٢٢.

<sup>١٧</sup> انظر: ٢ كو ٤: ١٨.

<sup>١٨</sup> انظر: تك ٢٥: ٢٢.

حياة إلى أخرى ومن التعاليم الأولى إلى تعاليم أسمى.

### أبناء رفقة يمثلون الفضائل والردائل بداخل كل منا

٣ فقال الرب لها إذن: "في بطنك أمتان، ومن أحشائك يفترق شعبان: شعب يتسلط على شعب، والأكبر يخدم الأصغر".<sup>١٩</sup> واليهود أنفسهم دون أن يكون لهم الإيمان، يعرفون كيف أن "شعباً"، أي الكنيسة، "قد تسلط على شعب"، أي المجمع، وكيف أن "الأكبر يخدم الأصغر"، وأعتقد أنه من غير المجدي متابعة هذه المفاهيم الجلية والمألوفة للجميع، ولكن إن أردتم ذلك، فلنضف ما يمكن أن يبيني ويثقف كل واحد من المستمعين.

أعتقد أنه يمكن القول بأنه يوجد داخل كل واحد منا "أمتان وشعبان"، لأنه إن كان شعب الفضيلة يوجد فينا فإنه يوجد أيضاً شعب الرذيلة: "من قلبنا تخرج الأفكار الشريرة، الزنى، السرقة، الشهادة الزور"<sup>٢٠</sup>، وأيضاً "المكر، التحزب، البدع، الغيرة، الحسد، السكر، وأمثال هذه"<sup>٢١</sup>. هل ترى أي شعب شرير موجود بداخلنا؟ لكن إن كنا مستحقين أن نردد قول القديسين هذا: "يارب حبنا بمخافتك وولدنا وأظهرنا على الأرض روح خلاصك"<sup>٢٢</sup>، فإنه يوجد إذاً أيضاً فينا شعب آخر مولود في الروح، لأن "ثمار الروح هي: المحبة، الفرح، السلام، طول الأناة، الصلاح، اللطف، التعفف"<sup>٢٣</sup>، وأمثال هذه. إذا أنت ترى الشعب الآخر الموجود هو أيضاً فينا، ولكنه أصغر، في حين أن الشعب الأول أكبر الأشرار دائماً أكثر من الصالحين، والردائل أكثر من الفضائل. ولكننا إن كنا نشبه رفقة وكنا

<sup>١٩</sup> انظر: تك ٢٥ : ٢٣ .

<sup>٢٠</sup> انظر: مت ١٥ : ١٩ .

<sup>٢١</sup> انظر: غل ٥ : ٢٠ - ٢١ .

<sup>٢٢</sup> انظر: إش ٢٦ : ١٨ .

<sup>٢٣</sup> انظر: غل ٥ : ٢٢ - ٢٣ .

مستحقين أن نحبل من إسحق - أي كلمة الله - فحينئذ "يتسلط فينا أيضًا شعب على شعب، والأكبر يخدم الأصغر"، فيخدم الجسد الروح، وتراجع الرذائل أمام الفضائل.

ويقول الكتاب: "وكملت الأيام لتلد وكان في بطنها توأمان".<sup>٢٤</sup> إن تعبير: "وكملت الأيام لتلد" يستخدم تقريبًا فقط بالنسبة للنساء القديسات. فقد استخدم مع رفقة وأليصابات<sup>٢٥</sup> أم يوحنا المعمدان، والعذراء مريم<sup>٢٦</sup> والدة ربنا يسوع المسيح<sup>٢٧</sup>. لذلك يشير هذا النوع من الولادة في رأيي إلى حالة مميزة وغير شائعة، كما يشير إكمال الأيام إلى منشأ ذرية كاملة.

### يعقوب يحل محل عيسو

٤ ويقول الكتاب: "فخرج الأول وكان أصهب<sup>٢٨</sup>، كله أشعث كفروة شعر، فدعوا اسمه عيسو، وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو، فدعي اسمه يعقوب<sup>٢٩</sup>". ويخبرنا مقطع آخر من الكتاب أن "يعقوب قد حل محل عيسو في رحم أمه"<sup>٣٠</sup> والدليل على ذلك هو أن يد يعقوب كانت قابضة بعقب أخيه عيسو.

خرج إذاً عيسو هذا من رحم أمه "كله أشعث كفروة شعر"<sup>٣١</sup>، أما يعقوب فكان على العكس أملس وأجرد. لذا حصل يعقوب على اسمه من فعل أنه صارع أو لأنه حل محله. أما عيسو فقد دُعي، حسب رأي من يفسرون الأسماء العبرية، إما بسبب صهبته وإما نسبة

٢٤ انظر: تك ٢٥: ٢٤.

٢٥ انظر: لو ١: ٥٧.

٢٦ انظر: لو ٢: ١٦.

٢٧ انظر العظة ٣: ٧.

٢٨ الأصهب هو ذو اللون الأصفر الضارب إلى شيء من الحمرة والبياض.

٢٩ انظر: تك ٢٥: ٢٥ - ٢٦.

٣٠ انظر: هو ١٢: ٤.

٣١ انظر: تك ٢٥: ٢٧.

للأرض، [وهو يعني] الأصبه أو الترابي، أو أيضاً المختلق وفقاً لبعض المفسرين. وأما امتيازات الميلاد هذه ولماذا حل يعقوب محل أخيه، ولماذا ولد أملكس وعريان بينما قد حبل بهما كلاهما بالتأكيد، كما يقول الرسول، "من رجل واحد"، "إسحق أبونا"<sup>٣٢</sup> أو لماذا كان عيسو كله أشعث وصعب المراس، وإذا جاز التعبير مغطى بنجاسة الخطية والشر، فهذا ليس في نيتي أن أشرحه لأنني إن أردت أن أحضر عميقاً وأن أكتشف الماء الحي<sup>٣٣</sup> المخفي، فسيأتي الفلسطينيون<sup>٣٤</sup> على الفور لمخاصمتي وسيثيرون ضدي شجارات ومنازعات وسيمألون آباري بترابهم ووحلهم. وفي الحقيقة، إذا تركني هؤلاء الفلسطينيون وشأني، فسأقترب من ربي، من ربي الكثير الصبر الذي يقول "من يقبل إلي لا أرفضه"<sup>٣٥</sup>. سأقترب ومثل تلاميذه الذين قالوا له: "يا رب، من أخطأ، هذا أم أبواه حتى ولد أعمى"<sup>٣٦</sup>؟ سأسأله أنا أيضاً: يا رب من أخطأ، عيسو هذا أم أبواه حتى يولد كله أشعث وصعب المراس وحتى يحل أخوه محله في رحم أمه؟ ولكن إن تظاهرت بالسؤال وبفحص القول الإلهي في هذا الشأن، فسيخاصمني الفلسطينيون وينازعونني، لذلك سوف نترك هذه البئر وندعوها "العداوة" سنحضر بئراً أخرى.

### الشعير والقمح في الكتاب المقدس

٥ يقول الكتاب المقدس بعد ذلك: "زرع إسحق الشعير وحصد مئة ضعف، وباركه الرب، فتعاظم هذا الرجل وكان يتزايد أكثر وأكثر حتى صار عظيماً جداً"<sup>٣٧</sup>. لماذا زرع إسحق شعيراً ولم

<sup>٣٢</sup> انظر: رو ٩: ١٠.

<sup>٣٣</sup> انظر: تك ٢٦: ١٩.

<sup>٣٤</sup> قد يكون هؤلاء الفلسطينيون الغامضون هم مؤيدي المعنى الحرفي.

<sup>٣٥</sup> انظر: يو ٦: ٣٧.

<sup>٣٦</sup> انظر: يو ٩: ٢.

<sup>٣٧</sup> انظر: تك ٢٦: ١٢ (لاحظ أن ذكر الشعير قد ورد فقط في الترجمة السبعينية).

يزرع قمحاً؟ ولماذا بورك بسبب زرعه الشعير؟ ولماذا تعظم "حتى صار عظيماً"؟ من الواضح إذن أنه لم يكن بعد عظيماً ولكن بعد أن زرع شعيراً وحصد مئة ضعف فحينئذ أصبح "عظيماً جداً".

إن الشعير هو عادةً طعام البهائم أو العبيد في الحقول، وله مظهر خشن يعطي من يلمسه إحساساً بوخز الإبر. فإسحق هو لرمزاً الكلمة الإلهية، تلك الكلمة التي تزرع الشعير في الناموس والقمح في الأنجيل. فهو يعد القمح طعاماً للكاملين والروحيين والشعير للجهلاء والبهائم<sup>٣٨</sup>، لأنه مكتوب "الناس والبهائم تخلص يا رب"<sup>٣٩</sup>. لقد زرع إسحق إذاً شعيراً، مثل كلمة الناموس، ومع ذلك حصل على "مئة ضعف"<sup>٤٠</sup> شعير، لأنك تجد في الناموس أيضاً شهداء يحصدون "مئة ضعف"<sup>٤١</sup>. أما ربنا الذي هو إسحق الأنجيلي، فقد كان يطعم الرسل بما هو أكثر كمالاً، في حين كان يخاطب الجموع بأشياء سهلة وبسيطة<sup>٤٢</sup>. هل تريد الدليل على أنه كان يقدم بنفسه أطعمة من شعير للمبتدئين؟ مكتوب في الأنجيل أن المسيح أعطى الجموع ليأكلوا مرة أخرى<sup>٤٣</sup>. لكن الذين أطعمهم أول مرة، أي المبتدئين، فهؤلاء أطعمهم "أرغفة شعير"<sup>٤٤</sup>، ثم بعد ذلك قدم لهم، حين تقدموا بالفعل في الكلام والتعليم، خبزاً من القمح<sup>٤٥</sup>.

<sup>٣٨</sup> ارجع إلى أوريجينيس في تعليقه على إنجيل يوحنا ١٣: ٣٣.

<sup>٣٩</sup> انظر: مز ٣٥: ٧ (حسب السبعينية).

<sup>٤٠</sup> انظر: مت ١٣: ٨.

<sup>٤١</sup> ارجع إلى عظات أوريجينيس على يشوع ٢: ١ "أنت ترى ثمار الأرض الجيدة تتضاعف في الكنيسة إلى ثلاثين وستين ومنة للواحد، أقصد الأرامل والعداري والشهداء."

<sup>٤٢</sup> انظر: مت ١٣: ٣٤ وما بعده.

<sup>٤٣</sup> انظر: مت ١٥: ٣٢ وما بعده.

<sup>٤٤</sup> انظر: يو ٦: ٩؛ مت ١٤: ١٩ وما بعده.

<sup>٤٥</sup> القديس يوحنا هو فقط الذي ذكر أرغفة الشعير (يو ٦: ٩ - ١٣) ولكنه لم يذكر معجزة ثانية لإشباع الجموع، بينما الرسولان متى ومرقس اللذان قصا كلتا المعجزتين، فقد استخدما في كل منهما مصطلح الخبز العادي الذي كان من قمح (مت ١٤: ١٧؛ ١٥: ٣٦؛ مر ٦: ٤١، ٤٤؛ ٨: ٤، ٥). أما القديس لوقا فقد ذكر فقط أرغفة القمح (لو ٩: ١٣، ١٦).



## البركة التي نالها إسحق

ولكن الكتاب يقول بعد ذلك: "بارك الرب إسحق، وصار عظيمًا جدًا"<sup>٤٦</sup>. لقد كان إسحق الفعلي صغيرًا في الناموس، ولكنه مع الوقت صار عظيمًا. مع الوقت صار عظيمًا بالأنبياء. فطالما كان في الناموس فقط، فهو لا يكون بعد عظيمًا لأن الناموس قد حُجب ببرقع<sup>٤٧</sup>. وقد تعاضم إذن بعد ذلك بواسطة الأنبياء. وحين يتمكن من طرح البرقع، فحينئذ يكون عظيمًا جدًا. عندما تطرح حرفية الناموس مثل القش من الشعير، ويظهر أن "الناموس روحي"<sup>٤٨</sup>، فعندئذ يتعاضم إسحق ويصير "عظيمًا جدًا".

## خبز الكلمة الإلهية

انظر كيف أن الرب أيضًا في الأناجيل لم يكسر سوى عدد قليل من الخبزات، ولكن انظر كم الآلاف التي أُنعشها وكم سلة فاضلة بقيت!<sup>٤٩</sup> فطالما كانت الخبزات كاملة، لا يشبع أحد، ولا ينتعش أحد، ولا يبدو أن الخبزات نفسها تزيد. انظر إذا الآن عدد الخبزات القليل الذي نكسره: فنحن لا نأخذ سوى بعض الكلمات من الكتاب المقدس للعالم كله فنُشبع آلاف الأشخاص! ولكن إن لم يكن هذا الخبز قد كسر، إن لم يكن قد قُطع إلى قطع، لما أمكن أن يصل معناه للعالم كله. عندما نبدأ في استكشاف كل تفصيل بعناية ونعمقه، فحينئذ تأخذ الجموع منه بقدر ما تستطيع وما لم تستطع أن تأخذه يجب أن نجعله ونضعه جانبًا لكي "لا يضيع شيء"<sup>٥٠</sup>. إذا نحن أيضًا نحتفظ بما لم تستطع الجموع أن تأخذه

<sup>٤٦</sup> انظر: تك ٢٦: ١٢ - ١٣.

<sup>٤٧</sup> انظر: ٢ كو ٣: ١٤.

<sup>٤٨</sup> انظر: رو ٧: ١٤.

<sup>٤٩</sup> انظر: مت ١٤: ١٩ وما بعده؛ مت ١٥: ٣٦ وما بعده؛ ١٦: ٩.

<sup>٥٠</sup> انظر: يو ٦: ١٢.

ونجمعه في "قف وسلال". لننظر، حين كسرنا منذ قليل الخبز فيما يخص يعقوب وعيسو، كم الكسر المهمة التي تبقت منه؛ لقد جمعناها بعناية حتى لا تضيع واحتفظنا بها في "قف" أو "سلال" إلى أن يقول لنا الرب ما يجب فعله بها.

### الشرب من منابع الماء الحي

لنأكل من هذا الخبز الآن بقدر الإمكان أو لنستق من هذه الآبار. لنحاول أن ننفذ أيضاً ما توصي به الحكمة حين تقول "اشرب الماء من ينابيعك وآبارك و ليكن ينبوعك لك وحدك"<sup>٥١</sup>. لنحاول إذن، أنت، يا من تسمعي، أن تكون لك بئر وينبوع. وهكذا، حين تأخذ سفر الكتاب، يجب أن تنتج أي تفسير، حتى وفقاً لفكر الخاص، وحاول أن تشرب أنت أيضاً، وفقاً لما تتعلمه في الكنيسة، من ينبوع روحك. فيوجد بداخلك مصدر "الماء الحي"<sup>٥٢</sup>، والقنوات التي لا تتضب، والأنهار المملوءة من الفهم العاقل، شريطة ألا تُسد بالتراب والردم. ولكن لتسرع في حفر وإخراج القاذورات، أي طرد كسل الروح والتخلص من فتور القلب"<sup>٥٣</sup>. أنصتوا إلى ما يقوله الكتاب: "انخس العين، فتسيل دموعاً وانخس القلب فيعطي الفهم"<sup>٥٤</sup>. نق روحك أنت أيضاً لكي تشرب يوماً مياهاً من ينابيعك"<sup>٥٥</sup>، وتستقي الماء الحي من آبارك"<sup>٥٦</sup>. لأنك إن أخذت كلمة الله في داخلك، إن أخذت من يسوع الماء الحي وإن أخذته بإيمان، فتصير الكلمة فيك "ينبوع ماء ينبع إلى

<sup>٥١</sup> انظر: أم ٥: ١٥، ١٨.

<sup>٥٢</sup> انظر: تك ٢٦: ١٩.

<sup>٥٣</sup> ارجع إلى عظات أوريجينيس على سفر العدد ١٢: ١ "تحتاج آبار نفوسنا في الحقيقة إلى حافر آبار ليحفرها، ويجب تنظيفها وإزالة كل ما هو أرضي، حتى تَبعث سحب الأفكار المنطقية التي أخفاها الله فيها مياهاً نقية وصادقة."

<sup>٥٤</sup> انظر: سي ٢٢: ١٩. يتعلق الأمر بلا شك بالفطنة الروحية.

<sup>٥٥</sup> انظر: أم ٥: ١٥.

<sup>٥٦</sup> انظر: تك ٢٦: ١٩.

الحياة الأبدية<sup>٥٧</sup> "بالمسيح يسوع ربنا" الذي له المجد والسلطان إلى أبد  
الأبدين. آمين<sup>٥٨</sup>."

---

<sup>٥٧</sup> انظر: يو ٤ : ١٤ .

<sup>٥٨</sup> انظر: ١ بط ٤ : ١١ رؤ ١ : ٦ .

العظة الثالثة عشرة

آبَارُ إِسْحَاقَ

الآبار التي حفرها إسحاق وطمرها الفلسطينيون



## إسحق والفلسطينيون

١ ونستمر في ذكر أعمال البطارقة المعتادة فيما يتعلق بالآبار.<sup>١</sup> ها هو إسحق، وفقاً للكتاب، بعد أن "باركه الرب وصار عظيماً جداً"<sup>٢</sup>، قد شرع في عمل هام: "فأخذ يحفر آباراً، هذه الآبار التي حفرها عبده في أيام إبراهيم أبيه، ولكن سدها الفلسطينيون وملأوها تراباً"<sup>٣</sup>. لقد سكن أولاً "عند بئر الرؤيا"<sup>٤</sup>؛ وإذ استنار ببئر الرؤيا، حاول أن يحفر آباراً أخرى، لا آباراً جديدة أولاً، ولكن الآبار التي حفرها أباه إبراهيم. ويعد أن حفر البئر الأولى يقول الكتاب "حسده الفلسطينيون"<sup>٥</sup>، إلا أنه لم يدع نفسه يخاف من غيرتهم ولم يستسلم أمام حسدهم: "لقد حفر من جديد الآبار التي حفرها عبدي إبراهيم أبيه، والتي سدها الفلسطينيون بعد موت إبراهيم أبيه، ودعاها بنفس الأسماء التي دعاها بها أبوه"<sup>٦</sup>. وهكذا فقد حفر الآبار التي كان قد حفرها أبوه والتي ملأها الفلسطينيون بالتراب بسوء نية. وحفر أيضاً آباراً جديدة في وادي جرار، لا هو بل عبده، ويقول الكتاب المقدس: "فوجد هناك بئر ماء حي، ولكن خاصم رعاة

١ لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتحدث فيها أوريغينيس عن رمزية الآبار، فهذا الموضوع من الموضوعات المحببة لديه، والذي تناوله كثيراً بالتفسير الرمزي. ونجد الملاحظات الأولى لهذا الموضوع في التعليق على إنجيل يوحنا (آبار السامرية)، وأيضاً في بعض التلميحات السريعة في التعليق على سفر نشيد الأنشاد، ولكنه تناول هذا الموضوع بتعمق أكثر في عظاته على سفر التكوين (٧: ٥، ١٠: ٢، ١١: ٣، ١٢: ٥، ١٣)، كما نجد الحديث عن هذا الموضوع أيضاً في العظة ١٢ من عظات أوريغينيس على سفر الخروج، التي تتناول جميع نصوص الكتاب المقدس التي ورد فيها ذكر الآبار لكي يوضح الاستمرارية الموجودة بين مياه العهد القديم ومياه العهد الجديد. ونلاحظ أن الأفكار المعبر عنها من خلال هذا الموضوع هي ذاتها دائماً، فالآبار عنده ترمز إلى الكتاب المقدس وإلى النفس التي تتأثر على تعاليم الكتاب وأن الكمال الروحي يعتمد على المواظبة على حفرها.

٢ انظر: تك ٢٦: ١٢، ١٣.

٣ انظر: تك ٢٦: ١٨.

٤ انظر: تك ٢٤: ٦٢.

٥ انظر: تك ٢٦: ١٤.

٦ انظر: تك ٢٦: ١٨.

جرار رعاة إسحق قائلين إن الماء كان لهم. فدعا اسم البئر ظلم لأنهم تصرفوا بظلم معه<sup>٧</sup>. ولكن رحل إسحق أمام شرهم "وحفر من جديد بئرًا أخرى وتخاصموا عليها أيضًا، فدعا اسمها عداوة. ثم رحل وحفر أيضًا بئرًا أخرى لم يتخاصموا عليها، فدعا اسمها رحبة، لأنه قال: الآن قد أرحب لنا الله وأثمرنا في الأرض<sup>٨</sup>."

### الأسرار الكامنة في هذا النص

يقول الرسول القديس بحق معتبرًا عظمة الأسرار: "ومن يستطيع إذن أن يدركها؟" وبنفس الطريقة - أو بالحري بطريقة مختلفة طالما أننا أدنى منه - إذ نلاحظ نحن أيضًا هذا المقدار من العمق في أسرار الآبار، نقول: "ومن يستطيع إذن أن يدركها؟" نعم، من ذا الذي يقدر أن يشرح كما ينبغي أسرار هذه الآبار التي بهذا القدر من العمق، والأعمال المتعلقة بها؟ لتتضرع إذن إلى أب الكلمة الحي لكي يتفضل بوضع كلامه في فمنا<sup>٩</sup> حتى نستطيع أن نقدم لعطشكم القليل من الماء الحي<sup>١٠</sup> المستقى من هذه الآبار الغنية والكثيرة.

### إسحق الجديد

٢ هناك إذن الآبار التي قد حفرها عبيد إبراهيم ولكن الفلسطينيين قد ملأوها ترابًا، وقد شرع إسحق برفع ردم هذه الآبار أولاً. إن الفلسطينيين يكرهون المياه ويحبون التراب، أما إسحق فيحب المياه وهو يبحث دائمًا عن آبار ويزيل ردم الآبار القديمة كما أنه يحفر آبارًا جديدة.

٧ انظر: تك ٢٦: ١٩ - ٢٠.

٨ انظر: تك ٢٦: ٢١ - ٢٢.

٩ انظر: ٢ كو ٢: ١٦.

١٠ انظر: أف ٦: ١٩.

١١ انظر: تك ٢٦: ١٩؛ يو ٤: ١٠.

انظر إلى "إسحقنا" الذي "قدم نفسه ذبيحة لأجلنا"<sup>١٢</sup>: لقد جاء إلى وادي جرار الذي يعني اسمه "حائط السياج" أو "حاجز"، وقد جاء لينقض الحائط الفاصل أي العداوة، "في جسده"<sup>١٣</sup>، جاء ليرفع حائط السياج أي الخطيئة التي تفصل بيننا وبين الله؛ حائط السياج الذي يرتفع بيننا وبين الفضائل السمائية، جاء "ليجعل من الاثنين واحداً"<sup>١٤</sup>، والخروف الذي ضل أرجعه "على منكبيه" إلى الجبل وأعادته إلى "التسعة والتسعين الآخرين الذين لم يضلوا"<sup>١٥</sup>. فيريد إسحق هذا إذن، أي مخلصنا، بعدما أصبح في وادي جرار، وقبل كل شيء، أن يزيل ردم الآبار التي كان قد حفرها عبيد أبيه، يريد أن يجدد آبار الناموس والأنبياء التي سدها الفلسطيونيون.

### الفلسطيونيون الجدد

لكن من هم هؤلاء الذين يملأون الآبار تراباً؟ إنهم بلا شك هؤلاء الذين يعطون الناموس معنى أرضياً جسدياً، وينكرون أن له مدلولاً روحياً ومستيقياً، بحيث لا يرتوون منه ولا يدعون الآخرين يرتوون. اسمع إسحق، أي ربنا يسوع متحدثاً في الأناجيل: "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون لأنكم خطفتم مفتاح المعرفة، فما دخلتم أتمم والذين يريدون أن يدخلوا منعتموهم"<sup>١٦</sup>. هؤلاء هم إذن الذين ملأوا "الآبار التي حفرها خدام إبراهيم" تراباً، هم يعلمون الناموس بشكل جسدي ويلوثون مياه الروح القدس<sup>١٧</sup>، هؤلاء يملكون آباراً لا ليخرجوا منها ماءً ولكن ليلقوا فيها تراباً. هذه هي الآبار التي يحاول إسحق أن

<sup>١٢</sup> انظر: أف ٥ : ٢.

<sup>١٣</sup> انظر: أف ٢ : ١٤.

<sup>١٤</sup> انظر: أف ٢ : ١٤.

<sup>١٥</sup> انظر: مت ١٨ : ١٢؛ لو ١٥ : ٦.

<sup>١٦</sup> انظر: لو ١١ : ٥٢ ومت ٢٣ : ١٣.

<sup>١٧</sup> نفس التعبير ورد في العظة ١٠ : ٢.



يحضرها. لئر كيف شرع في ذلك.

### طريقة إسحق الجديدة

ومثل خدام إسحق، استمعوا إلى رسل ربنا الذين يقول الكتاب إنهم كانوا "يجتازون بين الزروع يوم السبت ويقطفون السنابل ويأكلونها وهم يفركونها في أيديهم"<sup>١٨</sup>. ويوجد هنا انعكاس لهؤلاء الذين قد سدوا آبار أبيه<sup>١٩</sup> حيث قالوا: "هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبت"<sup>٢٠</sup>. ولكنه، حتى يفرغ عقلهم المملوء ترابًا، يقول لهم: "أ ما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه، كيف دخل عند أبياتار رئيس الكهنة وأكل هو وخدامه خبز التقدمة، الذي لم يحل أكله إلا للكهنة فقط"<sup>٢١</sup>، ويضيف: "قلو فهتم هذا القول: إنني أريد رحمة لا ذبيحة، لما حكمتم على الأبرياء"<sup>٢٢</sup>. أما هم، فبماذا أجابوه؟ لقد أخذوا يتشاجرون مع خدامه وقالوا: "هذا الإنسان ليس من الله؛ إذ إنه لا يحفظ السبت"<sup>٢٣</sup>. هذه إذًا هي الطريقة التي حفر بها إسحق الآبار التي كان قد حضرها خدام أبيه<sup>٢٤</sup>.

### الآبار التي حفرها إبراهيم ترمز إلى العهد القديم

وموسى الذي حفر بئر الشريعة هو خادم أبيه، وداود وسليمان

<sup>١٨</sup> انظر: لو ٦: ١.

<sup>١٩</sup> إذا كان إسحق هو رمز للمسيح فإن ابيه هو رمز للآب.

<sup>٢٠</sup> انظر: مت ١٢: ٢.

<sup>٢١</sup> انظر: مت ١٢: ٣ - ٤.

<sup>٢٢</sup> انظر: مت ١٢: ٧؛ هو ٦: ٦.

<sup>٢٣</sup> انظر: يو ٩: ١٦.

<sup>٢٤</sup> نستطيع أن نلاحظ في هذا الجزء الطريقة التي يستشهد بها أوريجينيس بنصوص الكتاب المقدس. فقد قصت الأنجيل الثلاثة حادثة السنابل المفروكة، وقد حرص أوريجينيس على ذكر كل من الثلاثة، مقتبسًا من كل واحدة تأملًا مختلفًا. ونراه يضيف نصًا من إنجيل القديس يوحنا والذي يمكن أن يرجع معناه للواقعة. ومن الجدير بالذكر هنا أن الاستشهادات وإن كانت دقيقة إلا أنها ليست هي النص حرفيًا كلمة بكلمة، لأن أوريجينيس يستشهد بلا شك اعتمادًا على الذاكرة، دون أن يعتبر نفسه مطالبًا بالحرفية.

والأنبياء وكل الذين كتبوا أسفار العهد القديم، التي ردمها التفسير الأرضي والبدائي لليهود، هم [أيضاً] خدام أبيه. وإذ أراد "إسحقنا" الجديد أن ينقي هذا التفسير<sup>٢٥</sup> ويثبت أن جميع ما قاله "الناموس والأنبياء"<sup>٢٦</sup> كان عنه، خاصمه الفلسطينيين. ولكنه رحل، فهو لا يمكنه أن يبقى مع الذين لا يريدون مياهاً في آبارهم، بل تراباً، ويقول لهم: "هوذا بيتكم يترك لكم خراباً"<sup>٢٧</sup>.

### بئر إسحق يرمز إلى العهد الجديد

حفر إسحق إذاً أو بالحري خدامه آباراً جديدة. خدام إسحق، متى ومرقس ولوقا ويوحنا وبطرس ويعقوب ويهوذا وبولس الرسول: الكل سقاة من العهد الجديد<sup>٢٨</sup>. ولكن بالنسبة لهذه الآبار أيضاً يتشاجر "الذين لا يقدرون إلا الأراضيات"<sup>٢٩</sup>، والذين لا يحتملون لا أن نكتشف بئراً جديدة ولا أن ننقي البئر القديمة. هؤلاء هم من يقاومون الآبار الإنجيلية وهم أعداء الآبار الرسولية، ولأنهم يعترضون على كل شيء ويتنازعون بصدد كل شيء لذلك قيل لهم: "بما أنكم حكمتم أنكم غير مستحقين لنعمة الله، هوذا من الآن نتوجه إلى الأمم"<sup>٣٠</sup>.

### فهم سر الثالوث

٣ وبعد ذلك حفر إسحق بئراً ثالثة دعاها "رحبة"، قائلاً: "إنه الآن

<sup>٢٥</sup> لا تكتمل حقيقة العهد القديم بالنسبة لأوريجينيس في التفسير الحرفي والتاريخي له، وإنما في إظهار اكتماله وإتمام نبواته ورموزه في المسيح. لذلك يُعتبر الشرح (الرمزي أو المجازي أو الروحي) الذي قدمه أوريجينيس تفسيراً للأشياء القديمة بالأشياء الجديدة؛ للأشياء المرئية السابقة بالأشياء غير المرئية الحاضرة؛ ولعالم اليهود الجسدي بعالم المسيحيين الروحي. وهو يتمثل إجمالاً في إيجاد تطابق بين العهدين.

<sup>٢٦</sup> انظر مثلاً مت ٧: ١٢؛ يو ٥: ٤٦.

<sup>٢٧</sup> انظر: مت ٢٣: ٣٨.

<sup>٢٨</sup> هناك قائمة شبيهة في عظات أوريجينيس على يشوع ٧: ١.

<sup>٢٩</sup> انظر: في ٣: ١٩.

<sup>٣٠</sup> انظر: أع ١٣: ٤٦؛ ١٨: ٦.

قد أرحب لنا الرب وأثمرنا في الأرض<sup>٣١</sup>. "حقًا لقد وُضع إسحق في الرحب في وقتنا هذا وتعاضم اسمه على الأرض كلها حين أوصل من أجلنا معرفة الثالوث إلى كمال أثرها<sup>٣٢</sup>. لأنه قديمًا "لم يكن الله معروفًا إلا في يهوذا ولم يكن اسمه يدعى إلا في إسرائيل<sup>٣٣</sup>"، في حين الآن فقد "ذاع عبر كل الأرض صوتهم وإلى أقصى المسكونة أقوالهم<sup>٣٤</sup>؛ وإذا انتشروا في العالم أجمع، حضر خدام إسحق فيه آبارًا وأظهروا للجميع "الماء الحي"<sup>٣٥</sup>، "معمدين جميع الأمم باسم الأب والابن والروح القدس<sup>٣٦</sup>"، لأن "لرب الأرض وكل ملئها<sup>٣٧</sup>".

### المعنى الروحي للنص الكتابي

وبالتالي فإن أي واحد منكم يقدم كلمة الله، يحضر بذلك بئرًا ويبحث عن "الماء الحي" الذي يستطيع أن يعزي به مستمعيه. وإن شرعت أنا أيضًا في شرح أقوال القدامى، وإن بحثت عن معنى روحي لها، إن حاولت أن أرفع البرقع عن الناموس وأن أثبت أن المكتوب له معنى رمزيًا<sup>٣٨</sup>، فأنا من جهتي بذلك أحضر آبارًا. ولكن سوف يثير في الحال مجبي "الحرف" افتراءات ضدي وينصبون فخاخًا، وسوف يدبرون فورًا إجراءات عدائية وملاحقات<sup>٣٩</sup>، منكرين أن الحقيقة من الممكن

<sup>٣١</sup> انظر: تك ٢٦ : ٢٢.

<sup>٣٢</sup> نرى نفس هذا الفكر في القديس غريغوريوس الذي يخاطب المسيح (إسحق الجديد) الذي أعطانا معرفة الثالوث القدوس: "أيها الكائن السيد الرب، الإله الحق من الإله الحق. الذي أظهر لنا نور الأب. الذي أنعم علينا بمعرفة الروح القدس الحقيقية."

<sup>٣٣</sup> انظر: مز ٧٥ : ٢ (حسب السبعينية).

<sup>٣٤</sup> انظر: مز ١٨ : ٥ (حسب السبعينية).

<sup>٣٥</sup> انظر: تك ٢٦ : ١٩.

<sup>٣٦</sup> انظر: مت ٢٨ : ١٩.

<sup>٣٧</sup> انظر: مز ٢٣ : ١ (حسب السبعينية).

<sup>٣٨</sup> انظر: غل ٤ : ٢٤.

<sup>٣٩</sup> يشكو أوريجينيس من أعدائه ومضايقاتهم المستمرة له (انظر أيضًا العظة ٦ : ٣)، حيث قد عرّضه تفضيله للتفسير الروحي لهجوم مزدوج من فريقين. الفريق الأول: المتمسكون بالحرف واليهود والإيبونيون والمسيحيون المقاومين للتفسير الرمزي. ويبدو، من خلال

أن تبقى في مكان آخر غير الأرض<sup>٤١</sup>. أما نحن، فإن كنا خداماً لإسحق، فلنحب آبار الماء الحي والينابيع؛ لنبتعد عن هؤلاء المزعجين والكذابين، ولنتركهم في الأرض التي يحبونها، ولنصر، شارحين تارة من القديم وطوراً من الجديد، مشابهين لكاتب الإنجيل هذا، الذي قال الرب عنه إنه "يخرج من كنزهِ جِداً وعتقاء"<sup>٤٢</sup>.

### عجز العلوم الوثنية

وإن كان بين من يسمعي أخطب الآن أحد المنكبين على الآداب الدنيوية، فربما يفكر هكذا لويقول: "أنت تقتبس منا ما تقوله وهذا علم مهنتنا؛ وهذه البلاغة التي تتكلم وتعلم بها تخصنا"، ويخاصمني مثل الفلسطيني الذي يقول: "لقد حفرت بئرَكَ في أرضي" متخيلاً أنه يطالب بحق ما هو خاص به.

وأجيب على ذلك بأن كل الأراضي تحتوي على مياه، ولكن من كان فلسطينياً "ولا يقدر إلا الأرضيات"<sup>٤٣</sup>، لا يعرف أن يكتشف ماء في أي أرض، ولا يعرف أن يكتشف الحكمة وصورة الله في كل نفس، ولا يدرك أنه من الممكن أن يكون عند الجميع إيمان وتقوى ووازع ديني. فماذا يجديك التعلم إن لم تعرف كيف تستخدمه، وبماذا تفيدك الكلمة إن لم تستطع الكلام؟

ملاحظة احتياطات وإعدادات أوريجينيس الخطابية للرد عليهم في عظاته، أن نسبة لا يستهان بها من الشعب كانت تنتمي لهذا الفريق. والفريق الثاني: المنفقون الوثنيون الذين كانوا يعتقدون أنهم يحتكرون الحق في استخدام الرمزية، وقد اتهموا أوريجينيس بانتحال أساليبهم، أو على الأقل باستخدامها بلا حق من أجل تفسير الكتاب المقدس.

<sup>٤١</sup> نكتشف من تلك الملاحظة، تأثر أوريجينيس بطريقة أفلاطون في التعبير عن أفكاره. فإن كان أفلاطون يقول إن الأشياء الأرضية هي ظل الأفكار الأبدية، هكذا أيضاً الأشياء المكتوبة في العهد القديم هي بالنسبة لأوريجينيس ظل الحقائق فوق الطبيعية التي عاشتها الكنيسة في العهد الجديد. و نلاحظ الاستخدام المتكرر لكلمة "أرضي" (terrenus) للإشارة إلى المعنى الضيق الذي يعطيه الفريسيون ومن يحاكيهم للكتاب المقدس.

<sup>٤٢</sup> انظر: مت ١٣: ٥٢.

<sup>٤٣</sup> انظر: في ٣: ١٩.

هنا تحديداً يكمن عمل خدام إسحق: فهم يحفرون "آبار ماء حي" في كل أرض، أي أنهم يبشرون بـ "كلمة الله" لكل نفس ويجتثون ثمرًا.

### بولس خادم إسحق الجديد

هل تريد أن ترى في النهاية أية آبار كبيرة حفرتها خدام واحد من خدام إسحق في أرض غريبة؟ انظر إلى بولس الرسول الذي "من اورشليم وما حولها إلى إليريكون، قد أوصل إنجيل الله إلى كل موضع"<sup>٤٣</sup>. ولكنه تعرض لاضطهادات الفلسطينيين عند كل بئر من هذه الآبار، اسمعه حين يقول: "أية مضايقات في إيقونية ولسترة"<sup>٤٤</sup>، أية مضايقات في أفسس<sup>٤٥</sup>! كم مرة ضرب وكم مرة رُجم<sup>٤٦</sup>؟ كم مرة صارح الوحوش؟ إلا أنه ثابر إلى أن وصل "إلى السعة"<sup>٤٧</sup> أي إلى أن أقام كنائس على امتداد الأرض كلها.

### الظماً الروحي قبل مجيء إسحق الحقيقي

هكذا إذاً فإن الآبار التي حفرتها إبراهيم، أي كتابات العهد القديم، قد امتلأت تراباً بواسطة الفلسطينيين، الذين نعتبرهم معلمين الأردباء أو كتبة وفريسيين أو أيضاً القوى المعادية، وسُدت قنواتهم لكي لا تتمكن من إعطاء أبناء إبراهيم للشرب منها. نعم، هذا الشعب لا يستطيع أن يشرب من هذه الكتابات، يؤلمه "العطش لكلمة الله"<sup>٤٨</sup>، حتى مجيء إسحق الذي يفتح الآبار التي سيشرب منها خدامه. فلنشكر المسيح ابن إبراهيم المكتوب عنه: "كتاب

<sup>٤٣</sup> انظر: رو ١٥: ١٩.

<sup>٤٤</sup> انظر: تي ٢: ٣: ١١.

<sup>٤٥</sup> انظر: ١ كو ١٥: ٣٢.

<sup>٤٦</sup> انظر: ٢ كو ١١: ٢٥.

<sup>٤٧</sup> انظر: ٢ صم ٢٢: ٤٠؛ مز ١٧: ٢٠ (حسب السبعينية).

<sup>٤٨</sup> انظر: عا ٨: ١١.

سلسلة نسب يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم<sup>٤٩</sup>، الذي جاء وفتح لنا الآبار. لأن هذه هي الآبار التي فتحها للذين كانوا يقولون: "أ لم يكن قلبنا ملتهباً فينا حين كان يكشف لنا الكتب؟" وهكذا فتح هذه الآبار، ويقول الكتاب إنه "دعاها بأسماء كالأسماء التي دعاها بها إبراهيم أبوه"<sup>٥١</sup>، فهو في الواقع لم يغير أسماء الآبار.

### يسوع المسيح يعطي معنى جديداً للشريعة

قد نتعجب من أن موسى لا يزال يُسمى عندنا موسى وكذلك كل نبي من الأنبياء. وفي الواقع، لم يغير المسيح أسماءهم ولكنه غير طريقة فهمها. لقد غيرها المسيح بحيث أصبحنا لا نهتم بعد "بالخرافات اليهودية"<sup>٥٢</sup> و"بالأنساب التي لا حد لها"<sup>٥٣</sup>، لأن هذه الأمور "تُصرف المسامح عن الحق، وتحولها إلى الخرافات"<sup>٥٤</sup>.

لقد فتح الآبار إذاً وعلمنا ألا نبحث عن الله في مكان محدد، ولكن أن نعرف أنه "على كل الأرض تقرب لاسمه ذبيحة"<sup>٥٥</sup>، فالآن هو الوقت الذي فيه "الساجدون الحقيقيون يعبدون الآب"، وليس في أورشليم، ولا على جبل جرزيم، "بل بالروح والحق"<sup>٥٦</sup>. فالله لا يسكن إذن في مكان محدد على الأرض، ولكنه يسكن في القلب. هل تبحث عن مسكن الله؟ قلبٌ نقيٌّ، هذا هو مسكنه. لأنه يقول إنه سيقم في هذا المسكن حين يقول: "إني سأسكن وأسير بينهم، وهم

<sup>٤٩</sup> انظر: مت ١: ١.

<sup>٥٠</sup> انظر: لو ٢٤: ٣٢.

<sup>٥١</sup> انظر: تك ٢٦: ١٨.

<sup>٥٢</sup> انظر: تي ١: ١٤.

<sup>٥٣</sup> انظر: ١ تي ٤: ٤.

<sup>٥٤</sup> انظر: ٢ تي ٤: ٤.

<sup>٥٥</sup> انظر: ملا ١: ١١.

<sup>٥٦</sup> انظر: يو ٤: ٢٠ - ٢٣.

يكونون شعبي وأنا أكون إلههم، يقول الرب <sup>٥٧</sup>."

## الروح: بئر الماء الحي

ويتفق أن كل نفس منا تحتوي على بئر ماء حي، وأنه مخبأ بداخلها شيء من الحس السماوي وصورة الله. هذه هي البئر التي سدها الفلسطينيون، أي القوى المعادية، بالتراب. وبأي تراب؟ بالمشاعر الجسدية والأفكار الأرضية ولذلك قد "لبسنا صورة الترابي" <sup>٥٨</sup>. "وإذن فحين كنا نلبس صورة الترابي، قام الفلسطينيون بسد آبارنا، ولكن الآن وقد جاء إسحق الجديد (إسحقنا)، فلنستقبل مجيئه ونحفر آبارنا؛ لنرفع التراب منها، ولننقها من كل القاذورات ومن كل فكر موحد وأرضي، وسنجد فيها الماء الحي، هذا الماء الذي يقول عنه الرب: "من آمن بي، تجري من بطنه أنهار ماء حي" <sup>٥٩</sup>. "لاحظ كم أن الرب كريم: لقد طمر الفلسطينيون الآبار وتشاجروا معنا على مجارٍ مائية شحيحة وهزيلة، فرد لنا الرب مكانها منابع وأنهاراً.

## صورة الله داخل الروح

٤ أنتم إذاً، يا من تنصتون إليّ اليوم، إذا قبلتم بإيمان ما تسمعون، فيعمل إسحق بداخلكم أنتم أيضاً ويطهر قلوبكم من المشاعر الأرضية. وإذ ترون أن مثل هذه الأسرار العميقة مخبأة في الكتاب المقدس، فإنكم تتقدمون في الفهم، وترتقون في المشاعر الروحية وتصيرون بدوركم معلمين وتتبع منكم "أنهار ماء حي" <sup>٦٠</sup>.

بيد أن كلمة الله هو هناك وفعله الحالي هو أن يزيح التراب من

<sup>٥٧</sup> انظر: ٢ كو ٦: ١٦؛ لا ٢٦: ١٢.

<sup>٥٨</sup> انظر: ١ كو ١٥: ٤٩.

<sup>٥٩</sup> انظر: يو ٧: ٣٨.

<sup>٦٠</sup> انظر: يو ٧: ٣٨.

كل نفس من نفوسكم، وأن يفتح ينبوعك<sup>٦١</sup>، فهو في الواقع بداخلك ولا يأتي من الخارج كما أن "ملكوت الله بداخلك"<sup>٦٢</sup>. والمرأة التي أضاعت درهما، فإنها لم تجده خارجاً ولكن في بيتها: لقد "أوقدت سراجها وكنست بيتها"<sup>٦٣</sup> من القاذورات والأوساخ التي تراكمت فيه زماناً طويلاً بواسطة الكسل والغباء، وهناك وجدت درهما. أما أنت، فإذا أضأت سراجك، إذا التجأت لإنارة الروح القدس، ورأيت "النور في نوره"<sup>٦٤</sup>، فستجد الدرهم بداخلك، لأنه قد وضعت فيك صورة الملك السماوي. ففي البداية عندما خلق الله الإنسان "عمله على صورته وشبهه"<sup>٦٥</sup>، ولم يضع هذه الصورة بالخارج ولكنه بداخله. وهي لا يمكن أن تظهر فيك طالما كان بيتك ممتلئاً بالقاذورات والأوساخ. نبع المعرفة هذا كان بداخلك لكن لم يكن من الممكن أن يتدفق لأن الفلسطينيين كانوا قد ملأوه بالتراب وعملوا فيك "صورة الترابي"<sup>٦٦</sup>، وهكذا لبست قديماً صورة الترابي، لكن الآن بعد ما سمعته للتو؛ وإذ تخلصت بواسطة كلمة الله من كتلة التراب الكبيرة هذه التي كانت تضايقتك، فلتجعل "صورة الله" تتبلج فيك.

## صورة الله والخطية

هذه إذاً هي الصورة التي قال الأب للابن عنها: "لنعمل الإنسان

<sup>٦١</sup> لقد ذكر أوريجينيس سابقاً أن الأبار تمثل الكتاب المقدس، ولكنه هنا يذكر أنها تمثل النفس. والفكرتان ليستا قريبتين، ولكنهما مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً في فكر أوريجينيس. فالنفس والكتاب المقدس ينبضان بنفس الحياة ويسكنهما نفس اللوغوس الذي يبعث فيهما كنوزه في ظواهر محجوبة نوعاً ما في حالة الكتاب المقدس، وفي عمق الحياة الداخلية في حالة النفس. وفي كلتا الحالتين، تظهر نفس الحياة الروحية المتحدرة من حياة الله ذاتها، فالثالوث هو مستوى المياه العميق الذي لا ينضب والذي يتغذى منه هذان البيران. ولهذا يجب حتماً أن يفسر الكتاب المقدس بمعنى روحي مثلما يجب للنفس أن تحمل فيها صورة إلهية.

<sup>٦٢</sup> انظر: لوقا ١٧: ٢١.

<sup>٦٣</sup> انظر: لوقا ١٥: ٨.

<sup>٦٤</sup> انظر: مز ٣٥: ١٠ (حسب السبعينية).

<sup>٦٥</sup> انظر: تك ١: ٢٦؛ تك ٥: ١.

<sup>٦٦</sup> انظر: ١ كو ١٥: ٤٩.



على صورتنا كشبهنا<sup>٦٧</sup>. إن رسام تلك الصورة هو ابن الله<sup>٦٨</sup>، وهو رسام بهذه الجودة وهذه القدرة بحيث لصورته أن تظلم بفعل الإهمال ولكنها لا تتلف بفعل المكسر. تبقى صورة الله دائماً فيك<sup>٦٩</sup> حتى وإن وضعت عليها "صورة الترابي".

أنت رسام تلك الصورة لصورة الترابي. فهل أكمدتك الشهوة؟ فما أنت قد وضعت لونا أرضياً. هل يلهبك الطمع؟ فما قد مزجت لونا آخر. هل صيرك الغضب قاسياً؟ ها إنك تضيف لونا ثالثاً. والكبرياء أيضاً يضيف لونا آخر، وكذلك العقوق. وهكذا فإنك ترسم أنت بنفسك من خلال كل نوع من أنواع المكسر، ومن خلال جميع الألوان المختلفة، "صورة الترابي" التي لم يضعها الله فيك. ولذا يجب علينا أن نتضرع إلى من يقول بالنبي "ها أنا أمحو كغيم ذنوبك وكدخان خطاياك<sup>٧٠</sup>"، وحين يكون قد محى فيك كل هذه الألوان المأخوذة من الخبث، فحينئذ تسطع فيك "الصورة" التي خلقها الله. أنت ترى إذاً كيف أن الكتاب المقدس يعمد إلى أساليب في التعبير وإلى رموز ليعلم النفس أن تعرف ذاتها وأن تتطهر.

### كتابة الخطية وكتابة الروح القدس

هل تريد أن ترى أيضاً شكلاً آخر لهذه الصورة؟ إذن، فهناك الصك الذي يكتبه الله والصك التي نكتبه نحن. أما نحن فنكتب صك الخطية. اسمع الرسول: "إذ محا الصك المكتوب ضدنا مع أحكامه، والذي كان ضدنا لنا، قد أزاله مسمراً إياه بالصليب<sup>٧١</sup>".

<sup>٦٧</sup> انظر: تك ١: ٢٦.

<sup>٦٨</sup> نجد صدى هذه الفكرة عند ق. أثناسيوس في كتاب تجسد الكلمة ٣: ٣.

<sup>٦٩</sup> نرى هنا التعليم الأبائي الشرقي في أن الصورة الإلهية تظلم أو تتشوه ولكنها لا تتعدم من الإنسان.

<sup>٧٠</sup> انظر: إش ٤٤: ٢٢.

<sup>٧١</sup> انظر: كو ٢: ١٤.

هذا الصك الذي يتحدث عنه كان "وثيقة" بخطايانا، لأن كل واحد منا يعتبر مديناً بخطاياه ويكتب صك (الإقرار) بخطيئته<sup>٧٢</sup>. وفي محكمة الله التي يصف دانيال النبي جلستها، يقول إن هناك "أسفاراً مفتوحة"<sup>٧٣</sup> تحتوي دون أدنى شك على خطايا البشر. فنحن قد كتبناها إذاً بخطايانا. وفي الإنجيل، ويمثل ذلك في المثل الإنجيلي الذي لوكيل الظلم<sup>٧٤</sup> الذي يقول لكل مدين: "خذ صكك واجلس واكتب: ثمانين"<sup>٧٥</sup>، وما يليه. أنت ترى إذاً أنه قد قيل لكل مدين "خذ صكك"، ويبرز من هنا أن صكنا هو صك خطايا. أما الله فيكتب صك العدل لأن الرسول يقول ذلك: "إنكم رسالة مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحي، لا في ألواح حجرية بل في ألواح لحمية، في قلوبكم"<sup>٧٦</sup>. فلديك إذاً بداخلك صك الله، صك الروح القدس، ولكن إذا أخطأت، فإنك توقع إقراراً بالخطية. لاحظ أنك حين أتيت إلى صليب السيد المسيح وإلى نعمة المعمودية، فإن إقرارك بالدين قد سُمر على الصليب<sup>٧٧</sup> ومُحِيَ في ماء المعمودية، فلا تُعد كتابة ما تم محوه ولا تعد ما تم إبطاله: لا تحتفظ بداخلك سوى برسالة الله، وكتابة الروح القدس وحدها هي التي ينبغي أن تبقى بداخلك.

## لنحفر آبارنا مع إسحق الجديد

لكن لنرجع إلى إسحق ونحفر معه آبار ماء حي. يمكن للفلسطينيين أن يثيروا اعتراضات ونزاعات، فعلينا ألا نتوقف عن

<sup>٧٢</sup> لاحظ العلاقة بين الصك الذي نكتبه بخطايانا والصورة الإلهية التي خلقها الله فينا. وقد ذكر أوريجينيس أن الخطايا تغطي تلك الصورة ولا تجعلها تسطح فينا. فالصورة هي هبة من الله وبالخطية تتوارى تلك الصورة ونصبح مدينين "بسبب الخطايا" باستعادة إشراقها فينا.

<sup>٧٣</sup> انظر: دا ٧: ١٠.

<sup>٧٤</sup> انظر: لو ١٦: ٨.

<sup>٧٥</sup> انظر: لو ١٦: ٧.

<sup>٧٦</sup> انظر: ٢ كو ٣: ٣ - ٢.

<sup>٧٧</sup> انظر: كو ٢: ١٤.

المتأثرة مع إسحق في حفر الآبار حتى يُقال لنا نحن أيضًا: "اشرب مياهًا من آينتك ومن آبارك"<sup>٧٨</sup>. "ولنحفر حتى تفيض مياه البئر على "ساحاتنا"<sup>٧٩</sup>، لكي لا يكفي علم الكتاب لنا نحن فقط ولكن لكي نعلم الآخرين ونثقفهم، لكي ما يشرب البشر والبهائم أيضًا. اسمعوا أيها الحكماء واسمعوا أيها البسطاء: "معلم الكنيسة مدين للحكماء كما للجهلاء"<sup>٨٠</sup>، فيجب عليه أن يسقي البشر وأن يسقي البهائم<sup>٨١</sup> لأن النبي قال: "يا رب أنت تخلص الناس والبهائم"<sup>٨٢</sup>. من أجل هذا، فليفضل الرب نفسه، يسوع المسيح مخلصنا وبنيرنا ويظهر قلوبنا "له المجد والسلطان إلى أبد الأبدين. آمين"<sup>٨٣</sup>.

<sup>٧٨</sup> انظر: أم ٥: ١٥.

<sup>٧٩</sup> انظر: أم ٥: ١٦.

<sup>٨٠</sup> انظر: رو ١: ١٤.

<sup>٨١</sup> إن المستمعين إلى أوريجينيس لا يشعرون بالإهانة حين يتم تشبيه بعضهم بالبهايم، فهم يعلمون جيدًا أن البعض "كامل" والبقية ليست كذلك كما جاء في الكتاب المقدس: لأن "قديسو" العهد القديم هم رمز "للكاملين" في حين ينطبق غالبًا ما قيل عن الحيوانات، على "المبتدئين". والبهايم التي أدخلها نوح إلى الأجزاء السفلية من الفلك هي النفوس القاسية التي لم تسكنها بعد حلاوة الإيمان (العظة ٢: ٣)، أما الجمال التي كانت تصاحب خادم إسحق فهي النفوس غير المهذبة التي تبدو جاهلة وعنيدة أمام الأسرار المسيحية (العظة ١٠: ٢).

<sup>٨٢</sup> انظر: مز ٣٥: ٧ (بحسب السبعينية).

<sup>٨٣</sup> انظر: ١ بط ٤: ١١؛ رؤ ١: ٦.

العظة الرابعة عشرة

ظُهُورُ اللَّهِ إِسْحَاقَ  
وَالْعَهْدُ بَيْنَ إِسْحَاقَ وَأَيْمَالِكَ

ظهور الله لإسحاق عند بئر سبع  
العهد الذي قطعه مع أيمالك



## تنوع طرق الإشارة للمسيح في الكتاب المقدس

١ مكتوب في النبي من قبل الرب الذي يتكلم: "وييد الأنبياء أخذت أمثالاً"، وهو ما يعني أن ربنا يسوع المسيح، على الرغم من أنه وحيد بجوهرة وابن الله بالكامل، فإنه يبدو متنوعاً ومتعددًا في صور وأساليب حديث الكتاب<sup>٢</sup>. وهكذا، على سبيل المثال، أتذكر أنني شرحت في الأحاديث السابقة<sup>٣</sup> أن إسحق المقدم كمحرقة كان رمزاً للمسيح في حين أن الكبش أيضاً كان صورة له. بل وأذهب إلى أبعد من ذلك وأقول إن المسيح هو المصوّر في الملاك الذي كلم إبراهيم والذي قال له: "لا تمد يدك إلى الغلام؛" لأنه يقول مرة ثانية: "إني من أجل أنك تمت هذا القول، أباركك<sup>٤</sup>". ويقول الكتاب إنه الخروف أو الحمل الذي يُذبح للفصح<sup>٥</sup>، ويعرفه أيضاً كراعي الخراف<sup>٦</sup>، غير أنه يصوره في رئيس الكهنة الذي يقدم الذبيحة<sup>٧</sup>. وبصفته كلمة الله يسمى العريس<sup>٨</sup>، وبصفته حكمة الله يسمى العروس كما يقول النبي متحدثاً باسمه: "وضع لي تاجاً على رأسي كما لعريس، وأعطاني زينة كما لعروس<sup>٩</sup>". وهناك رموز أخرى كثيرة سيكون من المطول جداً شرحها الآن.

١ انظر: هو ١٢: ١١.

٢ أكد أوريجينيس بشدة على وحدة ابن الله في ظل تنوع المسميات والصور والمظاهر التي يعطيها إياه الكتاب المقدس. فإن ذكرنا للجوانب المختلفة التي نتناول من خلالها ابن الله بكونه حياة ونوراً وحقاً... إلخ أو كحمل وراعٍ وطبيب وطريق... إلخ، كل هذا لا يمس وحدة شخص يسوع المسيح.

٣ ارجع إلى العظة ٨: ١، ٦، ٩.

٤ انظر: تك ٢٢: ١٢.

٥ انظر: تك ٢٢: ١٦ - ١٧.

٦ انظر: ١ كو ٥: ٧.

٧ انظر: يو ١٠: ١١، ١٤؛ عب ١٣: ٢٠.

٨ انظر: عب ٥: ٦.

٩ انظر مثلاً مت ٩: ١٥.

١٠ انظر: إش ٦١: ١٠.

## إسحق هو رمز الله الكلمة في الناموس

ويجب أن نؤمن أنه اقتداءً بالرب الذي يأخذ الشكل المناسب لكل ظرف . وفقاً للزمان والمكان . فإن القديسين أيضاً، الذين كانوا صورته، قد تكيفوا مع الزمان والمكان والظروف ليصوروا أسرارهم. هذا هو ما نراه الآن يحدث في إسحق الذي قرأوه لنا توطأ في الكتاب: "ثم صعد بعد ذلك إلى بئر القسم، فظهر له الرب في تلك الليلة وقال له: أنا إله إبراهيم أبيك. لا تخف لأنني معك، وأباركك وأكثر نسلك من أجل إبراهيم أبيك"<sup>١١</sup>. وقد أشار لنا بولس الرسول إلي رمزين في إسحق: الأول عندما قال إن إسماعيل بن هاجر يمثل الشعب بحسب الجسد وإسحق الشعب المؤمن<sup>١٢</sup>، والآخر حين يكتب: "لم يقل: وفي أنسالك كأنه عن كثيرين، بل في نسلك كأنه عن واحد: الذي هو المسيح"<sup>١٣</sup>، فإسحق هو إذن رمز للشعب ورمز للمسيح. فمن المؤكد أن المسيح، باعتباره كلمة الله، يتحدث ليس فقط في الأنجيل ولكن أيضاً في الناموس والأنبياء، إلا أنه يعلم في الناموس المبتدئين وفي الأنجيل يعلم الكاملين<sup>١٤</sup>. ومن ثم يمثل إسحق هنا "الكلمة" الذي في الناموس أو الأنبياء.

## صعود إسحق

٢ "صعد إسحق إذاً إلى بئر القسم وظهر له الرب"<sup>١٥</sup>. لقد سبق أن قلنا<sup>١٦</sup> إن جمال الهيكل والفرائض الإلهية التي كانت تقام فيه هو

<sup>١١</sup> انظر: تك ٢٦: ٢٣ - ٢٤.

<sup>١٢</sup> انظر: غل ٤: ٢٢.

<sup>١٣</sup> انظر: غل ٣: ١٦.

<sup>١٤</sup> في عظات أوريجينيس على سفر اللاويين ١: ٤، لا نرى نوعين فقط من المسيحيين بل ثلاثة: المبتدئين والمتقدمين في طريق الكمال والكاملين.

<sup>١٥</sup> انظر: تك ٢٦: ٢٣ - ٢٤.

<sup>١٦</sup> ارجع إلى العظة ٥: ٥.

بمثابة "صعود للشريعة"، والتقدم الذي أحرزه الأنبياء من الممكن أن يدعى أيضاً "صعوداً". وربما لذلك قيل إن "إسحق قد صعد إلى بئر القسم وظهر له الرب هناك." فبالأنبياء "أقسم الرب - ولن يندم - أنه هو نفسه كاهناً إلى الأبد على رتبة ملكي صادق"<sup>١٧</sup>. لقد ظهر له الله إذًا عند بئر القسم مؤكداً الوعود التي كان لا بد وأن تتحقق فيه.

### خيمة إسحق

"فرجع هناك مذبجاً ودعا باسم الرب. ونصب هناك خيمته، وحضر عبيد إسحق بئراً في ذلك الموضع"<sup>١٨</sup>. وفي الناموس، يرفع إسحق أيضاً مذبجاً وينصب خيمته، أما في العهد الجديد، فهو لا ينصب خيمة وإنما يبني بيتاً ويضع أساسات. أنصت إلى الحكمة وهي تتحدث عن الكنيسة: "الحكمة بنت بيتاً لها ووضعت سبعة أعمدة في القاعدة"<sup>١٩</sup>. أنصت أيضاً إلى بولس الرسول حول نفس الموضوع: "فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وضع، الذي هو يسوع المسيح"<sup>٢٠</sup>. فعندما تكون هناك خيمة، فمن الواضح أنها سوف تزول يوماً ما، حتى وإن تم تثبيتها جيداً، ولكن حين تكون هناك أساسات ويكون البيت مبنياً "على الصخر" فهذا البيت لا يزول أبداً لأنه "مؤسس على الصخر"<sup>٢١</sup>.

غير أن إسحق يحضر بئراً هنا أيضاً، ويحضر دون توقف إلى أن يتدفق "ينبوع الماء الحي"<sup>٢٢</sup> ويفرح مجرى النهر مدينة الله"<sup>٢٣</sup>.

<sup>١٧</sup> انظر: مز ١٠٩: ٤ (حسب السبعينية).

<sup>١٨</sup> انظر: تك ٢٦: ٢٥.

<sup>١٩</sup> انظر: أم ٩: ١.

<sup>٢٠</sup> انظر: ١ كو ٣: ١١.

<sup>٢١</sup> انظر: مت ٧: ٢٤.

<sup>٢٢</sup> انظر: تك ٢٦: ١٩.

<sup>٢٣</sup> انظر: مز ٤٥: ٥ (حسب السبعينية).



## أبيمالك وإسحق: الفلسفة والإيمان

٣ ولكن أبيمالك، هذا الرجل الذي كان قد حيا إبراهيم منذ قليل، ها هو يصل الآن من جرار مع أصحابه عند إسحق: "وقال لهم إسحق: لماذا أتيتم إلي، أنتم الذين أبغضتموني، وصرفتموني من عندكم؟ فأجابوه: إننا قد رأينا بوضوح أن الرب معك، فقلنا: ليكن هناك حلفاً بيننا وبينك، ولنقطع معك عهداً أن لا تصنع بنا شراً"<sup>٢٤</sup>، إلى باقي ما جاء في الإصحاح. أبيمالك هذا، وفقاً لما أراه، لم يكن دائماً في سلام مع إسحق، ولكنه تارة يختلف معه وأخرى يطلب الصلح معه. وإذا تذكرتم، فنحن قد قلنا عنه في العظات السابقة<sup>٢٥</sup> إنه يقوم بدور العلماء وحكماء هذا العالم الذين، من خلال دراسة الفلسفة، توصلوا إلى معرفة قدر كبير من الحقيقة، فيمكنكم من هنا أن تدركوا كيف لا يمكن لأبيمالك أن يكون في خلاف دائم ولا في سلام دائم مع إسحق الذي يرمز إلى "كلمة الله" الموجود في ناموس. لأن الفلسفة لا تتعارض في كل شيء مع ناموس الله، وهي أيضاً لا تتفق معه في كل شيء. فالكثير من الفلاسفة في الواقع يكتبون أنه يوجد إله واحد خالق كل الأشياء: وهم في ذلك يتفقون مع ناموس الله. بل إن بعضهم قد أضاف أن الله صنع كل شيء ويدير الكل بكلمته وأن كلمة الله يحكم كل شيء، متفقين في ذلك ليس فقط مع ناموس ولكن أيضاً مع الأنجيل. والفلسفة المسماة أخلاقية وطبيعية تعتقد في مجملها تقريباً فيما نعتقده نحن، إلا أنها تختلف معنا حين تقول إن المادة شريكة مع الله في الأزلية<sup>٢٦</sup>، وتختلف حين تؤيد أن الله لا يهتم بالكائنات الفانية لكن عنايته تنحصر

<sup>٢٤</sup> انظر: تك ٢٦: ٢٦ - ٢٩.

<sup>٢٥</sup> انظر العظة ٦: ٢.

<sup>٢٦</sup> نرى هنا تلميحا واضحا عن مبدأ عدم أزلية الخليفة.

فقط على السماوات البعيدة، كما تختلف معنا حين تجعل مجرى الحياة وقت الميلاد يعتمد على موقع النجوم<sup>٢٧</sup>، ويختلفون حين يقولون إن هذا العالم أبدي ولن يكون له نهاية. وهناك أيضاً العديد من النقاط الأخرى التي إما يتفقون أو يختلفون معنا عليها. لذلك يصور أبيقور، باعتباره رمزاً لحكماء هذا العالم، تارة في صلح مع إسحق وتارة في خلاف معه.

### أبيقور وأحزات وفيكول: المنطق والطبيعة والأخلاق

وأنا لا أعتقد أن الروح القدس الذي كتب ذلك، قد اهتم بإضافة أن هناك شخصين آخرين قد أتيا مع أبيقور: أحزات صهره وفيكول قائد جيشه<sup>٢٨</sup>. واسم أحزات يعني "من يقبض"، وفيكول "فم الكل" وأبيقور يعني "أبي ملك". ويبدو لي أن هؤلاء الثلاثة يمثلون الفلسفة في جملتها والتي تنقسم عندهم إلى ثلاثة أجزاء: المنطق والطبيعة والأخلاق، أي الفلسفة العقلية والطبيعية والأخلاقية. فأبيقور يرمز إلى الفلسفة العقلية التي تعترف بأن الله هو أب كل الكائنات، والفلسفة الطبيعية هي التي تثبت وتقبض كل شيء معتمدة على أشكال الطبيعة نفسها، وهي التي يظهرها أحزات أو "القابض" أما الفلسفة الأخلاقية فهي الموجودة في فم الكل وتحص الجميع وهي التي بسبب تشابه القواعد المشتركة تتواجد في فم الجميع، ويمثلها فيكول الذي يعني اسمه: فم الكل. تلك الشخصيات التي تهذبت بهذا النوع من العلوم، قد أتت إذا لتجد ناموس الله وقالوا له: "إننا قد رأينا أن الرب معك، فقلنا: ليكن حلف، بيننا وبينك، ونقطع معك

<sup>٢٧</sup> يقر أوريجينيس ومعاصروه بأن النجوم تخضع في بعض الأحيان لتأثير الشياطين. ولكن حين يتعلق الأمر بتأثير النجوم على الحياة البشرية، فمع التسليم بأن الإنسان حر ومسئول وذو قيمة، يستنكر أوريجينيس تماماً الضرورة العمياء التي يدعيها علماء الفلك للتأثير على الأفعال الإنسانية.

<sup>٢٨</sup> انظر: تك ٢٦: ٢٦.

عهداً لئلا تصنع بنا شراً، لكن كما أننا لم نلعنك، كذلك (لا تلعننا)، أنت المبارك من الرب<sup>٢٩</sup>."

### شخصية المجرس

هذه الشخصيات الثلاثة التي تطلب السلام مع "كلمة الله" وترغب في أن تستبق بعهد الاشتراك معه من الممكن أن تمثل المجرس الذين تعلموا من كتب آبائهم وتقاليد أجدادهم<sup>٣٠</sup>، وجاءوا من المشرق وقالوا: "إننا قد رأينا<sup>٣١</sup> الملك الذي ولد<sup>٣٢</sup> ورأينا أن الله معه<sup>٣٣</sup> فأتينا لنعبده<sup>٣٤</sup>". ولكن كل ضليع في هذه العلوم، حين يرى أن "الله كان في المسيح ليصالح العالم معه<sup>٣٥</sup>"، وحين يدهش لعظمة أعمال الله يجب أن يقول: "إننا قد رأينا أن الرب معك، فقلنا: ليكن بيننا حلف<sup>٣٦</sup>". فحين يقترب هذا الشخص في الواقع من ناموس الله، لا بد وأن يقول: "حلفت وصممت أن أحفظ وصاياك<sup>٣٧</sup>".

### مأدبة إسحق هي مأدبة الكاملين

٤ لكن ماذا طلبوا؟ لقد قالوا "أن لا تصنع بنا شراً، لكن كما أننا لم نلعنك كذلك لا تلعننا، أنت المبارك من الرب<sup>٣٨</sup>". ويبدو لي أنهم يطلبون من هنا مغفرة الخطايا خشية أن يصيبهم شرهم

<sup>٢٩</sup> انظر: تك ٢٦ : ٢٨ - ٢٩ .

<sup>٣٠</sup> كان أوريجينيس مقتنعاً بأن المجرس كان لديهم نص نبوات بلعام التي كانت تلحن ظهور نجم في يعقوب ورجل في إسرائيل (عد ٢٤ : ١٧)، فيقول في عظاته على سفر العدد ١٣ : ٧: "كان المجرس لديهم هذا النص عندهم، وأيضاً عندما ولد المسيح عرفوا النجم وفهموا

أن النبوة قد تمت."

<sup>٣١</sup> انظر: تك ٢٦ : ٢٨ .

<sup>٣٢</sup> انظر: مت ٢ : ٢ .

<sup>٣٣</sup> انظر: تك ٢٦ : ٢٨ .

<sup>٣٤</sup> انظر: مت ٢ : ٢ .

<sup>٣٥</sup> انظر: ٢ كو ٥ : ١٩ .

<sup>٣٦</sup> انظر: تك ٢٦ : ٢٨ .

<sup>٣٧</sup> انظر: مز ١١٨ : ١٠٦ (حسب السبعينية).

<sup>٣٨</sup> انظر: تك ٢٦ : ٢٩ .

يلتمسون بركة وليس حركة بالمقابل. وانظروا ما جاء فيما بعد. يقول الكتاب: "فصنع لهم إسحق مأدبة كبيرة، فأكلوا وشربوا"<sup>٣٩</sup>، فمن المؤكد أن خادم الكلمة "مدين للحكماء والجهلاء"<sup>٤٠</sup>، فإذا ولأنه يصنع مأدبة للحكماء، يقول الكتاب إنه صنع لهم لا مأدبة صغيرة بل "كبيرة".

أما أنت، فإذا كنت لم تعد "طفلاً صغيراً"، ولم تعد تحتاج إلى "لبن"، وإذا أظهرت أحاسيس مختبرة وأصبحت قادراً بعد الكثير من التعليم على فهم كلمة الله<sup>٤١</sup>، فهناك لك أيضاً "مأدبة كبيرة". لن يعدوا لك كطعام بقول<sup>٤٢</sup> الضعفاء ولن يغذوك بلبن الأطفال، ولكن سيقدم لك خادم الكلمة "مأدبة كبيرة"، وسوف يحدثك عن الحكمة التي يوصي بها بين الكاملين ويكرز لك "بحكمة الله، السرية والخفية"، التي لم يعلمها أحد من رؤساء هذا الدهر<sup>٤٣</sup>، كما سيكشف لك المسيح في هيئة الذي هو "مذخر فيه جميع كنوز الحكمة"<sup>٤٤</sup>. هو يصنع لك إذن "مأدبة كبيرة" ويأكل معك بنفسه ما لم تدفعه حالتك ليقول "وأنا لم أستطع أن أكلكم كروحانيين، بل كجسديين كأطفال في المسيح"<sup>٤٥</sup>.

### مأدبة أهل كورنثوس

وهو يقول ذلك للكورنثيين وبضيف: "فإنه إذ فيكم حسد وانشقاق، أ لستم جسديين وسلوكم بشري"<sup>٤٦</sup>، ولم يصنع لهم

<sup>٣٩</sup> انظر: تك ٢٦: ٣٠.

<sup>٤٠</sup> انظر: رو ١: ١٤.

<sup>٤١</sup> انظر: عب ٥: ١٢ وما بعده.

<sup>٤٢</sup> انظر: رو ١٤: ٢.

<sup>٤٣</sup> انظر: ١ كو ٢: ٦ - ٨.

<sup>٤٤</sup> انظر: كو ٢: ٣.

<sup>٤٥</sup> انظر: ١ كو ٣: ١ - ٢.

<sup>٤٦</sup> انظر: ١ كو ٣: ٣.

بولس الرسول مأدبة كبيرة، حتى إنه حين كان عندهم وكان محتاجًا لم يكن "عالة على أحد"، ولم يأكل مجانًا الخبز من أحد، ولكنه كان يكسب بنفسه قوته هو وكل رفاقه "عاملاً ليل نهار بيديه"<sup>٤٧</sup>. لقد كان أهل كورنثوس إذاً دون المستوى المطلوب حتى يصنع لهم "مأدبة كبيرة" وحتى إن البشر بكلمة الله لم يستطع أن يصنع أصغر وجبة. أما للذين يعرفون أن ينصتوا بشكل أكثر كمالاً والذين يظهرون روحاً مدربة ومتمرنة<sup>٤٨</sup> على سماع كلمة الله فهناك "مأدبة كبيرة" حيث يأكل معهم إسحق؛ وإذ لا يكفي بالأكل فقط، يقوم ويعددهم بقسمٍ بالصلح في المستقبل<sup>٤٩</sup>.

### مأدبة الحكمة

لنطلب إذاً نحن أيضاً أن نقرب من كلمة الله بحالة الروح والإيمان المرجوین كي تتفضل لكلمة الله وتقيم لنا "مأدبة كبيرة"، لأن "الحكمة ذبحت ذبائحها، مزجت خمرها في الإناء وأرسلت عبيدها"<sup>٥٠</sup> لكي يأتوا لمأدبتها بكل من يجده. وبعد قبولنا في مأدبة الحكمة، يكفي ألا نلبس من جديد ثياب الحماقة: فلا نكون هناك لابسين ثوب الخيانة، ولا مدنسين بسواد الخطايا بل لنقبل الكلمة في الطهارة وبساطة القلب، ولنشرع في خدمة الحكمة الإلهية التي هي المسيح يسوع ربنا الذي له المجد والسلطان إلى أبد الأبدین. آمین<sup>٥١</sup>.

<sup>٤٧</sup> انظر: ١ كو ٤: ١٢.

<sup>٤٨</sup> انظر: عب ٥: ١٤.

<sup>٤٩</sup> انظر: تك ٢٦: ٣١.

<sup>٥٠</sup> انظر: أم ٩: ١ - ٣.

<sup>٥١</sup> انظر: ١ بط ٤: ١١؛ رؤ ١: ٦.

العظة الخامسة عشرة

إِخْوَةُ يُوسُفَ يَصْعَدُونَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ  
وَيَعْتُوبُ يَعْلَمُ أَنَّ يُوسُفَ لَا يَزَالُ حَيًّا

على الآية القائلة: "فصعدوا من مصر وجاءوا إلى أرض كنعان، إلى يعقوب أبيهم، وأخبروه قائلين: يوسف حي بعد، وهو متسلط على كل أرض مصر!"



## المعنى الرمزي للصعود والنزول

١ يجب علينا حين نقرأ الكتاب المقدس أن نلاحظ في كل فقرة استخدام الفعلين "صعد" و"نزل". ومع قليل من الانتباه، سنكتشف أنه لم يقل أبداً تقريباً "نزل" عند الحديث عن مكان مقدس، ولا قال "صعد" عند الحديث عن الأماكن غير المستحبة. وتثبت هذه الملاحظات أن الكتاب المقدس لم يكتب بأسلوب غير حاذق وغير متقن كما يظن الكثيرون، ولكنه كتب وفقاً لأسلوب يلائم التعليم الإلهي ويتطابق مع الحقائق والمعاني السرية<sup>٢</sup> أكثر من تطابقه مع القصص التاريخية.

ستجد إذن مكتوباً أن الذين وُلدوا من إبراهيم قد "نزلوا" إلى مصر، في حين أن بني إسرائيل قد "صعدوا" من مصر. وقد قيل عن إبراهيم نفسه: "فصعد أبرام من مصر إلى البرية مع امرأته وكل ما كان له، ولوط معه"<sup>٣</sup>، وبعد ذلك قيل عن إسحق "وظهر له الرب وقال له: لا تنزل إلى مصر<sup>٤</sup>، ولكن يروى أن الإسماعيليين، الذين كانوا يحملون أطياباً (θυμιάματα) ولادناً ولبساناً وهم أيضاً من نسل إبراهيم، قد "نزلوا" إلى مصر<sup>٥</sup>، وقد "نزل" يوسف معهم، وفقاً للكتاب، إلى مصر. ويقول الكتاب فيما بعد: "وإذ رأى يعقوب أنه يباع قمح في مصر، قال لبنيه: لماذا تقفون مكتوفي الأيدي؟ ها إني قد علمت أنه يوجد قمح في مصر. "انزلوا" إلى هناك واشتروا لنا ما نأكله لنحيا ولا نموت"<sup>٦</sup>، وبعد ذلك بقليل: "نزل إخوة يوسف إلى مصر

<sup>٢</sup> لاحظ تكرار هذه الفكرة في عظات أخرى (٤: ٣؛ ٧: ١؛ ١٠: ٢؛ ١٤: ٣؛ ١٦: ٣).

<sup>٣</sup> انظر: تك ١٣: ١.

<sup>٤</sup> انظر: تك ٢٦: ٢.

<sup>٥</sup> انظر: تك ٣٧: ٢٥ وما بعده.

<sup>٦</sup> انظر: تك ٤٢: ١ - ٢.



ليشتروا قمحاً<sup>٧</sup>." وحين سُجن شمعون في مصر ورجع إخوته التسعة إلى أبيهم بعد إطلاق سراحهم، لم يقل إنهم "صعدوا" من مصر ولكن إنهم "حملوا القمح على حميرهم ومضوا من هناك"<sup>٨</sup>، فلم يكن مناسباً القول بأنهم "صعدوا"؛ إذ إن أخاهم قد سجن في مصر وهم كانوا يعانون معه؛ إذ كانوا قلقين بالروح والقلب، موثقين، إن جاز التعبير، برياطات المحبة. ولكن حين استعادوا أخيهم وحين أعلن يوسف عن حقيقته وقدم له بنيامين، مضوا فرحين وحينئذ قال الكتاب "فصعدوا من مصر وجاءوا إلى أرض كنعان، إلى يعقوب أبيهم"<sup>٩</sup>. هذا هو الوقت الذي قالوا فيه لأبيهم: "ابنك يوسف حي، وهو الذي يحكم كل أرض مصر"<sup>١٠</sup>. نحن مجبرون أن نقول إنهم قد صعدوا من اهتمامات دنيئة وحقيقية إلى اهتمامات أخرى شريفة وسامية، وهي تعلن أن يوسف لا يزال حياً وأنه يحكم مصر كلها. هذا هو إذاً ما ورد إلى ذهننا في الوقت الحاضر حتى الآن حول أفعال "الصعود" و"النزول" هذه، ولكن يمكن لكل من يهمهم هذا أن ينتهزوا الفرص ليجمعوا من الكتاب عدداً أكبر من الفقرات التي تؤيد هذا التفسير.

## موت الخطية

٢ ولكن لنر كيف يمكننا أن نفهم هذا القول: "ابنك يوسف حي"<sup>١١</sup>. ولا أظن أن هذا القول قد قيل بالمعنى المألوف. فإذا افترضنا مثلاً أن يوسف كانت قد غلبته الشهوة الجسدية وأنه أخطأ مع امرأة

<sup>٧</sup> انظر: تك ٤٢: ٣.

<sup>٨</sup> انظر: تك ٤٢: ٢٦.

<sup>٩</sup> انظر: تك ٤٥: ٢٥.

<sup>١٠</sup> انظر: تك ٤٥: ٢٦.

<sup>١١</sup> انظر: تك ٤٥: ٢٦.

سيده<sup>١٢</sup>، فلا أعتقد أن البطارقة، كانوا ليعلموا لأبيه: "يوسف ابنك حي"، لأنه بعد جرم مثل هذا لما كان بالتأكيد حياً: "النفس التي تخطف هي تموت"<sup>١٣</sup>. وتعلمنا سوسنة نفس الشيء حين تقول: "لقد أحاط بي الضيق من كل جهة، فإني إن فعلت هذا - أي إن أخطأت - فهو لي موت. وإن لم أفعل فلا أنجو من أيديكما"<sup>١٤</sup>. فأنت ترى إذاً أنها هي أيضاً تعتبر الخطية كالموت. كما أن وصية الله للإنسان الأول كانت تحتوي أيضاً على نفس التعليم: "اليوم الذي تاكلان منها موتاً تموتان"<sup>١٥</sup>. وعندما خالف الإنسان الوصية، مات. لأن النفس التي أخطأت ماتت وأتهمت الحية بخداعها إياها قائلة: "لن تموتا"<sup>١٦</sup>. هذا هو ما كان يجب قوله عن كلام أبناء إسرائيل ليعقوب: "ابنك يوسف حي"<sup>١٧</sup>.

## نور الروح

وبعد ذلك يخبرنا الكتاب بأقوال شبيهة حين يقول: "فانتعشت روح يعقوب أبيهم، وقال إسرائيل: إنه لشيء عظيم لي أن يوسف ابني حي بعد"<sup>١٨</sup>. الكلمة اللاتينية انتعشت الروح (resuscitatus) هي في اليونانية (ἀνεζωπύρησεν) وتعني "اشتعلت ثانية" أكثر مما تعني "انتعشت" أو تعني "أضرمت من جديد"<sup>١٩</sup>. ونستخدم هذه الكلمة حين تضعف أي نار حتى تبدو أنها تنطفئ ثم إذا أضرمتها وعاادت، نقول

<sup>١٢</sup> انظر: تك ٣٩: ٧ وما بعده.

<sup>١٣</sup> انظر: حز ١٨: ٤.

<sup>١٤</sup> انظر: دا ١٣: ٢٢.

<sup>١٥</sup> انظر: تك ٢: ١٧.

<sup>١٦</sup> انظر: تك ٣: ٤.

<sup>١٧</sup> انظر: تك ٤٥: ٢٦.

<sup>١٨</sup> انظر: تك ٤٥: ٢٧ - ٢٨.

<sup>١٩</sup> هذا التفسير أضافه روفينوس وهو ضروري لفهم تعليق أوريجينيس على الكلمة اليونانية غير أن روفينوس قد أسهب في الكلام خلال هذه الفقرة.

إنها اشتعلت ثانية. وحين يخفت ضوء المصباح ويبدو أنه سينطفئ فإذا ألهبناه بسكبنا زيتاً، فنقول أيضاً، حتى وإن لم يكن التعبير ملائماً، إن المصباح اشتعل ثانية. ويمكننا أن نستخدم تعبيرات مشابهة بالنسبة إلى المشعل أو الأنوار الأخرى التي من هذا النوع. هذا الأسلوب في الحديث يبدو إذاً أنه يشير إلى تحول مشابه في يعقوب. لأنه طالما كان بعيداً عن يوسف ولم يصله أي خبر أنه لا يزال حياً، كانت روحه تضعف بشكل ما بداخله والنور الذي كان بداخله كان يظلم بالفعل بسبب نقص الغذاء. ولكن حين جاء أناس ليخبروه بأن يوسف كان حياً - أي ليقولوا له إن "الحياة كانت نور الناس"<sup>٢٠</sup> - اشتعلت ثانيةً روحه بداخله واستعاد النور الحقيقي بداخله كل بهائه.

٣ ويمكن للنار الإلهية أن تنطفئ أحياناً حتى عند القديسين والمؤمنين. اسمع إذاً نصيحة بولس الرسول، فقد كان يقول لهؤلاء الذين يستحقون الحصول على مواهب الروح والنعمة: "لا تطفئوا الروح"<sup>١</sup>. كما لو كان يعقوب قد اختبر شيئاً مشابهاً لما أوصى بولس بتجنبه ثم استعاد قواه عند سماع خبر أن يوسف لا يزال حياً، ومكتوب عنه: "فاشتعلت روح يعقوب، وقال إسرائيل: إنه لشيء عظيم بالنسبة لي أن يوسف ابني حي بعد"<sup>٢٢</sup>.

ويجب ملاحظة أن الذي "اشتعلت روحه"، هذه الروح التي كانت تبدو شبه مطفأة، يدعى يعقوب، أما الذي قال: "إنه لشيء عظيم بالنسبة لي أن يوسف ابني حي بعد"، كما لو كان يفهم ويرى أن الحياة المذخرة في يوسف (يوسف نا) الروحي هي شيء عظيم، فهذا لا يدعى بعد يعقوب وإنما إسرائيل، أي "الذي يرى بالروح الحياة

٢٠ انظر: يو ١: ٤.

٢١ انظر: ١ تس ٥: ١٩.

٢٢ انظر: تك ٤٥: ٢٧ - ٢٨.

الحقيقية" التي هي المسيح الإله الحقيقي.

## السيطرة على مصر

وقد تأثر يعقوب ليس فقط بمعرفة أن "يوسف ابنه حي" ولكن على الأخص بتلقي خبر أنه هو الذي كان "متسلطاً على كل مصر"<sup>٢٣</sup>، لأن حكم مصر هو شيء عظيم في نظره. فعندما تزدي بإغراءات الجسد وتهرب من الفسق وتكبح وتلجم كل شهوات الجسد، فذاك هو "التسلط على كل مصر"، وهذا هو ما يجده إسرائيل عظيمًا ويثير إعجابه. أما أي من كان متسلطاً على بعض نقائص جسده واستسلم مع ذلك وخضع لنقائص أخرى، فهذا لا ينتقل قطعاً ليتسلط على كل أرض مصر ولكن ليحكم على سبيل المثال ربما مدينة واحدة أو مدينتين أو ثلاثة. أما يوسف الذي لم يتمكن أي انفعال شهواني من أن يغلبه، فكان سيّداً وحاكماً لكل مصر.

## الكذب هو ظلام النفس

وهكذا إذًا، فإن إسرائيل الذي اشتعلت روحه ثانية - وليس يعقوب - هو الذي قال: "إنه لشيء عظيم بالنسبة لي أن يوسف ابني حي بعد. أذهب وأراه قبل أن أموت"<sup>٢٤</sup>. وهناك أيضًا تفصيل لا يجب إغفاله وهو أن الكتاب يقول إن الروح - باعتبارها أفضل جزء في النفس - وليست النفس هي التي أحييت أو اشتعلت من جديد. لأنه حتى لو لم ينطفئ كلياً بريق النور الذي كان بداخله حين قدم له أبناءه قميص يوسف الملطخ بدم الجددي، وحين انخدع بكذبتهم حتى إنه "مزق ثيابه، ووضع مسحاً على حقويه، وناح على ابنه وأبى أن يتعزى" وقال: "إني

<sup>٢٣</sup> انظر: تك ٤٥ : ٢٦.

<sup>٢٤</sup> انظر: تك ٤٥ : ٢٨.

سأنزل إلى ابني نائحًا إلى الهاوية<sup>٢٥</sup>، فحتى لو لم ينطفئ حينئذ النور تمامًا بداخله، كما سبق وقلنا، فقد خفت على الأقل كثيرًا، بما أنه قد خُذع من أبنائه ومزق ثيابه وناح دون فائدة وطلب الموت ورغب في أن ينزل للهاوية نائحًا. لذلك هو ينعش روحه ويشعلها من جديد، حيث كان من المنطقي أن سماعه الحقيقة قد أشعل وألهب ثانية النور الذي كان قد حجبته خداع الكذب.

### تفسير اسمي يعقوب وإسرائيل

٤ ولكن بما أننا قد سبق وقلنا إن يعقوب هو من "اشتعلت روحه" وإن إسرائيل هو من قال: "إنه لشيء عظيم بالنسبة لي أن يوسف ابني حي<sup>٢٦</sup>"، فيمكنك أنت أيضًا أيها المستمع منطلقًا من الآية القائلة "وقال: لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك غلبت وصرت مقتدرًا بين الناس<sup>٢٧</sup>"، يمكنك عند تصفح الكتاب المقدس كله، أن تجد هذا الفرق في التسمية. فعلى سبيل المثال، حين يقول "عرفني اسمك<sup>٢٨</sup>"، لا يدعى من يجهل الاسم هنا إسرائيل، ولكن يعقوب. وبالمقابل، عندما "لا يأكل البطاركة العرق الذي على حق الفخذ<sup>٢٩</sup>"، لا يدعون بني يعقوب ولكن بني إسرائيل. أما بالنسبة للذي "إذ رفع عينيه نظر عيسو مقبلاً ومعه أربع مئة رجل" والذي "سجد سبع مرات" أمام الزاني المستبيح<sup>٣٠</sup>، أمام الرجل الذي لأكلة واحدة "باع حق بكوريته<sup>٣١</sup>"، فهذا لا يدعى إسرائيل ولكن يعقوب. وحين قدم له هدايا قائلاً "إن وجدت نعمة في عينيك فاقبل هذه الهدايا من يدي،

٢٥ انظر: تك ٣٧: ٣١ - ٣٥.

٢٦ انظر: تك ٤٥: ٢٨.

٢٧ انظر: تك ٣٢: ٢٨.

٢٨ انظر: تك ٣٢: ٢٩.

٢٩ انظر: تك ٣٢: ٣٢.

٣٠ انظر: تك ٣٣: ١، ٣.

٣١ انظر: تك ٢٥: ٣٣؛ عب ١٢: ١٦.

لأنني رأيت وجهك كما يرى وجه الله<sup>٣٢</sup>، لم يكن إسرائيل بل يعقوب. وعندما علم بأن ديننا ابنته قد تدنست، لم يُدع إسرائيل ولكن يقول الكتاب: "فسكت يعقوب حتى عودة أبنائه<sup>٣٣</sup>". ولكنك أنت أيضاً، كما سبق وقلت، تستطيع بقليل من الانتباه، أن تستخرج ملاحظات شبيهة.

في القراءة الحالية إذاً، فإن إسرائيل - وليس يعقوب - هو من يقول: "كفى يوسف ابني حي بعد<sup>٣٤</sup>"، وحين أتى إلى بئر القسم وذبح ذبيحة لإله أبيه إسحق<sup>٣٥</sup>، لم يُدع يعقوب بل إسرائيل. وإذا كنت تتساءل لماذا لم يقل الله له، متحدثاً معه في الرؤيا ليلاً: "إسرائيل إسرائيل<sup>٣٦</sup>" ولكن "يعقوب يعقوب"، فإن ذلك على الأرجح بسبب أنه كان ليلاً وأنه لم يكن بعد مستحقاً لسماع صوت الله إلا في رؤيا وليس بشكل مباشر. وعندما ذهب إلى مصر لم يقل الكتاب: إسرائيل بل: يعقوب وبنيه معه<sup>٣٧</sup>، وعندما وقف أمام فرعون ليباركه<sup>٣٨</sup> دُعي يعقوب وليس إسرائيل، حيث إن فرعون لم يحصل على بركة إسرائيل. لأن يعقوب وليس إسرائيل هو الذي قال لفرعون إن "أيام حياته قليلة و ردية<sup>٣٩</sup>"، ولم يكن ممكناً أبداً بالتأكيد أن يقول إسرائيل ذلك. بعد ذلك وعلى العكس، إسرائيل - وليس يعقوب - هو الذي قيل عنه إنه: "دعا ابنه يوسف وقال له: إن وجدت نعمة في عينيك فضع يدك تحت فخذي واصنع معي معروفاً وأمانة<sup>٤٠</sup>". ولم

٣٢ انظر: تك ٣٣ : ١٠ .

٣٣ انظر: تك ٣٤ : ٥ .

٣٤ انظر: تك ٤٥ : ٢٨ .

٣٥ انظر: تك ٤٦ : ١ .

٣٦ انظر: تك ٤٦ : ٢ .

٣٧ انظر: تك ٤٦ : ٦ .

٣٨ انظر: تك ٤٧ : ٧ .

٣٩ انظر: تك ٤٧ : ٩ .

٤٠ انظر: تك ٤٧ : ٢٩ .

يكن من سجد أمام رأس عصا يوسف<sup>٤١</sup> هو يعقوب بل إسرائيل. ثم حين بارك أبناء يوسف، دُعي إسرائيل<sup>٤٢</sup> وحين جمع بنيه حوله قال: "تعالوا معاً لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام، اجتمعوا، يا بني يعقوب، واصغوا إلى إسرائيل أبيكم<sup>٤٣</sup>". وقد تتساءل لماذا دُعي من اجتمعوا "بني يعقوب" في حين دُعي من يباركهم إسرائيل؟ قد يعني ذلك أن تقدمهم لم يوصلهم بعد لمستوى استحقاقات إسرائيل، لذلك دُعي "بني يعقوب" باعتبارهم في رتبة أدنى، بينما دُعي هو إسرائيل وهو الذي كان بالفعل كاملاً والذي أعطي البركات في معرفة تامة بالمستقبل. وبالتأكيد قد يبدو محيراً أن يقال إن المحنطين المصريين قد حنطوا إسرائيل<sup>٤٤</sup> وليس يعقوب. أعتقد أن الكتاب أراد أن يشير من هنا إلى عيب الذين يمقتون كل حس للخير وكل بصيرة في الفكر السماوي، والذين، من أجل هذا، يجدون أنفسهم وقد نُسب لهم دفن إسرائيل، فالقديسون بالنسبة للأئمة هم أموات ومدفونون. هذا هو إذن، على قدر ما بدرت الأشياء لذهننا الآن، ما كان يجب أن نقوله عن الفرق بين يعقوب وإسرائيل.

## النزول إلى مصر والصعود من مصر

٥ ويبدو من المناسب بعد ذلك اعتبار وفحص ما قاله الله لإسرائيل نفسه في الرؤيا وكيف أرسله إلى مصر مقويًا ومشجعًا إياه كما لو كان ذاهبًا إلى المعارك. يقول في الواقع: "لا تخف من النزول إلى مصر<sup>٤٥</sup>"، وهو ما يعني: عندما تتقابل مع "رئاسات وسلاطين وولادة

<sup>٤١</sup> انظر: تك ٤٧ : ٣١.

<sup>٤٢</sup> انظر: تك ٤٨ : ١٤.

<sup>٤٣</sup> انظر: تك ٤٩ : ١ - ٢.

<sup>٤٤</sup> انظر: تك ٥٠ : ٣.

<sup>٤٥</sup> انظر: تك ٤٦ : ٣.

عالم الظلمة هذا<sup>٤٦</sup>، الذين ترمز لهم مصر<sup>٤٧</sup>، لا تخف ولا ترتعد، وإذا أردت أن تعرف لماذا لا يجب أن تخاف، فأنصت إلى وعدي "لأنني أجعلك أمة عظيمة هناك، أنا أنزل معك إلى مصر، وأنا بنفسني في النهاية أرجعك من هناك"<sup>٤٨</sup>. لأن الذي يصاحبه الله في المعركة، لا يخشى "أن ينزل إلى مصر"، ولا يخشى مواجهة صراعات هذا العالم ولا المعارك مع الشياطين التي تقاومه. أنصت على سبيل المثال إلى بولس الرسول: "أنا تعبت أكثر من جميعهم. ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي"<sup>٤٩</sup>، ففي أورشليم وحين قامت فتنة ضده وكان يخوض بصلافة معركة عظيمة للتبشير بكلمة الرب، وقف الرب بجانبه وقال له، في كلمات مشابهة للكلمات الموجهة الآن لإسرائيل: "لا تخف يا بولس لأنك كما شهدت لي في أورشليم، هكذا ينبغي أن تشهد لي في رومية أيضاً"<sup>٥٠</sup>.

ولكنني أعتقد أن هناك سرًّا أعمق مخفياً في هذه الآية، لأن هذا القول يذهلني: "إني أجعل منك أمة عظيمة، أنا أنزل معك إلى مصر، وأنا بنفسني في النهاية أرجعك من هناك"<sup>٥١</sup>. فمن ذا الذي صار إذاً أمة عظيمة في مصر وعاد منها في النهاية؟ نعتقد أن الأمر يتعلق بيعقوب والذي نحن بصدده، إلا أن ذلك ليس صحيحًا لأنه لم يعد في النهاية من مصر؛ إذ إنه قد مات فيها. وليس من المقبول القول بأن الله قد أعاد يعقوب لأن جسده قد أرجع. فإذا اعتقدنا ذلك، لن يكون صحيحًا أن "الله ليس إله أموات بل إله أحياء"<sup>٥٢</sup> ومن ثم لا يجب أن

<sup>٤٦</sup> انظر: أف ٦: ١٢.

<sup>٤٧</sup> ارجع إلى العظة ١٦: ١ حول هذا المعنى المعطى لمصر.

<sup>٤٨</sup> انظر: تك ٤٦: ٣ - ٤.

<sup>٤٩</sup> انظر: ١ كو ١٥: ١٠.

<sup>٥٠</sup> انظر: أع ٢٣: ١١.

<sup>٥١</sup> انظر: تك ٤٦: ٣ - ٤.

<sup>٥٢</sup> انظر: مت ٢٢: ٣٢.



نفهم هذه العودة باعتبارها عودة شخص ميت ولكن نقر بأنها تخص أشخاصاً أحياء وفي كامل القوة. فلنتساءل إذن إن لم يكن هذا رمز نزول الرب إلى هذا العالم ونموه إلى "أمة عظيمة" أي لكنيسة الأمم، ولعودته إلى الأب عند إتمام تدبير كل شيء، أو أيضاً رمزاً لـ"الإنسان الأول"<sup>٥٣</sup> الذي نزل إلى مصر وسط المعارك عندما تعرض لمعاناة وشقاء هذا العالم؛ إذ قد طرد من عذوبة الجنة، وحين جعله يتكهن بالمعركة ضد الحية من خلال هذه الكلمات: "أنت تترصد رأسها، وهي تترصد عقبك"<sup>٥٤</sup> ومن خلال هذه الكلمات أيضاً التي قيلت للمرأة: "أضع عداوة بينك وبينها، وبين نسلك ونسلها"<sup>٥٥</sup>. ولكن الله لا يترك الذين يكونون في هذه المعركة، فهو دائماً معهم: وهو يسر بهابيل ويويخ قايين، ويستجيب لأخنوخ<sup>٥٦</sup>، ويجعل نوح يبني فلك النجاة وقت الطوفان<sup>٥٧</sup>، ويخرج إبراهيم من بيت أبيه وعشيرته<sup>٥٨</sup>، ويبارك إسحق<sup>٥٩</sup> ويعقوب<sup>٦٠</sup>، ويخرج بني إسرائيل من مصر<sup>٦١</sup>، ويكتب ناموس الحرف بواسطة موسى ويكمله في نقائمه بواسطة الأنبياء. هذا هو ما يعنيه أن "يكون معهم" في مصر.

أما عن الآية: "وأنا أرجعك في النهاية"<sup>٦٢</sup> فأعتقد أنها تعني، كما

<sup>٥٣</sup> انظر: حك ٧ : ١ .

<sup>٥٤</sup> انظر: تك ٣ : ١٥ .

<sup>٥٥</sup> انظر: تك ٣ : ١٥ . يوجه الله في سفر التكوين هذه الكلمات للحية لا للإنسان: "هذا (نسل المرأة) يستهدف رأسك وأنت تستهدف في عقبه." كذلك هو يقول للحية وليس للمرأة: "أضع عداوة... " وهنا يوفق أوريجينيس، الذي يستشهد معتمداً على ذاكرته، بين هذا الاستشهاد وبين كلامه.

<sup>٥٦</sup> انظر: تك ٥ : ٢٢ .

<sup>٥٧</sup> انظر: تك ٦ : ١٤ .

<sup>٥٨</sup> انظر: تك ١٢ : ١ .

<sup>٥٩</sup> انظر: تك ٢٥ : ١١ .

<sup>٦٠</sup> انظر: تك ٣٢ : ٢٧ ، ٢٩ .

<sup>٦١</sup> انظر: خر ١٤ : ٣٠ .

<sup>٦٢</sup> انظر: تك ٤٦ : ٤ .

سبق وقلنا منذ قليل، أنه في آخر الدهور<sup>٦٣</sup>، نزل ابنه الوحيد "إلى الجحيم"<sup>٦٤</sup> من أجل خلاص العالم وأعاد من هناك "الإنسان الأول". فلا ينبغي أن نفهم أن القول الموجه للص: "اليوم تكون معي في الفردوس"<sup>٦٥</sup> قد قيل له فقط بل إلى كافة القديسين الذين نزل (الابن الوحيد) من أجلهم إلى الجحيم. فإنه إذاً قد تحقق فيه، أكثر مما في يعقوب، هذا القول: "وأنا أرجعك في النهاية من هناك".

٦ فكل منا يدخل أيضاً إلى مصر ووسط المعارك على هذا المنوال ومن خلال نفس الطريق، وإن كان مستحقاً أن يبقى الرب دائماً معه، فيجعل الرب منه "أمة عظيمة". لأن عدد الفضائل وفيض العدل هما الأمة العظيمة التي قيل إن القديسين يكثرون وينمون فيها. كما يتحقق أيضاً في كل واحد فينا هذا القول: "وأنا أرجعك في النهاية من هناك"<sup>٦٦</sup>. فالنهاية في الواقع تعني اكتمال الأشياء والعمل بالفضائل. لذلك كان يقول قديس آخر: "لا ترجعني في نصف أيامي"<sup>٦٧</sup>، كما يشهد الكتاب أيضاً عن البطريرك العظيم إبراهيم أنه: "مات شعبان أياماً"<sup>٦٨</sup>. وهكذا [في القول]: "أنا أرجعك من هناك في النهاية" هو كما لو كان يقول: "بما أنك جاهدت الجهاد الحسن حفظت الإيمان، أكملت السعي"<sup>٦٩</sup>، فسأرجعك من هذا العالم إلى التطويب المستقبلي وإلى كمال الحياة الأبدية وإكليل البر الذي يهبه الرب في آخر الأيام لجميع الذين يحبونه<sup>٧٠</sup>.

<sup>٦٣</sup> انظر: العظة ٢: ٣.

<sup>٦٤</sup> انظر: أف ٤: ٩.

<sup>٦٥</sup> انظر: لو ٢٣: ٤٣.

<sup>٦٦</sup> انظر: تك ٤٦: ٤.

<sup>٦٧</sup> انظر: مز ١٠١: ٢٥ (حسب السبعينية).

<sup>٦٨</sup> انظر: تك ٢٥: ٨.

<sup>٦٩</sup> انظر: تي ٢: ٤.

<sup>٧٠</sup> انظر: تي ٢: ٤؛ ٨: ١؛ يع ١: ١٢.

## "ويضع يوسف يده على عينيك"

٧ لكن لنرى كيف ينبغي أن نفهم هذه الآية: "ويضع يوسف يده على عينيك"<sup>٧١</sup>. أعتقد أن هناك الكثير من الأسرار ذات المعاني العميقة المخفية وراء هذه العبارة والتي يجب أن نستعرضها ونتابعها في وقت آخر. إلا أنه سيكون من المفيد الآن القول بأن بعض أسلافنا قد رأوا هنا في هذه الآية إشارة إلى نبوءة. لأن يربعم هذا الذي صنع عجلي ذهب<sup>٧٢</sup> وأراد أن يقود الشعب إلى عبادتهم كان من سبط يوسف: إذ قد وضع هنا وبشكل ما يديه على عيني إسرائيل فأعماهها وأغلقهما لكي لا يريا فساده. لذلك قيل: "كل هذا من أجل إثم يعقوب، ومن أجل خطية بيت إسرائيل. ما هو ذنب يعقوب؟ أ ليس هو السامرة<sup>٧٣</sup>؟" ولكن إذا أكد أحد أنه لا يليق جعل هذه الكلمات، التي يشير فيها الله إلى المستقبل في شكل شهادة بر، تعبر عن فعل مستوجب التوبيخ، فنقول إذاً إن يوسف الحقيقي، ربنا ومخلصنا، على غرار الفعل الذي قام بمقتضاه بوضع يده الجسدية على عيني الأعمى وأعاد له البصر الذي كان قد فقده، هكذا أيضاً قد مد يديه الروحيتين على أعين الناموس التي كان قد أعماهها فهم الكتبة والفريسيين الجسدي وأعاد لها البصر لكي يكتشف هؤلاء الذين يكشف لهم الرب الكتب<sup>٧٤</sup> الرؤية والفهم الروحي للناموس.

فليشأ الرب يسوع أن يضع يديه على أعيننا نحن أيضاً حتى نحول أنظارنا لا "إلى الأشياء التي ترى، بل إلى التي لا ترى"<sup>٧٥</sup>. فليفتح لنا أعيناً لا تتأمل في الأشياء الحاضرة ولكن في الأشياء الآتية،

<sup>٧١</sup> انظر: تك ٤٦ : ٤ .

<sup>٧٢</sup> انظر: ٣ مل ١٢ : ٢٨ (حسب السبعينية).

<sup>٧٣</sup> انظر: مي ١ : ٥ .

<sup>٧٤</sup> انظر: لو ٢٤ : ٣٢ .

<sup>٧٥</sup> انظر: ٢ كو ٤ : ١٨ .

وليكشف لنا نظرة القلب هذه التي تمكنا أن نعاين الله في الروح،  
بربنا يسوع المسيح الذي له "المجد والسلطان إلى أبد الأبدين"<sup>٧٦</sup> آمين.

---

<sup>٧٦</sup> انظر: رؤ ٥: ١٣.



## العظة السادسة عشرة

# فَاشْتَرَىٰ يَوْسُفُ كُلَّ أَرْضِ مِصْرَ لِفِرْعَوْنَ

حول الآية القائلة: "فاقتنى يوسف كل أرض المصريين لفرعون. لقد باع المصريون أرضهم لفرعون، لأن الجوع اشتد عليهم. فصارت الأرض لفرعون وأما الشعب فقد استعبد من أقصى حد مصر إلى أقصاه".



## مصر بلد العبودية

١ بشهادة الكتاب لا يوجد مصريٌّ حر، لأن فرعون قد "استعبد الشعب" دون أن يترك أحداً حرّاً على أرض مصر، وأقمع الحرية في كل البلد. لأجل هذا على الأرجح مكتوب: "أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية<sup>١</sup>". لقد صارت مصر إذاً هي بيت العبودية، والأسوأ من ذلك أنها صارت بيت العبودية الإرادية. ولكن حين يخبرنا الكتاب أن العبرانيين قد أُستعبدوا وأنهم، إذ حرّموا من حريتهم، اضطروا لاحتتمال نير السلطة، يذكرنا أنهم قد اقتيدوا له بالعنف. ومكتوب في الواقع: "كان المصريون يكرهون بني إسرائيل وكانوا يُخضعون بني إسرائيل بالقوة والعنف وجعلوا حياتهم مرة بأعمال قاسية، طين ولبن وكل عمل في الحقل أذلّوهم به قسراً، مستعبدين إياهم<sup>٢</sup>". لاحظ جيداً أنه مكتوب أن العبرانيين قد أُستعبدوا "عنفاً"؛ لقد كانوا في الواقع يملكون حرية طبيعية لا يمكن نزعها منهم لا بسهولة ولا بالحيلة وإنما فقط بالعنف.

وعلى العكس، لقد استعبد فرعون الشعب المصري بسهولة ولم يُقل إنه استخدم العنف لأن المصريين كانوا ينحدرون من تلقاء نفسهم نحو الحياة المنحطة وسرعان ما يصيرون عبيداً لكل أنواع الرذائل. انظر جلياً في أصلهم: سترى أن جدهم حام الذي سخر من عورة أبيه<sup>٣</sup> قد استحق هذا الحكم: أن يكون ابنه كنعان عبد إخوته<sup>٤</sup> لكي ما تشهد عبوديته بانحلال أخلاقه. فليس إذن بدون سبب أن فساد النسل يعيد إنتاج فساد الذرية الأصلي<sup>٥</sup>. أما العبرانيون،

١ انظر: خر ٢٠: ٢.

٢ انظر: خر ١: ١٢ - ١٤.

٣ انظر: تك ٩: ٢٢.

٤ انظر: تك ٩: ٢٥.

٥ إن مصر التي يتحدث عنها أوريجينيس مستخدماً كافة الرموز والاستعارات المرتبطة بهذا



على العكس، فإن استعبدوا أو كانوا ضحايا طغيان المصريين، فيكون ذلك بالعرف والإجبار. لذلك فهم قد تحرروا من "بيت العبودية" وأعيدوا لحريتهم الفطرية التي كانوا قد فقدوها رغماً عنهم. وهكذا، نصت الشرائع الإلهية على أن كل من يشتري عبداً عبرانياً لا يبقيه إلى الأبد في العبودية: فست سنين يخدمه، وفي السابعة يذهب حراً<sup>٦</sup>. ولم يأمر بأي شيء مماثل بالنسبة للمصريين: فالشريعة الإلهية لا تبالي في أي موضع بحرية المصريين لأنهم قد فقدوها بإرادتهم، فتركهم [الشريعة] للنير الأبدي الذي لمصيرهم وللعبودية الدهرية.

## عبودية الخطية

٢ وإذا ما فسرنا هذا بشكل روحي، فسنعرف ماهية عبودية المصريين لأن خدمة المصريين ليست هي إلا الاستعباد للنقائص الجسدية، والخضوع للشياطين. ولا يخضع أحد لهذه العبودية بدواع خارجية، ولكنه يقاد إليها بكسل الروح وشهوات وملذات الجسد التي تخضع لها الروح ضعفاً. وعلى العكس، فمن يهتم بحرية النفس ويحافظ على نبل الروح عن طريق الأفكار السماوية، فهذا يكون من بني إسرائيل ولا يفقد حريته إلى الأبد، حتى وإن أخضع لفترة من الزمن عنفاً. وفوق ذلك، يشرح مخلصنا، متحدثاً عن الحرية

---

الاسم، ليست بوجه عام سوى بلد الفراغة المذكور في الكتاب المقدس والمنتمي لماض قد تم محوه منذ زمن بعيد. إلا أن كاديو (R. Cadiou) في كتابه "شباب أوريجينيس" قد أعزى الصرامة التي يظهرها أوريجينيس هنا تجاه بلد مولده إلى ما شعر به من ألم عندما طرده البابا ديميتريوس من كنيسة الإسكندرية. ولكن نلاحظ أنه في وقت إلقاء هذه العظة كان قد مر أكثر من عشرين عاماً على هذا الطرد، وبالتالي فقد كان للاستياء الذي في نفس أوريجينيس الوقت الكافي ليهدأ. أما قديماً، فقد كتب في الجزء السادس من تعليقه على إنجيل القديس يوحنا عقب ما حدث له مباشرة أن عدو الخير قد أثار ضده "كل رياح الفساد التي في مصر". ولكن في عظاتنا هذه، وفي الوقت الذي كان فيه أوريجينيس ذائع الصيت ويتمتع بامتيازات كثيرة في قيصرية، لم يكن هناك داع للعودة مرة أخرى لحالة الاستياء التي عانى منها قديماً لبعض الوقت.

<sup>٦</sup> انظر: خر ٢١: ٢.

والعبودية، في الإنجيل هكذا: "إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية"<sup>٧</sup> ويقول بالمقابل "إنكم إن ثبتتم في كلامي تعرفون الحق، والحق يحرركم"<sup>٨</sup>.

### المصريون أخضعوا أنفسهم للعبودية

وقد نُسأل: من أين ليوסף أن يعيد ملك كل الأرض لفرعون وأن يضع رجل قديس في خدمة فرعون هذه العبودية الشاملة المحكومة بالخطية، كما شرحنا للتو؟ يمكننا أن نرد بأن الكتاب نفسه يبرر وظيفة الرجل القديس قائلاً إن المصريين أنفسهم هم الذين باعوا أنفسهم وممتلكاتهم<sup>٩</sup>. فلا يقع الخطأ إذاً على عاتق القائم بالإدارة حين يتخذ إجراءات مناسبة يستحقها مرؤوسوه. وستجد أن بولس الرسول أيضاً قد قام بعمل شبيه حين "سلم إلى الشيطان" من صار بسبب تصرفاته السيئة غير أهل برفقة القديسين "حتى لا يجدف"<sup>١٠</sup>. ومن المؤكد أنه لا يمكن لأحد أن يقول إن بولس الرسول هو من تصرف بقسوة بطرده هذا الرجل من الكنيسة وتسليمه إلى الشيطان، ولكن الخطأ يقع بلا أدنى شك على من استحق بسلوكه ألا يكون له مكان في الكنيسة ويُسلم لرفقة الشيطان. وهكذا ألصق يوسف؛ إذ كان يعلم أنه لا يوجد لدى المصريين لا حرية العبرانيين ولا نبل إسرائيل، بالسيد المناسب لهم، عبيداً يستحقونه.

وسأذهب إلى أبعد من ذلك. فإنك ستجد في أفعال الحكم الإلهي شيئاً مشابهاً؛ أنصت إلى موسى: "حين فرق العلي للأمم ونصب تخوم الشعوب، أقامهم حسب عدد ملائكة الله وصار يعقوب هو قسم

<sup>٧</sup> انظر: يو ٨: ٣٤.

<sup>٨</sup> انظر: يو ٨: ٣١ - ٣٢.

<sup>٩</sup> انظر: تك ٤٧: ٢٠.

<sup>١٠</sup> انظر: ١ كو ٥: ٥؛ ١ تي ١: ٢٠.

الرب. إسرائيل نصيب ميراثه<sup>١١</sup>، فإنك ترى أن منطقة نفوذ الملائكة تحدد تبعاً لاستحقاقات كل شعب ولكن أن "نصيب الرب" هو شعب إسرائيل.

### المجاعة هي كارثة للأشرار وليس للأبرار

٣ والآن يقول الكتاب: "باع المصريون أرضهم لفرعون، لأن الجوع اشتد عليهم"<sup>١٢</sup>. ويبدو لي أنه يوجد هنا توبيخ للمصريين، لأنك لن تجد بسهولة في الكتاب بالنسبة إلى العبرانيين أن "الجوع قد اشتد عليهم". وبالرغم من أنه مكتوب أن المجاعة قد اشتدت في الأرض<sup>١٣</sup>، إلا أنه لم يذكر أن الجوع قد اشتد على يعقوب أو على أبنائه ولكنه قال إن الجوع اشتد على المصريين. لأن الجوع يصيب الأبرار ولكنه لا يشتد عليهم، ولذلك هم يتمجدون به كما فعل بولس الرسول الذي نراه يشكر الرب عن طيب قلب وسط التجارب التي من هذا النوع "في الجوع والعطش، في البرد والعري"<sup>١٤</sup>. فما هو تدريب للفضيلة بالنسبة إلى الأبرار، هو إذن عقاب على الخطية بالنسبة إلى الأشرار. وهكذا مذكور أنه في وقت إبراهيم: "حدث جوع في الأرض، فانهدر أبرام إلى مصر ليسكن هناك، لأن الجوع قد اشتد في الأرض"<sup>١٥</sup>. فبالأكيد، إذا كان الكتاب يستخدم أسلوباً غير دقيق كما يزعم البعض، فكان يمكنه إن يقول أن إبراهيم قد نزل إلى مصر ليسكن فيها لأن الجوع قد اشتد عليه، ولكن انظر دقة وحرص لغة الكتاب، فعند الحديث عن القديسين يقول الكتاب إن الجوع "اشتد على الأرض" أما عند الحديث عن الأشرار، فيقول إنهم هم الذين اشتد

١١ انظر: تث ٣٢: ٨ - ٩.

١٢ انظر: تك ٤٧: ٢٠.

١٣ انظر: تك ٤٣: ١.

١٤ انظر: ٢ كو ١١: ٢٧.

١٥ انظر: تك ١٢: ١٠.

الجوع عليهم. إذن لم تشتد المجاعة لا على إبراهيم ولا يعقوب ولا على أبنائه؛ ولكن إن كان قد "اشتد الجوع" فيقول الكتاب إنه اشتد على الأرض. غير أنه يذكر أنه في زمن إسحق "كان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي حدث في أيام إبراهيم"<sup>١٦</sup>. فقد اشتد هذا الجوع قليلاً جداً على إسحق حتى إن الرب قال له: "لا تنزل إلى مصر. لكن اسكن في الأرض التي أريك، أقم في هذه الأرض وأنا أكون معك"<sup>١٧</sup>.

### الله يهتم بإطعام الأبرار

أعتقد أن هذا السبب هو الذي جعل النبي يقول بعد هذا الوقت بكثير: "كنت فتى وقد شخت، ولم أر الصديق تُحلي عنه، ولا ذريته تلتمس خبزها"<sup>١٨</sup>، وفي موضع آخر "الرب لا يهلك الصديق جوعاً"<sup>١٩</sup>. وتؤكد كل هذه الشواهد أن الأرض من الممكن أن تعاني من الجوع وكذلك "الذين لا يفتكرون إلا في الأرضيات"<sup>٢٠</sup>، ولكن الذين "طعامهم أن يفعلوا إرادة الآب الذي في السموات"<sup>٢١</sup>، والذين يغذون نفسهم ب"الخبز الذي نزل من السماء"<sup>٢٢</sup> فهؤلاء لا يمكن أبداً أن يعانون من عوز المجاعة.

### مثال إيليا

ولذلك لا يستخدم الكتاب عمداً تعبير "اشتد الجوع عليهم" عند الحديث عن الذين لديهم علم الله من خلال معرفته، ويحصلون على غذاء الحكمة السماوية. ففي سفر الملوك الثالث نجد نفس الحذر

<sup>١٦</sup> انظر: تك ٢٦: ١.

<sup>١٧</sup> انظر: تك ٢٦: ٢ - ٣.

<sup>١٨</sup> انظر: مز ٣٦: ٢٥ (حسب السبعينية).

<sup>١٩</sup> انظر: أم ١٠: ٣.

<sup>٢٠</sup> انظر: في ٣: ١٩.

<sup>٢١</sup> انظر: مت ٧: ٢١.

<sup>٢٢</sup> انظر: يو ٦: ٥١، ٥٩.

للحديث عن المجاعة: فإذا اشتد الجوع على الأرض كقول إيليا لأخاب: "حي هو الرب إله الجنود، إله إسرائيل الذي أقف أمامه! إنه لا يكون في هذه السنين طل ولا مطر على الأرض إلا عند قولي"<sup>٢٣</sup>، فحينئذ عهد الرب إلي الغريان أن تقوت النبي وأمر النبي أن يشرب من ماء نهر كريث. ومرة أخرى في صرفة صيدا كلف أرملة بإطعام إيليا النبي، ولم يكن لديها طعام إلا ليوم واحد، ولكن حين قدم هذا الطعام، لم ينعدم أبداً وينفذ ولكنه فاض لأن الدقيق في الكوار والزيت في الكوز لم ينقصا، كقول الرب، طالما كان هناك ما يقوت النبي"<sup>٢٤</sup>.

### مثال إيشع

وستجد نفس الشيء أيضاً في زمن إيشع النبي حين صعد بنهدد ملك سوريا إلى السامرة وحاصرها: "وكان جوع شديد في السامرة حتى صار رأس الحمار بخمسين من الفضة، وبيع القاب من زيل الحمام بخمس من الفضة"<sup>٢٥</sup>، ولكن حدث بغتة تغير مذهل في صوت النبي الذي قال: "اسمع كلام الرب. هكذا يقول الرب: في مثل هذا الوقت غداً تكون كيلة الدقيق بشاقل، وكيلتا الشعير بشاقل في باب السامرة"<sup>٢٦</sup>.

أنت ترى إذاً ما ينجم عن هذه النصوص: حين يسود الجوع على الأرض، ليس فقط لا يصيب الأبرار، بل على العكس، هم الذين يحددون سبيل النجاة من الكارثة الخطيرة.

### الجوع إلى كلمة الرب

٤ وبما أنك صرت الآن تفهم أن الكتاب المقدس يحافظ بدقة، في

<sup>٢٣</sup> انظر: ٣ مل ١٧: ١ (حسب السبعينية).

<sup>٢٤</sup> انظر: ٣ مل ١٧: ٢ وما بعده (حسب السبعينية).

<sup>٢٥</sup> انظر: ٤ مل ٦: ٢٥ (حسب السبعينية).

<sup>٢٦</sup> انظر: ٤ مل ٧: ١ (حسب السبعينية).

أغلب نصوصه، على مثل هذا التدقيق في اللغة، فلتنتقل إلى المعنى الرمزي والمجازي الذي تعلمنا إياه أقوال الأنبياء أنفسهم. ويعلن واحد من الأنبياء الإثني عشر صراحةً أن الأمر يتعلق بوضوح وبالتأكيد بجوع روحي، حين يقول: "هوذا أيام تأتي، يقول الرب، أرسل جوعاً في الأرض، لا جوعاً للخبز، ولا عطشاً للماء، بل جوعاً لاستماع كلام الرب"<sup>٢٧</sup>. هل تلاحظ أي جوع يشتد على الخطاة؟ أ تدرك ما هي المجاعة التي تشتد على الأرض؟ إن هؤلاء الذين من الأرض ولا يميلون إلا إلى الأرضيات"<sup>٢٨</sup>، والذين لا يستطيعون أن "يقبلوا ما يأتي من روح الله"<sup>٢٩</sup> فهم يعانون من "الجوع إلى كلمة الله". هم لا يستمعون لتعاليم الشريعة ويتجاهلون تحذيرات الأنبياء ويجهلون تشجيع الرسل ولا يختبرون التأثير الشايف في الإنجيل، لذلك يقال عنهم بحق إن الجوع "اشتد على الأرض"<sup>٣٠</sup>.

### وليمة الحكمة

أما بالنسبة للأبرار وللذين "يلهجون في ناموس الرب نهاراً وليلاً"<sup>٣١</sup> فإن "الحكمة ترتب مائدتها وتذبح ذبحها وتمزج خمرها في الكأس وتتادي بصوت عال"<sup>٣٢</sup>. لا لكي يأتي الجميع ولا لكي يقيم عندها الموسرون أو الأغنياء أو حكماء هذا العالم، ولكن كما يقول الكتاب حتى "يأتي إليّ عديمو الفهم"<sup>٣٣</sup> أي "متواضعو القلب"، الذين تعلموا من المسيح أن يكونوا "ودعاء ومتواضعي القلب"<sup>٣٤</sup>، الذين يقال

<sup>٢٧</sup> انظر: عا ٨ : ١١ .

<sup>٢٨</sup> انظر: في ٣ : ١٩ .

<sup>٢٩</sup> انظر: ١ كو ٢ : ١٤ .

<sup>٣٠</sup> انظر: تك ٤٣ : ١ .

<sup>٣١</sup> انظر: مز ١ : ٢ .

<sup>٣٢</sup> انظر: أم ٩ : ٢ - ٦ .

<sup>٣٣</sup> انظر: أم ٩ : ٤؛ مت ١١ : ٢٥، ٢٨ .

<sup>٣٤</sup> مت ١١ : ٢٩ .

عنهم في موضع آخر "مساكين بالروح"<sup>٣٥</sup>، ولكنهم أغنياء بالإيمان، حتى يأتي هؤلاء إلى وليمة الحكمة ويجدون قواهم بطعامها ويصمدون "للجوع الذي اشتد على الأرض".

فلتحرص إذا أنت أيضاً ألا تكون أحد هؤلاء المصريين الذين يشتد الجوع عليهم. لا تدع نفسك تسقط في اهتمامات هذا الدهر، أو تتقيد بقيود البخل أو تلين بفرط الشهوات: ستصير بذلك غريباً عن طعام الحكمة التي لا تكف كنائس الرب عن تقديمها، لأنك إن أغلقت أذنك عما يُقرأ أو عما يُشرح في الكنيسة، فستشعر بلا أدنى شك "بالجوع إلى كلمة الله". ولكن إن احتفظت، بكونك منحدرًا من ذرية إبراهيم، بنبل النسل الإسرائيلي، فإن الشريعة والأنبياء هم الذين لا يكفون عن إطعامك ويقدم لك الرسل ولائم فاخرة. تدعوك الأناجيل إذا للاتكاء في حضن إبراهيم وإسحق ويعقوب "في ملكوت الأب"<sup>٣٦</sup> ولتأكل هناك من "شجرة الحياة"<sup>٣٧</sup> وتشرب من خمر "الكرمة الحقيقية"<sup>٣٨</sup>، "الخمر الجديدة مع المسيح في ملكوت أبيه"<sup>٣٩</sup>، لأنه لا يمكن لـ"بني العرس ما دام العريس معهم"<sup>٤٠</sup> أن يصوموا عن هذه الأطعمة ولا أن يشعروا بالجوع إليها<sup>٤١</sup>.

### كهنة فرعون وكهنة الرب

٥ وفيما بعد يخبرنا الكتاب أن أرض الكهنة المصريين لم تنتقل تحت سيطرة فرعون وأنهم لم يبيعوا أنفسهم كما فعل باقي

<sup>٣٥</sup> انظر: مت ٥: ٣؛ يع ٢: ٥.

<sup>٣٦</sup> انظر: مت ٨: ١١.

<sup>٣٧</sup> انظر: رؤ ٢: ٧.

<sup>٣٨</sup> انظر: يو ١٥: ١.

<sup>٣٩</sup> انظر: مت ٢٦: ٢٩.

<sup>٤٠</sup> انظر: لو ٥: ٣٤؛ مت ٩: ١٥.

<sup>٤١</sup> عن أكل الكلمة وعلاقته بالإفخارستيا عند أوريجينيس، ارجع إلى:

H. DE LUBAC, Histoire et Esprit, p. 363- 373.

المصريين. علاوة على ذلك، كان الكهنة يأخذون قمحًا أو هدايا أخرى مباشرة من فرعون وليس من يوسف. ولذلك لم يبيعوا أرضهم لفرعون؛ إذ حُسبوا أقرب إليه من الآخرين<sup>٤٢</sup>. وهذا يدل على أنهم أكثر انحرافًا من الآخرين؛ إذ إن هذه العلاقة الوثيقة مع فرعون سمحت بالألا يصيبهم أي تغيير وبأن يحتفظوا بملكية قميئة. ومثلما يقول الرب للذين كانوا متقدمين في الإيمان والقداسة: "لا أعود أسمىكم عبيدًا بل أحبباء"<sup>٤٣</sup>، هكذا أيضًا قال فرعون للكهنة كما لو كانوا قد وصلوا لأعلى مراتب الفساد ولكهنوت الهلاك: "لا أعود أسمىكم عبيدًا بل أحبباء".

هل تريد أن تعرف ما يميز كهنة الرب عن كهنة فرعون؟ أعطى فرعون أراضي لكهنوته في حين لا يعطي الرب لكهنوته نصيبًا على الأرض ولكنه يقول لهم: "أنا نصيبك"<sup>٤٤</sup>. وأنتم الذين تقرأون هذا النص، فلتلاحظوا كل كهنة الرب وفرقوا بينهم: الذين لهم نصيب على الأرض ويعكفون على مشاغل واهتمامات أرضية، ألا يبدو أنهم كهنة فرعون أكثر من كونهم كهنة الرب؟ لأن فرعون يريد أن يمتلك كهنته أراضي ويجدون في زراعة الأرض لا النفس، وأن يكرسوا أنفسهم للحقول لا للشريعة. ولننصت على العكس ما يأمر به المسيح ربنا كهنته: "كل واحد لا يترك جميع ما له، لا يقدر أن يكون تلميذي"<sup>٤٥</sup>.

## التخلي عن ثروات العالم

أقول ذلك وأنا أرتعد؛ إذ إنني أنا قبل كل شيء هو المشتكي

<sup>٤٢</sup> انظر: تك ٤٧: ٢٢.

<sup>٤٣</sup> انظر: يوح ١٥: ١٥.

<sup>٤٤</sup> انظر: عد ١٨: ٢٠.

<sup>٤٥</sup> انظر: لو ١٤: ٣٣.



على نفسي وأنا الذي ينطق بإدانتى. فالمسيح ينكر التلميذ الذي يراه يمتلك شيئاً والذي "لا يترك جميع ما له". فكيف نسلك إذن؟ كيف يمكننا سواء أن نقرأ نحن أنفسنا هذه المتطلبات أو نفسرها للشعب في حين، ونحن مازلنا بعيدين عن ترك ما لنا، نريد أيضاً أن نمتلك ما لم نملكه أبداً قبل مجيئنا إلى المسيح؟ فهل أمام تأنيب ضميرنا نستطيع أن نخفي أو نتخلى عن أن ننادي بالمكتوب<sup>٤٦</sup>؟ إنني لا أريد أن أحمل نفسي خطية مزدوجة. إنني أعترف، وأقوم بذلك علانية قدام الشعب الذي يسمعي، أن هذه الأوامر مكتوبة في الكتاب المقدس حتى وإن أقررت أنني لم أتبعها بعد<sup>٤٧</sup>. ولكن بما أننا على الأقل قد أنذرنا بها فلنسرع في اتباعها، لنسرع في التحول من كهنة فرعون الذين ممتلكاتهم على الأرض إلى كهنة الرب الذين لا يكون نصيبهم على الأرض والذين "نصيبهم هو الرب"<sup>٤٨</sup>. "وإنه عن هؤلاء قال: "كفقراء ونحن نغني كثيرين، كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء"<sup>٤٩</sup>، فهذا هو بولس الرسول الذي يجد في هذا الحال سبباً للفخر. هل تريد أن تسمع أيضاً إعلانات بطرس عن نفسه؟ اسمعوه يقوم مع يوحنا بهذا الاعتراف الذي يخص كليهما: "ليس لي فضة ولا ذهب،

<sup>٤٦</sup> يبدو أن أوريجينيس كان يوبخ نفسه على عدم عيش حياة الفقر التي ينبغي أن يعيشها كل تلميذ للمسيح "متنازلاً عن كل ماله." وقد حدد أوريجينيس في العظات على سفر اللاويين ١٥: ٢ متطلبات هذا الفقر. وحيث كان من الضروري السكن في منازل و كان لازماً في بعض الأحيان القيام بمصروفات كبيرة، فلا يبدو أن أوريجينيس كان معترضاً على هذا لأن ما يعنيه هو بناء البيت الروحي من خلال المحبة. لكننا سنعيد قراءة ما كتبه إيريناؤس في "ضد الهرطقات" (٤: ٣٠، ١، ٣) والذي أثار نفس القضية وقدم رداً عملياً: "الذى كل منا مال كثير أو قليل قد اقتناه بمال الظلم، فمن أين أتت المنازل التي نسكن فيها والملابس التي نرتديها...؟" ويقر إيرينيوس بأن "التاجر يمارس التجارة ليكسب منها قوته." ولكن إيرينيوس في نفس الوقت يوضح أن هذا المالك الذي يتأتى من مال الظلم، يمكننا من القيام بأعمال الخير.

<sup>٤٧</sup> هذا الحديث يُظهر أمانة أوريجينيس الشديدة تجاه التعليم والحياة حسب هذا التعليم.

<sup>٤٨</sup> انظر: مز ١١٨: ٥٧ (حسب السبعينية).

<sup>٤٩</sup> انظر: ٢ كو ٦: ١٠.

ولكن الذي لي فإياه أعطيك: باسم يسوع المسيح قم وامش<sup>٥٠</sup>. "ها هي إذاً ثروات كهنة المسيح، ها هو سخاء من "لا شيء لهم" الوافر والثمين. وهذه الثروات لا يمكن أن يهبها امتلاك الأرض.

### شعب مصر وشعب إسرائيل

٦ لقد قمنا بمقارنة كهنة بكهنة. لنقارن الآن، إذا أردتم، الشعب المصري بالشعب الإسرائيلي. يقول الكتاب فيما يلي إنه بعد المجاعة والعبودية، صار شعب مصر يدفع لفرعون خمس غلته<sup>٥١</sup>، وكان بالمقابل شعب إسرائيل يقدمون العشر فقط للكهنة. لاحظ أن الكتاب المقدس هنا أيضاً يستند في تحديد هذه النسب إلى سبب هام. فلاحظ أن الشعب المصري يدفع جزية وفقاً للعدد خمسة: هذا العدد يشير في الواقع إلى الحواس الخمس الجسدية التي كان الشعب الجسدي [المصريون] عبداً لها، لأن المصريين كانوا يتلذذون دائماً بالأشياء المادية والحسية. أما شعب إسرائيل فهو على العكس يكرم العدد عشرة وهو عدد الكمال<sup>٥٢</sup>: فقد أخذ في الواقع كلمات الشريعة العشر؛ إذ التزم بفضيلة الوصايا العشر، استقبل الأسرار التي يجهلها هذا العالم وعطايا السخاء الإلهي. ويكرم العدد عشرة في العهد الجديد أيضاً: فينمو ثمر الروح إلى عشر فضائل<sup>٥٣</sup> ويقدم الخادم الأمين للسيد عشر وزنات كنتاج لعمله ويأخذ إمارة عشر مدن<sup>٥٤</sup>.

ولكن هناك خالق واحد لكل الأشياء، والمسيح وحده هو أصلها وبدؤها، لذلك كان الشعب يقدم عشر غلته للخدام والكهنة،

<sup>٥٠</sup> انظر: أع ٣: ٦.

<sup>٥١</sup> انظر: تك ٤٧: ٢٤.

<sup>٥٢</sup> لاحظ أن التأملات حول الأرقام والتي اهتم بها أتباع فلسفة فيثاغورس، كانت مهمة بالنسبة لفيثو ولكل مدرسة الإسكندرية. انظر المعاني الخاصة بالأعداد ٣٠٠، ١٠٠، ٥٠ و ١ في العظة (٢: ٥) ولطالما حصل العدد ١٠ على شرف خاص، فالعدد ١٠ هو العدد الكامل.

<sup>٥٣</sup> انظر: غل ٥: ٢٢.

<sup>٥٤</sup> انظر: لو ١٩: ١٦ - ١٧.

ولكنه يقدم أبقاره "لبكر كل خليفة"<sup>٥٥</sup>، والبكور إلى من هو بدء كل شيء، الذي كتب عنه: "هو البداء"<sup>٥٦</sup>، بكر كل خليفة"<sup>٥٧</sup>. وهكذا إذن ندرك من كل هذا، الفرق بين شعب مصر وشعب إسرائيل، والفرق بين كهنة مصر وكهنة الرب. لتدخل إلى نفسك ولتساءل إلى أي شعب تنتمي وبأي نوع كهنة ترتبط. فإن كنت لا تزال عبداً للحواس الجسدية، إن كنت لا تزال تدفع الفريضة وفقاً للعدد خمسة، إن كنت تنظر "الأشياء الوقتية التي ترى" ولا تنظر "الأشياء الأبدية التي لا ترى"<sup>٥٨</sup>، فأنا أقر أنك في عداد شعب مصر. ولكن إن لم تكف عن ألا يكون نصب عينيك وصايا الناموس العشر ووصايا العهد الجديد التي تحدثنا عنها تواءً، إن قدمتها عشوراً، إن ذبحت بروح الإيمان أبقار فهمك الخاص "للبكر من بين الأموات"<sup>٥٩</sup>، إن قدمت بكورك لمن هو "بدء كل شيء"، فإنك تكون آنذاك "إسرائيلياً حقيقياً لا غش فيه"<sup>٦٠</sup>.

أما عن كهنة الرب، فإن دخلوا إلى أنفسهم وتحرروا من النشاط الأرضي ومن التملك في هذا العالم، فيمكنهم حقاً أن يقولوا للرب: "ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك"<sup>٦١</sup> وأن يسمعه يقول: "إنكم أنتم الذين تبعتموني، في القيامة العامة، متى جاء ابن الإنسان في ملكوته، تجلسون أنتم أيضاً على إثني عشر كرسيًا وتحكمون على أسباط إسرائيل الإثني عشر"<sup>٦٢</sup>.

<sup>٥٥</sup> انظر: كو ١ : ١٥ .

<sup>٥٦</sup> انظر: كو ١ : ١٨ .

<sup>٥٧</sup> انظر: كو ١ : ١٥ .

<sup>٥٨</sup> انظر: ٢ كو ٤ : ١٨ .

<sup>٥٩</sup> انظر: كو ١ : ١٨ .

<sup>٦٠</sup> انظر: يو ١ : ٤٧ .

<sup>٦١</sup> انظر: مت ١٩ : ٢٧ .

<sup>٦٢</sup> انظر: مت ١٩ : ٢٨ .

## املكوث بالقرب من الله

٧ لئر الآن ما يقوله موسى: "وسكن إسرائيل في مصر، في أرض جاسان<sup>٦٣</sup>". فجاسان تعني "قرب" أو "جوار" وهو ما يثبت أن إسرائيل، حتى ولو سكن في مصر، إلا أنه ليس بعيداً عن الله، بل قريب جداً منه و متحد معه، كقول الله نفسه "أنا أنزل معك إلى مصر، وأكون معك<sup>٦٤</sup>".

ونحن إذاً، حتى وإن بدا أننا قد نزلنا إلى مصر، حتى وإن خضنا صراعات وحروب هذا العالم بحكم حالتنا الجسدية، حتى وإن سكننا وسط عبيد فرعون، فإننا إذا كنا بالقرب من الله وثابرتنا على التأمل في وصاياه وطلبنا بعناية "فرائضه وأحكامه"<sup>٦٥</sup> . لأن هذا هو ما يعنيه المكوث دائماً بالقرب من الله والتفكر في أمور الله و"طلب ما هو لله"<sup>٦٦</sup> . فحينئذ يكون الله معنا على الدوام بالمسيح يسوع ربنا "الذي له المجد إلى أبد الأبدين. آمين<sup>٦٧</sup>".

<sup>٦٣</sup> انظر: تك ٤٧ : ٢٧ .

<sup>٦٤</sup> انظر: تك ٤٦ : ٤٤ ، ٢٦ : ٣ .

<sup>٦٥</sup> انظر: تث ١٢ : ١ .

<sup>٦٦</sup> انظر: في ٢ : ٢١ .

<sup>٦٧</sup> انظر: غل ١ : ٥ .



## الفهرس الموضوعي\*

### التعاليم والأفكار التي تحتويها عظات العلامة أوريجينيس

#### على سفر التكوين

- إبراهيم  
حماس إبراهيم وسارة للضيوف  
٩٦.  
ما قدمه إبراهيم وسارة للضيوف  
٩٦.  
غسل إبراهيم أرجل الضيوف رمز  
إلى معاينة أسرار الرب ٩٨ ، ٩٩.  
شجرة ممرا رمز إلى نقاوة قلب  
إبراهيم وفطنته ٩٩ ، ١٠٠.  
لقب شيخ رمز إلى نضوج القلب  
٧٩ ، ١٠١.  
ذرية إبراهيم ١٩٢.  
نسل إبراهيم كنجوم السماء  
ورمل البحر رمز إلى شعب الأبرار  
وشعب الأرضيات ١٦٨ ، ١٦٩؛ هو  
المسيح ١٦٨؛ احتل مدن الأعداء  
رمز إلى التبشير بالإنجيل والإيمان  
بالمسيح ١٧١.  
يقدم إبراهيم ابنه ذبيحة رمز إلى  
الله الذي قدم ابنه الوحيد ذبيحة  
لكل البشر ١٥٧.
- إبراهيم  
إبراهيم رمز إلى العقل ١٠٠؛  
الحقيقة الآتية ١٤٩.  
اسم إبراهيم رمز لوعده الله له  
١٤٧ ، ١٤٨.  
حديث الله لإبراهيم ٧٨.  
الله يقيم عهده مع إبراهيم ٨٠.  
الله يمتحن إبراهيم ١٤٩ ، ١٥٠.  
أمر الله إبراهيم بالصعود إلى  
الجبل رمز لترك الأمور الأرضية  
والصعود للأمور العلوية ١٥١.  
وعد الله الأول لإبراهيم رمز إلى  
الإنسان الترابي، والوعد الثاني  
رمز إلى الإنسان السماوي ١٦٣ وما  
بعدها، ١٦٧.  
قسم الرب لإبراهيم ليثبت تدابيره  
١٦٨.  
إيمان إبراهيم ١٤٨ وما بعدها.  
حكمة إبراهيم ١٨٩ ، ١٩٠.  
المعنى الرمزي لضيوف إبراهيم  
٩٥ ، ٩٦.

\* الفهرس الموضوعي من إعداد الأستاذة وسام عاطف زخاري.

## أبيمالك

خيمة إسحق في الناموس وبيتاً  
ذي أساس في العهد الجديد ٢٣١ .

خدام إسحق رمز إلى رسل العهد  
الجديد ٢١٧ .

خادم إسحق الجديد هو بولس  
الرسول ٢٢٠ .

إسماعيل رمز الولادة الجسدية  
١٢٥ ، ١٣٦ ، الشعب المختار ١٣٨ .

لهو إسماعيل مع إسحق رمز  
لاضطهاد الجسد للروح ١٣٧ .

انفتاح أعين هاجر رمز إلى رفع  
برقع الحرف والوصول إلى المعنى

الروحي ١٤١ وما بعدها .

من يحفظ الوصايا بكل محبة  
رمز إلى ابن المرأة الحرة ، ومن

يحفظ الوصايا بالخوف رمز إلى  
ابن الجارية ١٣٩ .

## الاضطهاد

اضطهاد ليونيديس م٩ ، م١٧ ؛  
بولس الرسول ٢٢٠ .

أنواع الاضطهاد ١٣٨ .

الآب ٣٠ ، ٣٩ ، ٤٠ ؛ يقدم ابنه  
الوحيد ٩٨ .

## الأعداد

رموز الأعداد في الكتاب المقدس  
٦٥ ، ٦٦ .

رمز إلى فضيلة الفلاسفة ١٢٦ ؛  
والفلسفة العقلية ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

امرأة أبيمالك ترمز إلى الفلسفة  
الطبيعية ١٢٧ .

جوازي أبيمالك رمز إلى النظريات  
الجدلية المتنوعة ١٢٧ .

ولادة أبناء لأبيمالك رمز إلى ولادة  
أبناء للكنيسة ١٢٨ ، ١٢٩ .

تشابه كل من أبيمالك وأحزات  
وفيكول مع المجوس ٢٣٤ .

## إسحق/ إسماعيل

إسحق رمز الولادة الروحية ١٣٥ ،  
١٣٦ ؛ شعب الموعد ١٣٨ ؛ الذبيحة

والكاهن ١٥٣ ، ١٥٨ ؛ إلى لاهوت  
المسيح ١٥٨ ؛ المسيح المخلص ٢١٥ ؛

رمز الكلمة الإلهية ٢٠٧ ؛ كلمة  
الله في الناموس ٢٣٠ ، ٢٣٢ ؛

الإيمان ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

إسحق يحمل خشب المحرقة رمز  
للمسيح يحمل صليبه ١٥٣ .

مجيء إسحق الذي فتح الآبار رمز  
لمجيء المسيح ٢٢٠ ، ٢٢١ .

زواج إسحق من رفقة يرمز إلى  
اتحاد النفس بالمسيح ١٧٩ .

مأدبة إسحق تشير إلى الكاملين  
في معرفة الله ٢٣٤ وما بعدها .

والمشاعر البشرية ٧٧  
التبشير بكلمة الله وسط العلوم  
الدينيوية ٢١٩ ، ٢٢٠  
يعتقد اليهود أن الله إنسان ٧٥  
الله يقيم عهده مع إبراهيم ٨٠  
حديث الله مع إبراهيم ٧٨  
الله يمتحن إبراهيم ١٤٩ ، ١٥٠  
الله ينزل على الأرض ليعتني  
بالضعف البشري ١٠١ ، ١٠٢  
الله لا يعرف الخطاة والأثمة ١٠٣  
وما بعدها  
جهالة الله ١٠٣ ، ١٥٥ ، ١٥٦  
صورة الله داخلنا ٢٢٢ ، ٢٢٣ ؛  
تشوهاها بالخطية ٢٢٣  
الله يصاحب الإنسان في معركته  
ضد الظلمة ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٧  
الإنسان  
الله خلق الإنسان ٣٥  
الإنسان يتسلط على وحوش  
الأرض ٣٦  
عظمة الإنسان أنه مساو لأعظم  
العناصر ٣٧  
الإنسان الداخلي غير الفاسد رمز  
إلى صورة الله ٣٩ ، ٣٧  
الإنسان والتجسد والخلاص ٤٠  
الإنسان الروحي والمياه العليا ٢٢ ،  
٣٣

العدد ٣٠٠ رمز إلى تمام كل شيء  
والكمال ٦٤  
العدد ٥٠ رمز إلى العتق والغفران  
٦٤ ، ٦٥  
العدد ٣٠ رمز إلى الكمال ٦٥  
العدد واحد رمز إلى إله واحد هو  
الآب ٦٥  
رقم ٥ رمز إلى الحواس الخمسة  
الجسدية ٢٦٥  
رقم ١٠ رمز إلى الكمال ٢٦٥  
سرق رقم ثلاثة ١٥١ ، ١٥٢  
سرق رقم اثنين ١٦٦

#### الأفكار

الأفكار الجيدة رمز للطيور  
٣١ ، ٣٢  
الأفكار الرديئة رمز للكائنات  
التي تزحف ٣١ ، ٣٢  
الأفكار الأثمة رمز للحيوانات  
المائية العظيمة ٣٢  
الله  
الله خالق جميع الكائنات الحية  
٣٤  
الله خالق الإنسان ٣٥  
الله غير مادي ٧٥  
الله يعلن مشيئته للبشر ٧٦  
أعمال الله تقدم للبشر بالألفاظ



الإنسان وشكل صورة إبليس ٤١  
الإنسان المجاهد كالسماء منيرة  
٢٧.

#### البدء

البدء هو المخلص يسوع المسيح  
٢٦٦ ، ١٩.

#### بئر/ آبار

بئر الماء الحي رمز إلى التفسير  
الروحي والكتابات الإلهية ١٤٠ ،  
١٤١.

بئر الرؤيا رمز إلى الوجود بقرب  
الله ١٢٧ ، ١٩٥.

بئر إسحق الجديد رمز إلى العهد  
الجديد ٢١٧.

بئر رحبة رمز إلى وصول معرفة  
الثالوث إلى أقصى المسكونة  
٢١٧ ، ٢١٨.

كل نفس بها بئر ماء حي ٢٢٢.

الآبار ترمز إلى الأسفار الإلهية  
١٨٥.

الآبار التي حفرتها إبراهيم رمز إلى  
أسفار العهد القديم ٢١٧.

#### الثمار

الثمار والأرض ٢٥.

الثمار هي أعمالنا ٢٦.

الثمار وأنواع الأرض ٢٦.

الثمار والطريق ٢٦.

طعام الإنسان من عشب وثمار  
رمز إلى الأهواء الجسدية ٤٤ ، ٤٦.

#### الختان

الختان الجسدي رمز إلى الختان  
الروحي ٨١ ، ٨٢.

التفسير الرمزي للختان مرفوض  
من اليهود ٨٢.

الختان الروحي للآذان هو أغلقهما  
عن الكذب والفساد ٨٤.

الختان الروحي للشفاه هو البعد  
عن الكلام الباطل والفساق ٨٥.

الختان الروحي للحم ٨٥ ، ٨٦.

الختان الروحي للقلب هو  
البعد عن زنى القلب والأفكار  
الهرطوقية ٨٦.

الختان الروحي لكل الجسد  
هو أن تفعل ما يريده الله ٨٦ وما  
بعدها.

معنى الختان الروحي في العهد  
الجديد ٨٩ وما بعدها.

#### رفقة

زواج رفقة بإسحق يرمز إلى اتحاد  
النفس بالمسيح ١٧٩.

رفقة رمز إلى النفس التي تأتي  
إلى آبار الكتاب المقدس كل يوم  
١٧٨.

الروح القدس والنص الكتابي  
٢١٥.

الروح القدس ينير نفس الإنسان  
٢٢٣.

كتابة الخطية وكتابة الروح  
القدس ٢٤٤، ٢٢٥.

الروح القدس لا يسرد القصص  
٩٩، ١٣٣، ١٧٨، ٢٣٣.

### الزمن

الزمن لم يكن موجوداً قبل  
كون العالم ٢٠، ٢١.

### الزواج/ زوجات

الذكر رمز الروح ٤٢، ٤٣.

الأنثى رمز النفس ٤٢، ٤٣.

اتحاد الذكر والأنثى ٤٣.

تعدد الزوجات للبطاركة رمز إلى  
تعدد الفضائل ١٩٢، ١٩٣.

الزوجات الأجنبية والسراري رمز  
إلى العلوم الدنيوية ١٩٣.

### سارة

سارة رمز إلى الفضيلة الأخلاقية  
١٢٤، إلى الجسد ١٠٠.

حماس سارة وإبراهيم للضيوف  
٩٦.

ما قدمه إبراهيم وسارة للضيوف  
٩٦.

خادم رفقة رمز إلى الكلمة  
النبوية ١٧٩.

تتبع رفقة للخادم رمز إلى  
الكنيسة التي تتبع الكلمة  
النبوية حتى تصل للمسيح ١٨٤،  
١٨٥.

الجمال التي سقتها رفقة رمز إلى  
البشر الضالين ١٧٩.

نزول رفقة من على الجمل رمز إلى  
ابتعاد النفس عن الرذائل والمشاعر  
الطائشة ١٨٦.

جرة رفقة رمز إلى الغرور المتعالي  
للخطابة اليونانية ١٧٩.

حلي رفقة رمز إلى كلمات  
الأنبياء الذهبية والأعمال والأخلاق  
١٨٣، ١٨٤.

عذرية رفقة جسداً وروحاً ١٨٣.  
رفقة عاقر تحبل بأمتين ٢٠١،  
٢٠٢.

أبناء رفقة رمز إلى الفضائل  
والرذائل بداخلنا ٢٠٤، ٢٠٥.

### الروح القدس

الله يقيم مسكناً فينا بالروح  
القدس ٤٦.

الأسفار الإلهية مدونة بالروح  
القدس ٩٩، ٩٥، ٥٦، ١٢٩، ١٣٣،  
١٧٨، ٢١٥، ٢٣٣.

موت سارة رمز إلى إتمام الفضيلة  
١٩٠.

#### السماء

الجلد رمز السماء الجسدية ٢١.  
السماء الروحية رمز إلى إنساننا  
الروحي ٢٢.

السماء الجسدية رمز إلى إنساننا  
الخارجي ٢٢.

#### الشر

المنفعة من وراء الشر ٣٣ ، ٣٤.  
تأمل الشر يظهر البر ٣٣ ، ٣٤.

#### الطعام/ المجاعة

طعام الإنسان عشب وثمار رمز  
إلى الأهواء الجسدية ٤٤ - ٤٦.

القمح يمثل طعاماً للكاملين  
والروحانيين والشعير للجهلاء  
والبهائم ٢٠٧.

الخبز يشير إلى كلمات الكتاب  
المقدس ٢٠٨.

المجاعة رمز إلى الجوع لكلمة الله  
٢٦١.

المجاعة تشتد على الأشرار لا على  
الأبرار ٢٥٨ ، ٢٥٩.

المجاعة وإيليا النبي ٢٥٩ ، ٢٦٠؛  
وإليشع النبي ٢٦٠.

#### الظلمة

الظلمة والهاوية ١٩ ، ٢٠.

الظلمة والنور ٢٠.

الله يصاحب الإنسان في معركته  
ضد الظلمة ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٦٧.

#### الفضيلة

الفضيلة لا تعطي إلا بنقاوة القلب  
١٢٥.

الفضيلة أخت يمكن أن تقدمها  
للآخرين في الزواج ١٢٥.

لا تنتقل الفضيلة الإلهية للأمم  
إلا بموت الناموس والزواج بالعهد  
الجديد ١٢٧ ، ١٢٨.

#### الفلك/ الطوفان

الوصف الحرفي للفلك ٥١ ، ٥٢.

اعتراضات أبيليس على وجود  
الفلك ٥٥ ، ٥٦؛ الرد التاريخي  
على الاعتراضات ٥٦ ، ٥٧.

الفلك رمز إلى الكنيسة ٥٧ ، ٥٨.  
كائنات الفلك ترمز إلى شعب  
الكنيسة ٥٨؛ وإلى درجات  
الكمال ٥٩.

طوابق الفلك ترمز إلى درجات  
البشر في الإيمان ٥٨ ، ٥٩.

طابق الجزء الأسفل رمز إلى  
كائنات الجحيم ٦٦؛ طابق الجزء

الحيوانات الطاهرة في التفسير  
الأخلاقي رمز إلى الملكات الجيدة  
٧٠؛ والحيوانات النجسة رمز إلى  
الشهوة ٧١.

الطوفان يرمز إلى مجيء المسيح  
٥٧، ٥٨.

نوح يرمز إلى المسيح ٥٩، ٦٠.

### قطورة

رمز إلى بخور الصلاة ورائحة  
المسيح الذكية ١٩١.

### الكائنات الحية

الكائنات التي تزحف رمز إلى  
الأفكار الرديئة ٣١، ٣٢.

الله خالق جميع الكائنات الحية  
٣٤.

البهائم والوحوش الأرضية رمز إلى  
أجسادنا ٤٥.

كائنات الفلك رمز إلى شعب  
الكنيسة ٥٨، وإلى درجات  
الكمال ٥٩.

الحيوانات الطاهرة في التفسير  
الأخلاقي رمز إلى الملكات الجيدة  
٧٠؛ والحيوانات النجسة رمز إلى  
الشهوة ٧١

### الكتاب المقدس

التفسير الحريفي لقصص الكتاب

الأوسط رمز إلى كائنات الأرض  
٦٦؛ وطوايق الجزء العلوي رمز إلى  
كائنات السماء ٦٦، ٦٧.

الكوى ترمز إلى منازل كثيرة في  
بيت الأب ٦٧.

الأخشاب المربعة في الفلك ترمز  
إلى الأحبار وغيوري الإيمان في  
الكنيسة ٦١، ٦٢؛ والأخشاب  
المطوية بالقار من الداخل والخارج  
ترمز إلى التقديس الداخلي  
والخارجي ٦٢.

الأخشاب في التفسير الأخلاقي  
رمز إلى كتب الأنبياء والرسل  
٦٩، ٧٠.

عمق الفلك يرمز إلى نزول المسيح  
من المناطق العليا إلى السفلى ٦٣.

ارتفاع الفلك يرمز إلى عودة الذين  
ردهم المسيح ٦٣.

باب الفلك يرمز إلى دينونة الله  
٦٦؛ وميل الباب يرمز إلى وقت  
الغضب الإلهي ٦٦.

الفلك وأبعاده في التفسير  
الأخلاقي يرمز إلى الإنسان القادر  
أن يبتعد عن الرذائل ٦٩.

تعايش الحيوانات والوحوش  
والبشر في الفلك يرمز إلى اتحاد  
الجميع في ملكوت السماوات  
٦٧.

١١١ ، ١١٩؛ رمز إلى المكانة

الوسطى بين الخطاة والأبرار ١١٣؛

رمز إلى الناموس ١١٦ ، ١١٧ .

خطية لوط السكر ١١٢ ، ١١٣ .

امرأة لوط رمز إلى الجسد المرتبط

بالشهوة ١١١ ، ١١٩؛ رمز إلى شعب

إسرائيل ١١٦ ، ١١٧ .

تحول امرأة لوط لتمثال ملح رمز

إلى عدم الحكمة ١١٢ .

انخداع لوط بحيلة بناته ١١٢ ، ١١٣

نية ابنتي لوط خلف الخطية ١١٤ ،

١١٥ .

ابنتا لوط رمز إلى الحس

الجسدي والانسياق وراء الشهوات

الجسدية ١١٧ ، ١١٨؛ رمز إلى

المجد الباطل والكبرياء ١١٩ .

### المسيح

المسيح هو نور العالم ٢٧ .

المسيح والكنيسة هما شمس

وقمر عقولنا ٢٩ .

المسيح ينير الكنيسة ٢٧ ، ٢٨ .

الطوفان رمز إلى مجيء المسيح

٥٧ ، ٥٨ .

الكبش رمز للمسيح ١٥٧ ، ١٥٨

نوح رمز للمسيح ٥٩ ، ٦٠ .

المسيح هو نسل إبراهيم ١٦٨ .

المسيح إتمام الوعد الإلهي ١٦٩ ،

١٧١ .

المقدس ١٢٣ ، ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ .

التفسير الروحي لقصص

الكتاب المقدس ١٣٣ وما بعدها .

توافق الرموز بين العهدين الجديد

والقديم ١٨٦ .

المعنى الرمزي للصعود والنزول في

الكتاب المقدس ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

حرفية الناموس ٢٠٨ .

الاتفاق والاختلاف بين الفلسفة

والناموس ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

### الكنيسة

الكنيسة تستنير بالمسيح ٢٧ ،

٢٨ .

الكنيسة والمسيح هما قمر

وشمس عقولنا ٢٩ .

### الكهنة

كهنة فرعون رمز إلى الكهنة

الذين يعكفون على المشاغل

الأرضية ٢٦٣ ، ٢٦٦ .

الفرق بين كهنة فرعون وكهنة

الرب ٢٦٢ وما بعدها .

### لوط/ بناته

ما قدمه لوط للضيوف ٩٧ .

ضيافة لوط سبب إنقاذه ١٠٩ .

لوط رمز إلى البر الناقص ١٠٩ ،

١١٠؛ رمز إلى العقل والإرادة الصلبة

٢٥٦؛ رمز إلى الشعب الجسدي  
٢٦٥ ، ٢٦٦ .

### المياه

المياه العليا رمز إلى المياه الروحية  
٢٢ .

المياه السفلية رمز إلى مياه الهاوية  
٢٢ .

المياه العيا والإنسان الروحي ٢٢ ،  
٢٣ .

المياه التي تحت السماء رمز إلى  
الخطايا ٢٣ ، ٢٤ .

قربة الماء رمز إلى حرفية الناموس  
١٤٠ .

### النور والأنوار

الإنسان المجاهد هو سماء منيرة  
٢٧ .

المسيح هو نور العالم ٢٧ .  
الكنيسة تستير بالمسيح ٢٧ ،  
٢٨ .

الرسل نور العالم ٢٨ .  
الأنبياء هم نجوم في سماء قلوبنا  
٢٩ .

المسيح والكنيسة هما شمس  
وقمر عقولنا ٢٩ .

استتارة عقولنا بالمسيح ٢٩ ، ٣٠ .  
نور الروح ينطفئ إذا ابتعدنا عن  
المسيح ٢٤١ ، ٢٤٢ .

المسيح هو خبز الحياة والماء الحي  
١٨٠ ، ١٨١ .

المسيح أعطى فهماً جديداً  
للمشريعة ٢٢١ .

رموز السيد المسيح في الكتاب  
المقدس ٢٢٩ .

الابتعاد عن المسيح يطفئ نور  
الروح ٢٤١ ، ٢٤٢ .

### المسيحيون

تفسير المسيحيين الروحي  
للناموس ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٩ .

المسيحيون رمز إلى الشعب  
الروحي ١٣٥ ، ١٣٦ .

### مصر / المصريون

أرض مصر رمز إلى نجاسات  
الخطايا ١١٠؛ رئاسات وسلاطين  
عالم الظلمة ٢٤٦ ، ٢٤٧؛ العبودية  
٢٥٥ .

النزول إلى مصر والصعود منها  
رمز إلى نزول الرب إلى هذا العالم  
وعودته إلى الأب عند إتمام التدبير  
٢٤٧ ، ٢٤٨ .

التسلط على كل مصر رمز إلى  
كبح كل شهوات الجسد ٢٤٣ .

المصريون رمز إلى النفس التي  
تخضع بكل إرادتها للشهوات

العلامة أوريجينيس . عظات على سفر التكوين

طريقة اليهود في فهم الكتاب  
المقدس ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .

الكذب والخداع يطفئ نور الروح  
٢٤٣ ، ٢٤٤ .

### اليابسة والأرض

الفلسطينيون الذين ردموا الآبار  
رمز إلى تفسير اليهود الحرفي  
للناموس ٢١٣ وما بعدها .

اليابسة رمز إلى أعمالنا بالجسد  
٢٣ .

العبرانيون رمز للنفس التي تقاوم  
الشهوات ٢٥٦ .

اليابسة وأجسادنا ٢٤ .

شعب إسرائيل رمز إلى الشعب  
الروحي ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

اليابسة والأرض ٢٤ .

الأرض والثمار ٢٥ .

أنواع الأرض والثمار ٣٦ .

الأرض وأجسادنا ٢٥ .

### يوسف

رمز إلى المسيح المخلص ٢٤١ ،  
٢٤٢ ، ٢٥٠ .

### يعقوب / إسرائيل

يوسف يضع يديه على عيني  
إسرائيل رمز إلى المسيح يضع  
يديه على عيني الأعمى ٢٥٠ .

اسم يعقوب رمز إلى رتبة أقل من  
الكمال ٢٤٤ ، ٢٤٦ .

اسم إسرائيل رمز الكمال ٢٤٤ ،  
٢٤٦ .

### اليهود

يعتقد اليهود أن الله إنسان ٧٥ .  
رفض اليهود للتفسير الرمزي  
للختان ٨٢ .

نقد التفسير الحرفي لليهود ٨٣ ،  
٨٤ .

تفسير اليهود الحرفي للناموس  
١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٩ .

اليهود رمز إلى الشعب الجسدي  
١٣٥ ، ١٣٦ .







## إصدارات مركز باناريون للتراث الآبائي

يسعى مركز باناريون للتراث الآبائي إلى تحقيق رسالته من خلال أربع سلاسل متميزة تكمل كل منها الأخرى، بالإضافة إلى مجموعة خامسة من الكتب المتنوعة:

### أولاً: النصوص المسيحية في العصور الأولى

هذه السلسلة تقدّم النصوص المسيحية في القرون الأولى في شكل أكاديمي غني بالمقدمات والمقارنات والحواشي والزهارس. ويركز باناريون اهتمامه في المرحلة الأولى على إصدار نصوص ثلاثة القرون الأولى وكتب التاريخ الكنسي والرهباني وتراث الأنبا شنوده رئيس المتوحدين. ويصدر في هذه السلسلة:

١. الآباء الرسوليون قيد المراجعة
٢. القديس يوستينوس الفيلسوف والشهيد مايو ٢٠١٢
٣. القديس إيرينيوس - ضد الهرطقات قيد المراجعة
٤. العلامة أوريجينيس - عظات على سفر التكوين نوفمبر ٢٠١٥
٥. العلامة أوريجينيس - عظات على سفر الخروج قيد المراجعة
٦. العلامة أوريجينيس - عظات على سفر اللاويين قيد المراجعة
٧. التاريخ الرهباني في أواخر القرن الرابع الميلادي ديسمبر ٢٠١٣
٨. القديس يوحنا كاسيان - الأنظمة نوفمبر ٢٠١٥
٩. القديس يوحنا كاسيان - المحاورات قيد المراجعة
١٠. يوسبيوس - تاريخ الكنيسة قيد الترجمة
١١. سوزومينوس - تاريخ الكنيسة قيد المراجعة
١٢. سقراط - تاريخ الكنيسة قيد المراجعة
١٣. ثيودوريت - تاريخ الكنيسة قيد المراجعة
١٤. الأنبا شنوده رئيس المتوحدين الجزء الأول ديسمبر ٢٠٠٩

## ثانيًا: دراسات عن المسيحية في العصور الأولى

سلسلة تتضمن موضوعات تختص بالمسيحية في العصور الأولى في شكل دراسات "عرضية"، تناقش نفس الموضوع من عدة أوجه أو في عدة عصور، وتُقدّم من خلال تقليد الكنيسة وتراثها الأبائي. صدر منها حتى الآن:

١. الإيمان بالثالوث (ت. ف. تورانس) نوفمبر ٢٠٠٧
٢. مجمع خلقيدونية - إعادة فحص (ف. سي. صموئيل) يوليو ٢٠٠٩
٣. الكنيسة وثقافة العصر (دكتور سامح فاروق) يناير ٢٠١٥
٤. التعليم الخريستولوجي بعد مجمع خلقيدونية (إيان تورانس) قيد المراجعة

## ثالثًا: دراسات عن آباء الكنيسة في العصور الأولى

سلسلة تقدم دراسات عن آباء الكنيسة، حيث تتناول - بطريقة "طولية" - كل أب على حدة من خلال استعراض سيرته، والأحداث التاريخية والكنسية في عصره، كما تتناول أيضًا كتاباته وتعاليمه اللاهوتية. يصدر منها:

١. علم الباترولوجي (كواستن) الجزء الأول يناير ٢٠١٥
٢. علم الباترولوجي (كواستن) الجزء الثاني قيد الترجمة
٣. علم الباترولوجي (كواستن) الجزء الثالث قيد الترجمة
٤. علم الباترولوجي (كواستن) الجزء الرابع قيد الترجمة

## رابعًا: الحياة الجديدة في المسيح

هذه السلسلة تهتم بالجانب الحياتي الاختباري للمسيحية، حيث ينبغي أن تتحول كل معرفة لاهوتية (نقدمها في السلاسل الثلاثة الأولى) إلى خبرة حياتية معاشة في المسيح (السلسلة الرابعة). لذلك تقدم هذه السلسلة التقليد الأبائي الشرقي الحي المعاش داخل

الكنيسة. صدر منها:

١. الإفخارستيا سر الحياة (دكتور مارك شنوده) نوفمبر ٢٠١٣
٢. الأعياد السيديية (دكتور مارك شنوده) قيد الإعداد

### كتب عامة

١. العهد الجديد قبطي عربي "ترجمة بين السطور" قيد المراجعة

PANARION  
بانارون